مجالس
شهر رمضان المبارك
ويليه
إتحاف أهل الإيمان
بدروس شهر رمضان
تأليف
فضيلة الشيخ
الدكتور صالح بن فوزان بن عبدالله الفوزان
عضو اللجنة الدائمة للإفتاء وعضو هيئة كبار العلماء
دار العاصمة
للنشر والتوزيع

مجالس شهر رمضان المبارك

وَيليه

إتحاف أهل الإيمان بدروس شهر رمضان

تأليف

فضيلة الشيخ

الدكتور صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان

عضو اللجنة الدائمة للإفتاء وعضو هيئة كبار العلماء

دار العاصمة

للنشر والتوزيع

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الفوزان ، صالح بن عبد الله

مجالس شهر رمضان المبارك ـ الرياض .

١٤٢ ص ؛ ١٧ × ٢٤ سم .

ردمك ٤ـ٠٨ـ٨٣٧ـ٩٩٦٠

١ ـ الصوم   ٢ ـ شهر رمضان   أ ـ العنوان

ديوي ٢٥٢,٣   ٢٠/٣١١٧

رقم الإيداع: ٢٠/٣١١٧

ردمك: ٤ـ٠٨ـ٨٣٧ـ٩٩٦٠

الطبعة الثانية

١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠١م

الصف والإخراج دار العاصمة للنشر والتوزيع

دار العاصمة

المملكة العربية السعودية

الرياض ـ ص ب ٤٢٥٠٧ ـ الرمز البريدي ١١٥٥١

هاتف ٤٩١٥١٥٤ ـ ٤٩٣٣٣١٨ ـ فاكس ٤٩١٥١٥٤

(١)

مجالس شهر رمضان المبارك

تأليف

فضيلة الشيخ

الدكتور صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان

عضو اللجنة الدائمة للإفتاء وعضو هيئة كبار العلماء

مُفرَّغ من تسجيلات دروس المسجد

فرّغها واعتنى بها

الشيخ إبراهيم بن عبد الله العوّاد

طبعة مُصحَّحة ومُنقَّحة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

الحمدُ للهِ ربِّ العالمين، والصلاةُ والسلامُ على نبيِّنا محمدٍ وعلى آلِهِ وصحبِهِ أجمعين.

أما بعدُ: فهذه كلماتٌ كنتُ ألقيتُها في المسجدِ خلالَ شهرِ رمضانَ المباركِ، فرأى أحدُ الإخوانِ ـ وفّقَهُ اللهُ ـ تفريغَهَا مِنَ الأشرطةِ وطباعَتَها، فأذنتُ لَهُ بذلك؛ ليعمّ نفعُهَا ـ إنْ شاءَ اللهُ ـ وإنْ كانتْ جهدَ مقلٍّ، لكنْ من لا يجودُ بالقليلِ لا يجودُ بالكثيرِ، وأسألُ اللهَ أنْ ينفعَ بها، وأن يجزِيَ من سَعَى في نشرِهَا خيرَ الجزاءِ وصلَّى اللهُ وسلَّم على نبيِّنا محمدٍ وآلِهِ وصحبِهِ.

صَالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان

١٤/٩/١٤٢٠هـ

المجلسُ الأولُ
في الفرحِ بقدومِ شهرِ رمضان

الحمدُ للهِ ربِّ العالمين، والصلاةُ والسلامُ على عبدِهِ ورسولِهِ نبيِّنا محمدٍ وعلى آلِهِ وأصحابِهِ، وسلم تسليماً كثيراً، نحمدُ اللهَ سبحانه وتعالى أنْ منّ علينا ببلوغِ هذا الشهرِ، ونسألهُ سبحانه وتعالى أنْ يعينَنَا وإياكُم فيه على صالحِ الأعمالِ، وأنْ يتمَّه علينا وعليكُم بخيرٍ وعملٍ صالحٍ، فالمسلمُ على خيرٍ دائماً، ولاسيما إذا منَّ اللهُ عليه بإدراكِ شهرِ رمضانَ وغيرِهِ مِنَ المواسِمِ ـ مواسمِ العبادَةِ ـ ووفّقه لاغتنامِهَا واستكمالِهَا فيما شُرِعَتْ من أجلِهِ، بخلافِ أهلِ الحرمانِ الذين تكونُ حياتُهُم عليهم وَبَالاً، تمرُّ عليهم أيامُ الخيرِ وشهورُ الخيرِ وهُمْ في غفلةٍ معرضون، فالإنسانُ إمَّا أن يستعملَ أوقاتَه بالخيرِ، فتعودُ عليه بالنفعِ، وإمَّا أنْ يستعملَ أوقاتَه بالشرِّ فتعودُ عليه بالضررِ، كَمَا قالَ ﷺ: **«كُلُّ الناسِ يغدُو، فبائعٌ نفسَه فمُعتِقُهَا أو مُوبقُهَا»**[1].

فالإنسانُ هو الذي يُربِّي نفسَه ويقُومُ عليها، فإنْ رَعَاهَا بالخيرِ وزكّاها بالطاعةِ وأخذَ بِزِمَامِهَا إلى ما ينفَعُهَا، فإنَّه يكونُ قدْ أحسنَ الرعايةَ ـ رعايةَ نفسِهِ أولاً، ثمّ الرعايةَ لغيرِهِ، لكنْ إذا ضَيَّعَ نفسَه فلن يَرْعَى غيرَهُ ـ فإذا تركَ نفسَه وماشاءتْ من المعاصِي والكسلِ، فيكونُ قد ضيَّع نفسَه، وإذا ضيَّعَ الإنسانُ نفسَه

---

(١) فعن أبي مالك الأشعري قال: قال رسول الله ﷺ: **«الطهور شطر الإيمان، والحمد لله تملأ الميزان، وسبحان الله والحمد لله تملآن [أو تملأ] ما بين السموات والأرض، والصلاة نور، والصدقة برهان، والصبر ضياء، والقرآن حجة لك أو عليك، كل الناس يغدو، فبائع نفسه، فمعتقها أو موبقها»**. أخرجه مسلم (رقم ٢٢٣).

فماذا يحفظُ بعدَ نفسِه؟! نفسُه أعزُّ شيءٍ عندَهُ، ولهذا يقولُ سبحانه: ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ۝ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝ ﴾ [الشمس: ٧-٩] زكَّاها، يعني: طَهَّرَها مِنَ المعاصي ومِنَ الذنوبِ، وكمَّلَها بالطاعاتِ والحسناتِ، هذا هو الذي زكَّى نفسَه ﴿ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ۝ ﴾ يعني دَنَّسَهَا بالذنوبِ والمعاصِي والسيئاتِ، وأهمَلَهَا وتركَهَا وما تُريدُ، ولهذا يقولُ سبحانه وتعالى: ﴿ يَوْمَ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ مَا سَعَىٰ ۝ وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ ۝ ﴾ [النازعات: ٣٥، ٣٦] ﴿ وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ ﴾ يعني: أظهرَتْ ﴿ لِمَن يَرَىٰ ۝ ﴾ يَراهَا بعينِه، نحنُ في هذه الدنيا ما رأينا النارَ، ما رأينا الجحيمَ التي ذكَرَها اللهُ، إنما هي مِنْ عالمِ الغيبِ، نؤمنُ بها، ونعملُ الأعمالَ التي تُجَنِّبُنا إيَّاهَا، ونحن لم نَرَهَا، لكن في الآخرةِ يَراهَا الإنسانُ عَيَاناً أمامَ وَجْهِهِ ﴿ وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ ﴾ بعدَ أنْ كانتْ مِنْ علمِ الغيبِ وكانتْ خفيةً، بُرِّزَتْ وَظَهرتْ أمامَ الناسِ.

﴿ فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ۝ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ۝ ﴾ [النازعات: ٣٧، ٣٨] وبئسَ المأوَىٰ، أعوذُ باللهِ، مأواهُ النارُ لايجدُ مأوىً غيرَهَا، نسألُ اللهَ العافيةَ.

﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ ﴾ [النازعات: ٤٠] خافَ عَرْضَهُ على ربِّه وقيامه بين يديه يحاسِبُه، وكُلُّ عبدٍ سوفَ يلقَاه، ويقفُ بينَ يدَيْه، ويحاسِبُهُ اللهُ عزَّ وجلَّ ﴿ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ ﴾، خافَه في هذه الدنيا، فعمِلَ مِنْ أجلِهِ واستعدَّ للقاءِ اللهِ.

﴿ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ۝ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ۝ ﴾ هي المستقرُّ الدائِمُ، جنةٌ عرضُهَا السمواتُ والأرضُ، وأما النَّارُ ـ والعياذُ باللهِ ـ فهي ضيقٌ وضنكٌ وشدةٌ وبؤسٌ وألمٌ، ﴿ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ۝ ﴾ هي المستقرُّ، لايرجو أنه يخرجُ منها، وإنَّما هِيَ مأواه دائماً وأبداً، فما الفرقُ بينَ مَنْ كانتِ النارُ مأواه وَمَنْ كانتِ الجنةُ مأواه؟! فرقٌ عظيمٌ، ولايخطرُ بالبالِ.

وهذا انقسامُ الخلقِ يومَ القيامةِ: فريقٌ في الجنةِ، وفريقٌ في السعيرِ، والسببُ: عملُ الإنسانِ في هذه الدنيا من خيرٍ أو شرٍّ، واللهُ جلَّ وعلاَ جعلَ لعبادِهِ المؤمنين أوقاتاً يتقرَّبُون إليه فِيهَا بالطاعاتِ، ويؤدُّون ما أوجبَ اللهُ عليهم، فيفوزون برضَى اللهِ عزَّ وجلَّ، ويدخُلُون جنَّتَه يومَ القيامَةِ، وأمّا إذا أهمَلُوا ما أوصَاهُم به ربُّهُم عزَّ وجلَّ، واتَّبَعُوا أهواءَهُم وشهواتِهِم وضيَّعُوا فرائِضَ اللهِ، وارتكَبُوا ما حرَّمَ اللهُ، فإنَّ اللهَ أعدَّ لهم ﴿ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾ ﴾ [التحريم: ٦].

فأنتَ ـ أيُّها المسلمُ ـ في هذا الشهرِ فُتِحَتْ لك الأبوابُ، وُسهِّلَتْ عليك الطرقُ إلى الجنةِ في هذا الشهرِ ـ كما أخبرَ النبيُّ ﷺ ـ أنَّها تُغَلَّقُ فيه أبوابُ النيرانِ، وتُفَتَّحُ أبوابُ الجنانِ للمؤمنين(١)، المؤمنون تُغَلَّقُ عنهم أبوابُ النيران في هذا الشهرِ، ويُقْبِلُونَ على طاعَةِ اللهِ، وتُفَتَّحُ لهم أبوابُ الجنانِ.

أما الأشقياءُ فإنَّ أبوابَ النيران مفتوحةٌ لهم دائماً؛ لأنَّهم لايعرفون هذا الشهرَ ولا يعرفون غَيْرَه، وإنما هَمُّهمْ بُطُونُهُم وشهواتُهُم وما يكملُ لهم حظوظهُم في هذه الدنيا الفانيةِ، فهؤلاء لا قيمةَ لهذا الشهرِ ولا لغيرِهِ عندَهُم، وإنَّما كُلُّ أيامِهِم وشهورِهِم كلُّها خسارةٌ عليهم، مع أنَّهم يتمتعون بالعقولِ والأسماعِ والأبصارِ، وبيَّن لهم الطريقَ، ولكنهم تعامَوْا عن ذلك، فلا قلوبُهُم

---

(١) فعن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «**إذا جاء رمضان فتحت أبواب الجنة وغلقت أبواب النار وصفدت الشياطين**». أخرجه البخاري (رقم ٣٢٧٧) ومسلم (رقم ١٠٧٩). وفي رواية: «**فتحت أبواب الرحمة**» عند مسلم (رقم ١٠٧٩/٢). وفي رواية: «**فتحت أبواب السماء**» عند البخاري (رقم ١٨٩٩).

ينتفِعُون بها، ولا أسماعُهُم ولا أبصارُهُم، ولهذا يقولون يومَ القيامةِ ﴿ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٠﴾ ﴾ [الملك: ١٠] يعني: نسمعُ سماعَ قبولٍ، ونعملُ عقلَ فهمٍ، فَهُمْ لهم عقولٌ ولهُمْ أسماعٌ، لكنَّها لم تنفَعْهُمْ، فصارَ وجودُهَا كعدَمِهَ.

﴿ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ ﴾ سَمْعا ينفعُنَا ﴿ أَوْ نَعْقِلُ ﴾ عَقْلاً ينفعَنُا ﴿ مَا كُنَّا فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٠﴾ ﴾؛ لأنَّه ما يكونُ في أصحابِ السعيرِ إلاَّ الصمّ البكم العمي الذين لاخيرَ فيهم، نسألُ اللهَ العافيةَ.

فالحاصلُ: أنَّ هذه فرصةٌ عظيمةٌ في عمرِكَ ؛ أيُّها المسلمُ ـ فاغتَنِمْهَا، واسألِ اللهَ أنْ يعينَكَ على العملِ الصالحِ فيها، واسألِ اللهَ القبولَ والمزيدَ من فضلِهِ، فإنَّ مَنْ أدركَ شهرَ رمضانَ ومكَّنَه اللهُ مِنَ الانتفاعِ به، فقد أنعمَ اللهُ عليه نعمةً عظيمةً لايعدِلُهَا شيءٌ، لايعدلُهَا ـ واللهِ ـ أصحابُ الملايين وأصحابُ العماراتِ وأصحابُ العقاراتِ، واللهِ لايعدلُ هذا الشهرَ شيءٌ لِمَنْ وفَّقَه اللهُ ـ سبحانه وتعالى ـ ولو كان لايملِكُ مِنَ الدنيا ولا فلساً، إذا مَنَّ اللهُ عليه بهذا الشهرِ فهو الرابحُ، وهو التاجرُ في الحقيقةِ، وهو الغنيُّ في الحقيقةِ، فليسَ الغنيُّ الذي يملِكُ هذه الدنيا، فإنّه إذا ضيَّعَ الآخرةَ، فإنه فقيرٌ خَسِرَ الدنيا والآخرةَ، الدنيا ليستْ لأحدٍ، الدنيا ممرٌ ومعبرٌ، ليستِ لأحدٍ، وإنّما هي مثلُ الطريقِ الذي يمرُّ عليه الناسُ كلُّهم، ويترُكُونَه لغيرِهِمْ.

نسألُ اللهَ عزَّ وجلَّ أن يوفّقَنَا وإياكم لاغتنامِ الأوقاتِ، والمبادَرةِ بالطاعاتِ، والتوبةِ مِنَ الذنوبِ والسيئاتِ، وصلَّى اللهُ وسلَّم على نبيِّنا محمدٍ وعلى آلِهِ وصحبِهِ أجمعين.

المجلسُ الثاني
في وجوبِ اغتنامِ أوقاتِ الشهرِ بالأعمالِ الصالحةِ

الحمدُ للهِ والصلاةُ والسلامُ على رسولِ اللهِ، أمَّا بعدُ:

فإنَّ فضائِلِ شهرِ رمضانَ كثيرةٌ ومتعددةٌ، وكُلٌّ يأخذُ مِنْ هذه الفضائِلَ ما وفّقَهُ اللهُ إليه، فمنهم مَنْ يستكْمِلُهَا، وهذه حالةُ السلفِ الصالِحِ، فإنَّهم كانوا يفرحون بشهرِ رمضانَ، مع أنَّهم في كُلِّ العامِ وَهُمْ على الجدِّ والاجتهادِ قيامِ الليلِ وصيامِ النهارِ، مَعَ مَا هُمْ فِيه مِنَ الجهادِ في سبيلِ اللهِ وطلبِ العلمِ والأعمالِ الصالحةِ، لكنْ كانوا يفرحُونَ بهذا الشهرِ؛ لِمَا يعلَمُونَه فِيهِ مِنْ زيادَةِ الخيرِ، وهم يحبُّونَ الخيرَ وَكُلَّ ما يُقرِّبُ إلى الخيرِ، فكانَ السلفُ الصالِحُ يغتبِطُونَ بهذا الشهرِ، ويخصُّونَه بأنواعٍ مِنَ الاجتهادِ، ويتفرَّغُون في هذا الشهرِ، ويدعون اللهَ أنْ يبلِّغَهُم إيَّاه، ثُمّ يدعُونَه أنْ يتقبَّله منهم، ومن كان دُونَ حالِهِمْ فإنَّه يستفيدُ مِنْ هذا الشهرِ بقدرِ ما يَمُنّ اللهُ به عليه، إنْ لم يُفْسِدْهُ بالسيئاتِ والغفلاتِ، فشهرُ رمضانَ لَهُ فضائلُ عظيمةٌ، أعظمُ فضيلةٍ لشهرِ رمضانَ؛ أنَّ اللهَ خصَّه بالصيامِ الذي هو ركنٌ مِنْ أركانِ الإسلامِ، فجعلَ هذا الركنَ العظيمَ يؤدَّى في هذا الشهرِ، فَكَفَى بهذا شرفاً وفضلاً لهذا الشهرِ، أنَّ اللهَ خصَّه بأداءِ ركنٍ مِنْ أركانِ الإسلامِ فيه، وهو الصيامُ.

ومن فضائِلِهِ: مانَوَّه اللهُ تعالى بِهِ، وهو إنزالُ القرآنِ العظيمِ، قال تعالى: ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ ﴾ [البقرة: ١٨٥] فهذه فضيلةٌ عظيمةٌ، حيثُ إنّ هذا الزمان خُصَّ بإنزالِ أعظمَ كتابٍ مِنْ كُتُبِ اللهِ، وهو القرآنُ العظيمُ،

ويؤخَذُ مِنْ هذا: أنَّ لتلاوةِ القرآنِ في هذا الشهرِ مزيةً على تلاوَتِهِ في غيرِهِ مِنَ الشهورِ، وإنْ كان مطلوباً مِنَ المسلمِ أنْ يكثرَ مِنْ تلاوَةِ القرآنِ في كُلِّ الشهورِ والأيامِ، ولكنْ تلاوتُهُ في هذا الشهرِ لَهَا فضيلةٌ ومزيةٌ؛ لأنَّه شهرُ إنزالِ القرآنِ، وهو الوقتُ الذي كان جبريلُ يدارِسُ النبيَّ ﷺ فيه القرآن[1]، ويعرضُ النبيُّ ﷺ على جبريلَ القرآنَ مِنْ أولِهِ إلى آخِرِهِ، فتلاوةُ القرآنِ في هذا الشهرِ لها فضائلُ عظيمةٌ، وعلى مدارِ العامِ تلاوة القرآن، كُلُّ حرفٍ بحسنةٍ، والحسنةُ بعشرِ أمثالِهَا، وتتضاعَفُ هذه الحسناتُ في شهرِ رمضانَ.

وَمِنْ فضائِلَ هذا الشهرِ: أنَّ فيه ليلةً واحدةً خيرٌ مِنْ ألفِ شهرٍ، وألفُ الشهرِ إذا حُسِبَتْ بالسنين تزيدُ على ثمانين عاماً، فهذا الليلةُ تعادِلُ ثمانين عاماً وزياةُ أَشْهرٍ، كُلُّها في طاعَةِ اللهِ، وهذا فضلٌ عظيمٌ، فالذي يُعَمَّرُ ثمانين سنةً، في طاعَةِ اللهِ، هو والذي يَمُنُّ اللهُ عليه بمصادفَةِ هذه الليلةِ فيقُومُهَا إيماناً واحتساباً، يكتبُ اللهُ له بقيامِ هذه الليلةِ عَمَلَ أَلْفِ شهرٍ، وهذا فضلُ اللهِ يؤتيه من يشاءُ، وهذه الليلةُ في شهرِ رمضان، كمَا قالَ اللهُ سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ۝١﴾ [القدر: ١]، وقال: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ﴾ [البقرة: ١٨٥]، فالقرآنُ أنزلَ في ليلةِ القدرِ، وفي شهرِ رمضانَ، ومعنى إنزالِ القرآنِ فيها: أنَّ اللهَ ابتدأَ نزولَ القرآنِ في هذه الليلةِ في شهرِ رمضانَ، ثم تتابَعَ نزولُهُ على النبيِّ ﷺ؛ لأنَّ القرآنَ كان ينزلُ على النبيِّ ﷺ منذُ أنْ بعثَهُ اللهُ في مكةَ إلى أنْ توفَّاه اللهُ بالمدينةِ، مدةَ ثلاث وعشرين سنةً، والقرآنُ يتنزلُ عليه شيئاً فشيئاً، تنزلُ عليه

---

(١) فعن ابن عباس قال: كان رسول الله ﷺ أجود الناس، وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل، وكان يلقاه في كل ليلة من رمضان فيدارسه القرآن، فلرسول الله ﷺ أجود بالخير من الريح المرسلة. أخرجه البخاري (رقم٦) ومسلم (رقم٢٣٠٨).

السورُ، وتنزلُ عليه الآياتُ، حتَّى تكاملَ القرآنُ عندَ وفاتِهِ ﷺ؛ فمعنى ﴿أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ﴾ و ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴿١﴾﴾ يعني: ابتدأ نزولَهُ ثُمّ تتابَعَ بعدَ ذلك، ينزلُ على رسولِ اللهِ ﷺ إلى آخرِ حياتِهِ عليه الصلاةُ والسلامُ.

فهذه مزايا عظيمةٌ لهذا الشهرِ:

أولاً: أنَّه يؤدَّىٰ فيه ركنٌ مِنْ أركانِ الإسلامِ، وهو الصيامُ.

ثانيـا: أنَّ اللهَ أنزلَ فيه القرآنَ.

ثالثـا: أنَّ هذا الشهرَ فيه لَيْلَةٌ خيرٌ مِنْ ألفِ شهرٍ.

رابعاً: أَنَّ مِنْ فضائِلَ هذا الشهرِ أنَّ الأعمالَ فه مضاعفةٌ أضعافاً كثيرةً على مضاعفةِ الأعمالِ في غيرِهِ؛ لشرفِ الزمانِ الذي جعلَهُ اللهُ فيه.

خامساً: ومن فضائلِهِ: أنَّ اللهَ خصَّهُ بصلاةِ التراويح التي تصلَّى بالمساجِدِ جماعةً، وهي لاتكونُ إلاّ في شهرِ رمضانَ، مما يدلُّ على فضلِهِ وعظيمِ مكانَتِهِ عندَ اللهِ سبحانه وتعالى.

سادساً: من فضائِلِهِ: أنَّه تُفَتَّحُ فيه أبوابُ الجنانِ لاستقبال الأعمالِ الصالِحَةِ والعاملين، وتُغَلَّقُ فيه أبوابُ النيران، فتقلُّ المعاصي في شهرِ رمضانَ، ويقبلُ المسلمون على الطاعاتِ وعلى التسابُقِ إلى الجناتِ.

سابعاً: ومن فضائِلِهِ: أنه تصفّدُ فيه الشياطينُ وتغلُّ عن المؤمنين، فإنَّ اللهَ ـ سبحانه وتعالى ـ يحبسُ الشياطينَ عَنِ المؤمنين في هذا الشهرِ، فلا يفسدون عليهم عباداتِهِم، ولهذا تجدونَ الناسَ يُقْبِلُون على الطاعاتِ في شهرِ رمضانَ، حتَّى مَنْ كان متكاسلاً في العامِ تجدهُ يقبلُ في رمضانَ على الطاعَةِ، وهذا شيءٌ ظاهرٌ، لماذا؟

لأنَّ الشياطين قد غُلَّتْ عن أهلِ الإيمانِ، أمّا أهلُ الكفرِ والنفاقِ، فإنَّ

الشياطينَ مسلطةٌ عليهم في شهرِ رمضانَ وفي غيرِهِ، وإنما تغلُّ الشياطينُ عَنِ المؤمنين خاصةً في شهرِ رمضانَ، من أجلِ أن يتمكَّنُوا من طاعةِ اللهِ عزَّ وجلَّ، أمّا المنافقون والكفارُ فهؤلاءِ كَمَا قالَ اللهُ سبحانه وتعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّآ أَرْسَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا ﴿٨٣﴾ ﴾ [مريم: ٨٣]، فهي تدفعُهُم إلى الشرِّ - والعياذُ باللهِ - في رمضانَ وفي غيرِهِ، وقال اللهُ تعالى: ﴿ إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾ إِنَّمَا سُلْطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشْرِكُونَ ﴿١٠٠﴾ ﴾ [النحل: ٩٩، ١٠٠]، فسلطانُ الشيطانِ على الكفرةِ. وأولياءُ الشيطان: كُلُّ كافرٍ وملحدٍ وزنديقٍ ومنافقٍ وخبيثٍ.

أمَّا المؤمنون فإنَّ الشيطانَ ليس له سلطانٌ عليهم وللهِ الحمدُ، إذا تابوا تابَ اللهُ عليهم، وغفرَ ذنوبَهُم، ومحا عنهم سيئاتِهِم، وغفرَ لهم كُلَّ ما صَدَرَ منهم، وضاعفَ لهم الأجرَ، وهذا ممّا يغيظُ الشيطانَ؛ أنه لايستطيعُ أن يمنعَ فضلَ اللهِ الذي ينزّلُه على عبادِهِ المؤمنين، يغتاظُ من ذلك أشدَّ الغيظِ ويتألمُ، ولكنّ هذا مِنْ فضلِ اللهِ على المؤمنين.

فهذا الشهرُ شهرٌ عظيمٌ مباركٌ، كما وصفَهُ النبيُّ ﷺ فيما رُوِيَ عنه من جَعْلِ اللهِ صيامَ نهارِهِ فريضةً، وجَعْلِ قيامَ ليلِهِ تطوعاً، وجَعْلِ من تطوعَ فيه بخصلةٍ مِنْ خصالِ الخيرِ كَمَنْ أدَّى فريضةً، ومن أدَّى فيه فريضةً فهو كمن أدَّى سبعينَ فريضةً فيما سواه، وهذا فضلٌ عظيمٌ وبشرى للمؤمنين.

نسألُ اللهَ عزَّ وجلَّ أن يرزقَنَا وإياكُم مِنْ خيراتِ هذا الشهرِ وبركاته، وأن يجعلَنَا مِنَ المستفيدين من فضائِلِهِ ومن أجورِهِ، وأن لايحرِمْنَا وإيّاكُمْ فَضْلَه، ولايحرِمْنَا وإيَّاكُمْ مِنَ العملِ الصالحِ في هذا الشهرِ وفي غيرِه، وصلَّى اللهُ على نبينا محمدٍ وآله وصحْبِه أجمعين.

المجلسُ الثالثُ
في بيانِ فضائِلِ الصيامِ

الحمدُ للهِ والصلاةُ والسلامُ على رسولِ اللهِ، وبعدُ:

فالصيامُ من أفضلِ الأعمالِ؛ لأنَّ العبدَ يؤثرُ رضَا ربِّه على شهوةِ نفسِهِ، فيحرمُ نفسَه الطعامَ والشرابَ ومشتهياتِهَا ولذاتِهَا، وقد يكونُ محتاجاً أشدَّ الحاجةِ إليها، كالعطشانَ الذي تشتدُّ حاجتُهُ إلى الماءِ، وكالجائِعِ الذي تشتدُّ حاجتُهُ إلى الطعامِ، ومع ذلك يتركُ طعامَه وشرابَه وما تشتهيه نفسُهُ، وهو متمكنٌ مِنْ تناوُلِهِ وبين يديه، ولكنه يتركُهُ طاعةً للهِ سبحانه وتعالى، ويتقربُ إلى رَبِّه بتركِ مألوفاتِهِ ومشتهياتِه؛ فلذلك كانَ الصيامُ أحبَّ الأعمالِ إلى اللهِ سبحانه وتعالى، ففي الحديثِ القدسي أنَّ اللهَ جلَّ وعلا يقولُ: **«الصومُ لي وأنا أجزي بِهِ، إنّه تركَ شهوتَهُ وطعامَهُ وشرابَهُ من أجْلِي، ولخلوفُ فَمِ الصائِمِ أطيبُ عندَ اللهِ مِنْ ريحِ المسكِ»**(١).

وخلوفُ فَمِ الصائِمِ هو: الرائحةُ التي تكون في فِيهِ أثناءَ النهارِ؛ لِخلوِّ معدتِهِ مِنَ الطعامِ، فيتصاعَدُ منها أبخرةٌ فيها رائحةٌ يكرهُهَا الناسُ، ولكن هذه الرائحةَ

---

(١) فعن أبي صالح الزيات أنه سمع أبا هريرة رضي الله عنه يقول: قال رسول الله ﷺ: **«قال الله: كل عمل ابن آدم له إلا الصيام، فإنه لي وأنا أجزي به، والصيام جنة، وإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولايصخب، فإن سابه أحد أو قاتله فليقل: إني امرؤ صائم، والذي نفس محمد بيده لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك. للصائم فرحتان يفرحهما، إذا أفطر فرح، وإذا لقي ربه فرح بصومه»**. أخرجه البخاري (رقم١٩٠٤) ومسلم (رقم ١١٥١).

محبوبةٌ إلى اللهِ، وهي عندَهُ أطيبُ من رائحَةِ المسكِ؛ لأنها ناشئةٌ عن طاعَتِهِ، وهي أثرٌ مِنْ آثارِ عبادَتِه، فاللهُ يحبُّها، وهي طيبةٌ عنده، وإن كانتْ مكروهةً في مشامِّ الناسِ.

وهذا مما يدلُّ على فضلِ الصيامِ، ولذلك أوجبَهُ اللهُ سبحانه وتعالى على هذه الأمةِ، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ ﴾ [البقرة: ١٨٣].

ومعنى كُتِبَ: فُرِضَ، فاللهُ فَرَضَ الصيامَ على هذه الأمةِ وجعلَهُ أحدَ أركانِ الإسلامِ، ورغَّبَ النبيُّ ﷺ في صيامِ التطوعِ زيادةً على صيامِ الفريضةِ؛ لأنَّ الصيامَ محبوبٌ إلى اللهِ سبحانه وتعالى، فيحبّ من عبدِهِ أنْ يُكْثِرَ منه، ولكنه سبحانه وتعالى من رحمتِهِ بعبادِهِ وتخفيفِهِ عنهم لم يفرضْهُ عليهم إلاّ شهراً واحداً في السنةِ، وبقيةُ الشهورِ الأحدَ عشرَ مِنَ السنةِ يفطرون فيها إن شاؤوا، وإن شاؤوا زيادةَ الأجرِ صاموا منها ماتيسرَ لهم، فجعلَ الخيارَ لهم في سائرِ السنةِ بينَ أن يصوموا وأن يفطروا، ولكنْ صيامُهُمْ أحبُّ إليه سبحانه وتعالى، حسبَ ما بينه الرسولُ ﷺ من صيامِ الأيامِ التي حدَّدَها ﷺ، صومَ يومِ الاثنينِ والخميس[1] مِنْ

---

(١) فعن مولى أسامة بن زيد أنه انطلق مع أسامة إلى وادي القرى في طلب مال له، فكان يصوم يوم الإثنين ويوم الخميس، فقال له مولاه: لِمَ تصوم يوم الإثنين ويوم الخميس وأنت شيخ كبير؟! فقال إن نبي الله ﷺ كان يصوم يوم الإثنين ويوم الخميس، وسئل عن ذلك، فقال: «**إن أعمال العباد تعرض يوم الإثنين ويوم الخميس**». أخرجه أبو داود (رقم ٢٤٣٦) والنسائي (رقم ٢٣٦٠) وصححه الألباني في صحيح الجامع (رقم ١٥٧٠). وعن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ يتحرى صوم الإثنين والخميس. أخرجه الترمذي (رقم ٧٤٥) والنسائي (رقم ٢١٨٨) وابن ماجه (رقم ١٧٣٩) وقال الترمذي: حديث عائشة حديث حسن غريب. وصححه الألباني في صحيح الجامع (رقم ٤٨٩٧).

كلِّ أسبوعٍ، صومِ ثلاثَةِ أيامٍ من كُلِّ شهرٍ[١]، صومِ عشرِ ذي الحجةِ[٢]، صومِ يومِ عرفةَ، صومِ يومِ عاشوراء[٣] ويوم قبله أو بعده، ومن زادَ على ذلك فإنه لايسردُ الصيامَ كُلَّ الدهرِ، فإنَّ اللهَ يكرَهُ مِنْ عبادِهِ أنْ يصوموا كُلَّ الدهرِ؛ لِمَا في ذلك مِنَ المشقةِ عليهم، وإنما يصومون ويفطرون، فقد كان النبيُّ ﷺ يصومُ ويفطرُ على امتدادِ السنةِ، فكانَ ﷺ يصومُ حتَّى يُقالَ: لايفطرُ، وكان يفطرُ حتى يقالَ: لايصومُ، بمعنى أنه ﷺ كان يكثرُ مِنَ الصيامِ، وكان يكثرُ مِنَ الإفطارِ، هذه سنَّتُهُ ﷺ[٤].

الحاصلُ: أنَّ الصيامَ محبوبٌ إلى اللهِ عزَّ وجلَّ، ولذلك يجبُ على الصائِمِ أنْ يصلحَ النيةَ في صيامِهِ للهِ عزَّ وجلَّ، وأن ينوي التقربَ إلى اللهِ، وأن يصبرَ على

---

(١) فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: أوصاني خليلي بثلاث، لا أدعهن حتى أموت: صوم ثلاثة أيام من كل شهر، وصلاة الضحى، ونوم على وتر. أخرجه البخاري (رقم ١١٧٨، ١٩٨١) ومسلم (رقم ٧٢١).
وعن أبي ذر قال: أمرنا رسول الله ﷺ أن نصوم من الشهر ثلاثة أيام البيض: ثلاث عشرة، وأربع عشرة وخمس عشرة. أخرجه الترمذي (رقم ٧٦١) والنسائي (رقم ٢٤٢٠، ٢٤٢١) والبغوي في شرح السنة (رقم ١٨٠٠) وابن خزيمة في صحيحه (رقم ٢١٢٧، ٢١٢٨) وقال الترمذي: حديث أبي ذر حديث حسن.

(٢) وعن بعض أزواج النبي ﷺ أنه كان يصوم تسع ذي الحجة، ويصوم عاشوراء وثلاثة أيام من الشهر أو الإثنين من الشهر والخميس، وفي لفظ: الخميسين. أخرجه أبو داود (رقم ٢٤٣٧) والنسائي (رقم ٢٤١٥) وأحمد (٦/ ٢٨٨).

(٣) عن أبي قتادة الأنصاري أن رسول الله ﷺ سُئِلَ عن صوم يوم عرفة؟ فقال: «**يكفر السنة الماضية والباقية**» قال: وسئل عن صوم يوم عاشوراء؟ فقال: «**يكفر السنة الماضية** أخرجه مسلم (رقم ١١٦٢).

(٤) فعن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ يصوم حتى نقول: لايفطر، ويفطر حتى نقول: لايصوم وما رأيت رسول الله ﷺ استكمل صيام شهر قط إلا رمضان، وما رأيته في شهر أكثر منه صياماً في شعبان. أخرجه البخاري (رقم ١٩٦٩) ومسلم رقم ١١٥٤).

مايجدُهُ في الصيامِ مِنَ المشقَّةِ؛ لأنَّها في طاعَةِ اللهِ سبحانه وتعالى، فعليه أن يخلصَ النيةَ وعليه أن يصبرَ، ثم أيضاً: الصيامُ ليسَ هو مجردَ تركِ الطعامِ والشرابِ والشهواتِ المأكولَةِ أو المشروبَةِ، ولكنه مع ذلكَ إمساكٌ عن كُلِّ ما حرَّمَ اللهُ سبحانه وتعالى، فالسمعُ يصونُهُ عن سماعِ مالايحلُّ الاستماعُ إليه مِنَ الغيبةِ والنميمةِ، ومن سماعِ الأغاني والمعازفِ والمزامير، فإنَّ هذا محرمٌ في طولِ السنةِ، ولكن في حقِّ الصائم يكونُ تحريمُهُ أشدَّ؛ لأنه يؤثّرُ على صيامِهِ.

وكذلك يصون لسانَه عَنِ الكلامِ المحرَّمِ مِنَ الغيبةِ والنميمةِ، والسبِّ والشتمِ، وقولِ الزورِ، وإنْ كان هذا محرماً في كُلِّ السنةِ، ولكنَّه في حالةِ الصيامِ أشدُّ تحريماً وأعظمُ إثْماً؛ لأنه يجرحُ صيامَهُ.

وكذلك يصونُ نظرَهُ عَنِ النظرِ إلى ما حرَّمَ اللهُ مِنَ النظرِ إلى النساءِ، أو نظرِ النساءِ إلى الرجالِ، أو النظرِ في الصورِ الفاتنةِ والمسلسلاتِ الخليعةِ التي تعرضُ في أجهزةِ الفيديو أو أجهزةِ التلفزيون، فيصونُ نظرَهُ عَنِ النظرِ في هذه الأشياءِ في جميعِ الأحوالِ، ولكنْ في حالَةِ الصيامِ يكونُ ذلك أشدَّ لأنه يفسدُ عليه صيامَهُ.

فقد يصومُ الصائِمُ ويشتدُّ جوعُهُ وعطشُهُ ويشتدُّ تعبُهُ، وليس له أجرٌ عندَ اللهِ عزَّ وجلَّ، بسببِ أنه سلَّطَ لسانَهُ في الكلامِ الحرامِ، وسلَّط نظرَهُ على النظرِ الحرامِ، وسلَّطَ أُذُنَيْهِ على استماعِ المحرَّمِ، فهذا في الحقيقةِ لم يَصُمْ، وإنما تَرَكَ الطعامَ والشرابَ فقط، فهو يتعبُ بلا فائدَةٍ، فالصيامُ يشملُ جميعَ هذه الأشياءِ؛ صيامَ البطنِ عَنِ الأكلِ والشربِ وسائِرِ المفطراتِ، وصيامَ السمعِ عَنْ كُلِّ كلامٍ محرمٍ، وصيامَ النظرِ عَنْ كُلِّ ما حرَّمَ اللهُ النظرَ إليه، وصيامَ اللسانِ عَنِ النطقِ بالفحْشِ والآثامِ، فتصومُ جميعُ جوارِحِهِ، وكذلك تصومُ يدُهُ ورجلُهُ عَنِ المشي

فيما حَرَّمَ اللهُ والبطشِ فيما حرَّمَ اللهُ.

فالصيامُ عبادةٌ عظيمةٌ، إذا دخلَ فيه الإنسانُ فإنه يتجنبُ كُلَّ مالا يتناسبَ مع صيامِهِ، مثلُ المُحْرِم بحجٍّ أو عمرةٍ؛ إذا دَخَلَ في الإحرامِ حُرِّم عليه أشياءُ كانتْ مباحةً له قبلَ الإحرامِ، وهناكَ أشياءُ محرمةٌ عليه في حالَةِ الإحرامِ وغيرِهِ، كذلك الصائِمُ هناك أشياءُ تَحْرُمُ عليه في وقتِ الصيامِ فقط كالأكلِ والشربِ وما أحلَّ اللهُ له قبلَ الصيامِ، وهناك أشياءُ محرمةٌ عليه دائماً، ولكن يشتدُّ تحريمُهَا في حالةِ الصيامِ، فالصائِمُ يجبُ عليه أن يراعي صيامَهُ عَنْ كُلِّ ما يُجْرِحُهُ، حتَّى لو أنَّ أحداً اعتدىٰ عليه بالكلام فإنَّه لايردّ عليه، بل يقولُ: إنِّي صائِمٌ، قال ﷺ: «**فإنْ سابَّهُ أحدٌ أو شاتَمَهُ، فليقُلْ: إنِّي صائِمٌ، إني صائِمٌ**»[1]، فلا يردَّ على من تكلَّمَ بحقِّه، بَلْ يقولُ: إنِّي صائِمٌ، فإذا كان لايردُّ على من اعتدى عليه، فكيفَ هو يعتدِي على الناسِ؟!

الحاصِلُ: أنَّ الصيامَ عبادةٌ عظيمةٌ، تجبُ مراعاتُهُ واحترامُهُ، وأنْ لا يكون الإنسانُ في حالَةِ صومِهِ وفي حالَةِ فِطرِهِ على حدٍّ سواء، وإنْ كان في حالةِ فطرِهِ أيضاً يخافُ اللهَ عزَّ وجلَّ ويخشاه، ويتجنبُ ماحرَّمَ اللهُ، فإنه في حالَةِ صومِهِ من بابِ أولى وأحرىٰ، وإلاّ فإن صيامَهُ يكونُ مجردَ تعبٍ بلا فائِدةٍ.

نسأل اللهَ عزَّ وجلَّ أن يوفّقَ الجميعَ لما يحبُّ ويرضَىٰ، وصلَّى اللهُ وسلَّم على نبيِّنَا محمدٍ وعلى آلِهِ وصحبِهِ أجمعين.

* * *

---

(١) تقدم ص١٢.

المجلسُ الرابعُ
في حفظِ الصيامِ مِنَ المؤثراتِ

الحمدُ للهِ ربِّ العالمين، والصلاةُ والسلامُ على نبيِّنا محمدٍ وعلى آلِهِ وأصحابِهِ أجمعين، وبعدُ:

فإنَّ الصيامَ يعوّدُ المسلمَ على الأخلاقِ الطيبةِ، ويُسهِّلُ عليه فعلَ الطاعاتِ وتجنُّبَ المحرماتِ والمكروهاتِ، ويُعوِّدَهُ الإحسانَ إلى المحتاجِينَ، ويُلَيِّنُ قلبَهُ لذكرِ اللهِ، ففوائِدُ الصيامِ عظيمةٌ وكثيرةٌ، وهي فوائدُ ظاهرةٌ يعرِفُهَا الناسُ، فيظهرُ على الصائِمِ مِنَ الخوفِ والخشيةِ والانكسارِ والقربِ مِنَ الخيرِ مالا يظهرُ على غيرِهِ مِنَ المُفْطِرين.

ولكنْ ينبغي أنْ يُعلمَ أنَّ الصيامَ لايأتي بهذه الفوائدِ، وهذه الصفاتِ الحميدةِ، إلاّ إذا صانَهُ صاحبُهُ عمَّا يخلُّ بِهِ، فإنَّه بمنزلَةِ اللباسِ إذا صانَهُ صاحبُهُ وحافَظَ عليه، سَترهُ ووقَاهُ مِنَ الحرِّ والبردِ، وأصبحَ لباساً ضافياً على جسمِهِ، وجمَّلَ صورَتَهُ وهيئَتَه، وإذا لَمْ يحافظْ عليه تعرَّضَ للخروقِ والشقوقِ، وتعرَّضِ للأوساخِ، فأصبحَ لباساً غيرَ مفيدٍ، وأصبحَ لباساً مخرقاً مشققاً متوسخاً، لايُجَمِّلُ صاحِبَهُ، ولايَقِيه مِنْ حرٍّ ولا مِنْ بردٍ، ولايسترُ عورتَهُ، كذلك الصيامُ إذا لم يَصُنْهُ صاحِبُهُ عمَّا يَخْرِقُهُ ويُدَنِّسُهُ، فإنَّه لايفيدُ صاحِبَه إلاّ التعبَ والجوعَ والعطشَ، ولهذا يقولُ ﷺ: «**رُبَّ صائِمٍ حظُّهُ مِنْ صيامِهِ الجوعُ والعطشُ، ورُبَّ قائِمٍ حظُّهُ مِنْ قيامِهِ السهرُ**»[1]، لماذا؟ لأنه لم يَصُنْ صيامَه عمَّا يجبُ صونُهُ عنه

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك [١/ ٤٣١] وأحمد في المسند (٢/ ٣٧٣] والبيهقي في =

وحفظُهُ منه، فالصائِمُ الذي يطلقُ لسانَهُ فِي الكلامِ ـ الكلامُ المحرمُ مِنْ غيبةٍ ونميمةٍ وشتائِمَ وسبابٍ وكُلِّ كلامٍ قبيحٍ ـ هذا قد خَرَقَ صيامَهُ ومزَّقَهُ بلسانِهِ، فلا يكونُ اللسانُ صائماً إلا إذا حُبِسَ عن كُلِّ كلامٍ محرمٍ، واستعمَلَهُ صاحِبُهُ بذكرِ اللهِ وتلاوَةِ القرآنِ والتسبيحِ والتهليلِ والعملِ الصالحِ، هذا الذي يتناسبُ معَ الصائِمِ ومَعَ غيرِ الصائِم، ولكنِ الصائِمُ آكدُ.

وكذلك الصائِمُ الذي يطلقُ نظرَهُ في الحرامِ فلا يغضُّ طرفَهُ عَنْ محرَّمٍ، يخرجُ إلى الأسواقِ وإلى مجامعِ النساءِ وإلى محلاتِ الفتنةِ، ويمتعُ نظرَهُ بالنظرِ الحرامِ، فينظرُ إلى النساءِ وإلى المناظِرِ المحرمةِ، أو يجلسُ في بيتِهِ ويفتحُ على الشاشةِ التلفزيونية أو الفيديو، فتأتيه من أوربا ومن أمريكا، ومن كلِّ مزبلةٍ في العالَمِ مما يُبَثُّ فيها مِنَ العُهْرِ والخلاعَةِ والمجونِ والصورِ العاريَةِ والفواحش، ويجلسُ ينظرُ في هذه الشاشةِ وهو صائِمٌ! هذا لايَبْقَى له صيامٌ، ولكن يبقى له جوعٌ وعطشٌ، ولايبقى لَهُ صيامٌ ينفعُهُ عندَ اللهِ سبحانه وتعالى.

وكذلك الصائِمُ الذي لايصونُ سَمْعَهُ عمّا حَرَّمَ اللهُ، فيستمعُ إلى الأغانِي والمزاميرِ والمعازفِ والكلامِ الباطِلِ، والسّبابِ والشتمِ، والغيبةِ والنميمةِ، هذا لَمْ يَصُمِ الصومَ الذي ينفعُهُ عندَ اللهِ سبحانه وتعالى، وإنما صامَ صَوْماً لافائِدَةَ له فيه، وإن كانَ لايُؤْمَرُ بالإعادَةِ؛ لأنَّه في الظاهِرِ صائِم، ولكنه ليسَ له أجرٌ عندَ اللهِ عزَّ وجلَّ، وصيامُهُ هذا صيامٌ ممزقٌ مخرَّقٌ، لايسترُ عورةً ولايجمّلُ هيئةً،

= السنن الكبرى (٤/ ٢٧٠) والطبراني في معجمه الكبير (١٢/ ٣٨٢ رقم ١٣٤١٣)، الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط البخاري ولم يخرجاه. وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٣/ ٢٠٢) رجاله موثقون. وصححه الألباني في صحيح الجامع (رقم ٣٤٨٨).

ولا يُدْفِئُهُ مِنَ البردِ أو يَقِيه مِنَ الحرِّ، صومٌ إنما هو مُهَلْهَلٌ بالٍ لا ينفعُهُ.

فالواجبُ على الصائِمِ أن يتذكّرَ هذه الأمورَ، وأنْ يحافظَ على صيامِهِ، فإنْ صامَ بطنُهُ عَنِ الطعامِ والشرابِ، وفرجُهُ عَنِ الجماعِ، فليصُمْ لسانُهُ أيضاً عَنِ الكلامِ المحرَّمِ، ليصُمْ نظرُهُ عَنِ النظرِ المحرَّمِ، وليصُمْ سمعُهُ عَنِ سماعِ المحرَّمِ، فيصومُ بكلِّ جوارِحِهِ وأعضائِهِ عَنِ كُلِّ ما حرَّمَ اللهُ سبحانه وتعالى، والصائِمُ يحرَّمُ عليه شيئان:

ـ شيءٌ يحرمُ بالصيامِ فقط، ويباحُ في غيرِ الصيامِ، كالأكلِ والشربِ وتناولِ ما أحلَّ اللهُ، هذا يحرمُ عليه في فترةِ الصيامِ فقط. ويحرمُ عليه أشياءُ كانتْ محرمةً مِنْ قبلُ، ولكنها يزيدُ تحريمُهَا في حقِّه ما دامَ صائماً، وهي سائِرُ المعاصي والمحرماتِ، فهي حرامٌ على الصائِمِ وعلى غيرِ الصائِمِ، ولكنها في حقِّ الصائِمِ أشدّ تحريماً؛ لأنها مع كونِها محرّمةً ومؤثمةً، فهي تؤثرُ على صيامِهِ، وتبطلُ ثوابَه عندَ اللهِ عزَّ وجلَّ، إضافَةً على تحريمِهَا وتأثيمِهاَ المستمر في طولِ الدَّهرِ.

فعلى الصائِمِ أنْ يتذكرَ هذه الأمورَ، وقد أرشدَ النبيُّ ﷺ إلى كفِّ لسانِهِ عَنِ الحرامِ، حتَّى ولو أنَّ أحداً تكلَّمَ عليه وسبَّه وشتَمَهُ فإنَّه لا يردّ عليه، قال ﷺ: **فإنْ سابَّهُ أحدٌ أو شاتَمَهُ فليقُلْ: إنّي صائِمٌ، إنِّي صائِمٌ»** قيل: معنى هذا أنه ينطقُ ويقولُ: إنِّي صائِمٌ؛ لِيُسْمِعَ الخصمَ أنَّه صائِمٌ، يعني: ولولا أنِّي صائِمٌ لرددتُ عليك. وقِيلَ: إنَّه يقولُ ذلك بقلبِهِ وبنفسِهِ، فيتذكرُ أنّه صائِمٌ، فَحبَسَ لسانَه عن الردِّ على من شَتَمَه أو سابَّه، وإنْ كان الردُّ بالمثلِ جائِزاً؛ لأنَّه مِنْ بابِ القصاصِ، ولكنِ الصائِمُ يمتنعُ منه؛ لأنَّ ذلكَ يؤثرُ على صيامِهِ، فإذا كانَ هذا في حقِّ مَنْ سابَّه أحدٌ أو شاتَمَهُ أنَّه لا يردُّ على السابِّ والشاتِمِ، فكيفَ بالذي يبدَأُ الناسَ هو،

ويعتدِي عليهم بالسبِّ والشتمِ، والغيبةِ والنميمةِ؟!

فدلَّ هذا على وجوبِ حفظِ اللسانِ، واللسانُ ـ في الحقيقةِ ـ له أخطارٌ كثيرةٌ على الإنسانِ في حالةِ الصيامِ وفي غيرِ حالةِ الصيامِ، قال ﷺ: «**وَهَلْ يكبُّ الناسَ في النارِ على وُجُوهِهِمْ ـ أو قال: على مَنَاخِرِهِم ـ إلاّ حصائدُ ألسنَتِهِم؟**»[1]، الكلامُ سهلٌ، فالإنسانُ يتكلمُ ويتلذذُ بالكلام، ولكنَّ العاقبةَ وخيمةٌ، والعقوبةَ أليمةٌ، والعياذُ باللهِ، ولذلك يُزيِّنُ الشيطانُ الكلامَ للناسِ مع أنَّه يقطعُ في حُلُوقِهِم وعُرُوقِهم ويُهْلِكُهُم، ويكبُّهُم فِي النارِ على وجوهِهم أو على مناخِرِهم، ولهذا يقولُ الشاعرُ:

احفظْ لسانَكَ أيُّها الإنسانُ ... لايلدَغَنَّك إنَّه ثعبانُ

كَمْ في المقابِرِ من قتيلِ لسانِهِ ... كانتْ تَهَابُ لقاءَهُ الشجعانُ

ويقول الآخرُ:

يموتُ الفتى من عثرةٍ بلسانِهِ ... وليسَ يموتُ المرءُ من عثرةِ الرِّجلِ

فعثرتُهُ بالقولِ تُذْهِبُ رأسَهُ ... وعثرتُهُ بالرِّجْلِ تبرأُ على مهلِ

نسألُ اللهُ أنْ يوفِّقَ الجميعَ لصالحِ القولِ والعملِ، وصلَّى اللهُ وسلَّم على نبيِّنا محمدٍ وعلى آلِهِ وصحبِهِ أجمعين.

* * *

---

(١) أخرجه أحمد (٥/ ٢٣٣، ٢٣٧) والترمذي (رقم ٢٦١٦) وابن ماجه (رقم ٣٩٧٣) وعبد ابن حميد في المنتخب (رقم ٢١٢). وصححه الألباني في صحيح الجامع (رقم ٥١٣٦).

المجلسُ الخامسُ
في فضلِ الإنفاقِ في رمضانَ

بسمِ اللهِ الرحمنِ الرحيمِ، الحمدُ للهِ، والصلاةُ والسلامُ على رسولِ اللهِ، وبعدُ:

فإنَّ الإنفاقَ مِنَ المالِ الطيبِ والكسبِ الحلالِ في سبيلِ اللهِ مِنْ أجلِّ العباداتِ، فالعبادةُ كما تكونُ بالأبدانِ تكونُ أيضاً بالأموالِ، ولهذا جعلَ اللهُ سبحانه وتعالى مِنْ أركانِ الإسلام: الزكاةَ، التي هي: بذلُ شيءٍ مِنَ المالِ، وهو حقٌّ معلومٌ للسائلِ والمحرومِ، فجعلَ اللهُ نَوْعاً مِنَ الصدقاتِ، وهو الزكاةَ، ركناً مِنْ أركانِ الإسلامِ، وكذلك أوجبَ سبحانه وتعالى أنواعاً مِنَ التَّصدُّقِ في الكفاراتِ، مثلَ كفارةِ اليمينِ، وكفارةِ الظهارِ، وكفارةِ قتلِ الصيدِ في الحرمِ أو للمحرمِ، فأوجبَ سبحانه بعضَ الكفّاراتِ مِنَ الأموالِ، وماعَدَا ذلك فإنَّه يكونُ تَطوُّعاً مِنْ أفضلِ أنواعِ التطوعِ.

وإنفاقُ المالِ الحلالِ في طاعةِ اللهِ يكونُ أيضاً في الجهادِ، الذي هو مِنْ أشرفِ الأعمالِ، فالجهادُ في سبيلِ اللهِ بالأموالِ مقدَّمٌ على الجهادِ بالنفسِ في آياتِ القرآنِ؛ لِمَا فيه مِنَ النفعِ المتعدّي، فينبغي للمسلمِ أن يعلمَ هذا ليؤدِّي ما أوجبَ اللهُ عليه في مالِهِ مِنْ حقٍّ معلومٍ، وأنْ يتصدقَ ويتطوعَ فيما زادَ عن ذلك ولا يُحْرِمُ نفسَهُ، ولاسيما في هذا الشهرِ المبارَكِ ومواسِمِ الخيرِ، ولايحتقرُ الإنسانُ الصدقةَ ولو كانتْ قليلةً، فإنَّ اللهَ سبحانه وتعالى يُنْقِذُ الإنسانَ مِنَ النارِ بشقِّ تمرةٍ، قال ﷺ: «**فاتَّقوا النارَ ولو بشقِّ تمرةٍ، فَمنْ لَمْ يَجِدْ فَبكلمةٍ**

طيبةٍ»(١)، اللهُ جلَّ وعلا يتقبلُ الصدقةَ من عبدِهِ المؤمِنِ ويُربِّيها له كَماَ يُرَبِّي أحدُكُمْ فُلُوَّهُ، حتَّى تكونَ كالجبلِ العظيمِ(٢)، فلا يحقِرَنَّ أحدٌ شيئاً مِنَ الصدقةِ بالمالِ ولو كان قليلاً، فما بالُكَ إذا كان كثيراً؟ فإنها تعمرُ المساجدُ مِنَ الأموالِ الطيبةِ، وتُبنىٰ المدارسُ، ويُنشرُ الخيرُ، ويجاهدُ في سبيلِ اللهِ، فالأموالُ مجالُها واسعٌ، مجالُ الأموالِ الطيبةِ واسعٌ، وخيرُهَا كثيرٌ على أهلِهَا إذا أنفقُوهَا في طاعَةِ اللهِ عزَّ وجلَّ ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّا۟ئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦١﴾﴾ [البقرة: ٢٦١].

والصدقةُ إذا كانتْ على القريبِ المحتاجِ فإنَّها أفضلُ مِنَ الصدقةِ على غيرِه؛ لأنَّها على القريبِ المحتاجِ تكونُ صدقةً وصلةً(٣)، فيكون فيها أجران: أجرُ الصدقةِ، وأجرُ الصلةِ.

والإنفاقُ في سبيلِ اللهِ يشملُ: إنفاقَ الإنسانِ على نفسِهِ، وإنفاقِهِ على زوجَتِهِ وعلى أولادِهِ وعلى أَهْلِ بيتِهِ، له في ذلك الأجرُ العظيمُ، فالإنفاقُ إذا كان مِنْ كسبٍ طيبٍ، وبنيةٍ صالحةٍ، فإنَّ أجرَهُ عظيمٌ، وخيرَهُ كثيرٌ.

---

(١) أخرجه البخاري (رقم ١٤١٣، ٣٥٩٥) ومسلم (رقم ١٠١٦).

(٢) فعن أبي هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**من تصدق بعدل تمرة من كسب طيب، ولايقبل الله إلا الطيب، وإن الله يتقبلها بيمينه، ثم يربيها لصاحبه كما يربي أحدكم فلوه حتى تكون مثل الجبل**». أخرجه البخاري (رقم ١٤١٠) ومسلم (رقم ١٠١٤).

(٣) فعن سلمان بن عامر الضبي قال: قال رسول الله ﷺ: «**الصدقة على المسكين صدقة، وعلى ذي القرابة اثنتان: صدقة وصلة**». أخرجه الترمذي (رقم ٦٥٨) وابن ماجه (رقم ١٨٤٤) وابن خزيمة (رقم ٢٠٦٧)، ٢٣٨٥) وأحمد (٤/١٧، ١٨) والدارمي (رقم ١٦٨٧، ١٦٨٨). وصححه الألباني في صحيح الجامع (رقم ٣٨٥٨).

فعلى الإنسانِ أنْ لايغلبه حبُّ المالِ، والشحُّ بالمالِ والبخلُ، أن يحرِمَ نفسَهُ مِنْ هذا المالِ، فإنَّ هذا المالَ عاريةٌ بيدِهِ، وقد اتاحَ اللهُ له فرصةً في أن يتصدقَ منه وأن يقدّمَ لنفسِهِ، فإذا مَنَعَ الصدقةَ من هذا المالِ وجمَعَه وأوعَاهُ، فإنه سيذهبُ ويتركُهُ، ويكونُ نفعهُ لغيرِهِ، ويكونُ تعبُهُ وحسابُهُ عليه، فكيفَ يحرمُ الإنسانُ نفسَه؟ ولماذا يجمعُ هذا المالَ؟ وهو يعلمُ أنه مرتحلٌ، وأنه لا ينفعُهُ من هذا المالِ إلا ما قدَّمَه لنفسِهِ قبلَ موتِهِ أو بعدَ موتِهِ، صدقةً جاريةً تجري عليه بعد موتِهِ: «**إذا ماتَ ابنُ آدمَ انقطعَ عملُهُ إلاّ من ثلاثٍ: صدقةٍ جاريةٍ، أو علمٍ ينتفعُ به، أو لدٍ صالحٍ يدعُو لَه**»[1].

ثُمَّ ليعلم المسلمُ أنْ اللهَ جلَّ وعلا طيبٌ لا يقبلُ إلا طيباً، فلا يتصدقُ الإنسانُ من مالٍ حرامٍ أو من كسبٍ خبيثٍ، فإنَّ ذلك لايقبله اللهُ سبحانه وتعالى، وكذلك لايتصدقُ الإنسانُ من مالٍ رديءٍ قليلٍ نفعُهُ، قال اللهُ سبحانه وتعالى: ﴿**وَلَا تَيَمَّمُوا۟ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغْمِضُوا۟ فِيهِ**﴾ [البقرة: ٢٦٧] والخبيثُ، المرادُ به هنا: الرديءُ ليسَ المرادُ به المحرمَ، فإذا كانَ الإنسانُ لا يريدُ هذا الطعامَ لرداءَتِهِ راحَ يتصدَّقُ به، وقد نَهَىَ اللهُ سبحانه وتعالى عنه: ﴿**وَلَا تَيَمَّمُوا۟ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ**﴾ فلا يتصدَّقُ مِنَ الثيابِ إلا بما يَرَى أنه متقطعٌ ومتمزقٌ، ولايصلحُ للّبسِ، أو يصلحُ مدةً قليلةً، كذلكَ الطعامُ لايتصدَّقُ إلا بالطعامِ الذي لا ترغبُهُ النفوسُ، هذا لايكونُ صدقةً، وإنما يكونُ تخلُّصاً! هذا لا ينفعُ عندَ اللهِ سبحانه وتعالى، قالَ اللهُ سبحانه: ﴿**لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ**﴾ [آل عمران: ٩٢]، وقال تعالى: ﴿**وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا**

---

(١) أخرجه مسلم (رقم ١٦٣١).

وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ ﴾ [الإنسان: ٨]، يطعمون مِنَ الطعامِ الذي يريدونَه لأنفسِهِم ويحبُّونَه، لكن يقدمون محبةَ اللهِ على محبةِ أنفسِهِم ﴿لَن تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ ۚ وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴿٩٢﴾ ﴾.

وهذا هو الذي ينبغي للإنسانِ أن ينفقَ منه، وهو الشيءُ النافعُ، ولاسيما إذا كانتْ نفسُهُ تحبُّه، تصدَّقَ به ونفسُه تحبُّه، فهذا دليلٌ على إيمانِه، وعلى تقديمِ رضَا اللهِ سبحانه وتعالى، كما قال اللهُ جلَّ وعلا عَنِ الأنصارِ: ﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾ ﴾ [الحشر: ٩].

نسألُ اللهَ أن يوفقَ الجميعَ لما يحبُّ ويرضَى، وصلَّى اللهُ وسلَّم على نبيِّنا محمدٍ.

* * *

المجلسُ السادسُ
في قيامِه ﷺ في شهرِ رمضانَ، وذكرِ شيءٍ مِنْ خصالِه ﷺ

الحمدُ للهِ ربِّ العالمين، والصلاةُ والسلامُ على نبيِّنا محمدٍ وعلى آله وصحبِه أجمعين.

ذكرُ شيءٍ مِنْ فخصالِ النبيِّ ﷺ، فخصالُهُ ﷺ وصفاتُهُ وشمائِلُهُ كثيرةٌ جدًّا، أَلَّف فيها العلماءُ مصنفاتٍ طويلةً، سمُّوها: كتبَ الشمائِلِ المحمديةِ، فقد أعطىٰ اللهُ هذا النبيَّ الكريمَ مِنَ الصفاتِ الحميدةِ مالم يُعْطِهِ لمخلوقٍ سواه؛ لأنه أفضلُ الرسلِ، وإمامُ المتقين، وسيدُ ولدِ آدمَ، فكان لايُسبقُ في أي خصلةٍ مِنْ خصالِ الخيرِ، ولا أحد يُدانيه أو يُباريه عليه الصلاةُ والسلامُ، فقد كان في قيامِ الليلِ يقومُ قياماً طويلاً حتَّى تفطّرتْ قدماه مِنْ طولِ القيامِ، فقالتْ له عائشةُ رضي اللهُ عنها في ذلك: لِمَ تفعلُ هذا وقد غَفَرَ اللهُ لك ماتقدَّم مِنْ ذنبِك وما تأخَّر؟ قال: «**أفلا أكونُ عبداً شكوراً؟**»(١) حتَّى إنَّ حذيفةَ بنَ اليمانِ رضي اللهُ عنه قامَ مع النبيِّ ﷺ في بعضِ الليالي، يظنُّ أنه سيطيقُ القيامَ معه، فقامَ ﷺ فقرأَ سورةَ البقرةِ كاملةً، ثم قرأ سورةَ النساءِ كاملةً، ثم قرأ سورةَ آلِ عمرانَ كاملةً، لايمرُّ بآيةٍ فيها رحمةٌ إلاّ وقفَ يسألُ، ولايمرُّ بآيةٍ فيها ذكرُ العذابِ إلاّ وقَفَ وتعوَّذَ(٢)، حتَّى قال حذيفةُ: لقد هممتُ أنْ أجلسَ وأتركَه(٣) ـ من طولِ القيامِ ـ.

---

(١) أخرجه البخاري (رقم ١١٣٠) ومسلم (رقم ٨١٩).
(٢) أخرجه مسلم (رقم ٧٧٢).
(٣) أخرجه البخاري (رقم ١١٣٥) ومسلم (رقم ٧٧٣).

هذا نموذجٌ مِنْ قيامِهِ ﷺ، وكان ركوعُهُ في الطولِ نحواً من قيامِهِ، وسجُودُه نحواً من ركوعِهِ عليه الصلاةُ والسلامُ.

وأمّا في الصيامِ فكانَ ﷺ كثيرُ الصيامِ حتّى يقولَ القائِلُ: لايفطرُ، وكانَ يفطرُ عليه الصلاةُ والسلامُ حتّى يقولَ القائِلُ: لا يصومُ، فكانَ كثير الصيامِ، وكانَ كثير الإفطارِ، عليه الصلاةُ والسلامُ[١].

وفي الجهادِ في سبيلِ اللهِ كانَ أشجعَ الشجعانِ، وكان في مقدمةِ الجيوشِ، حتّى إنَّ الصحابةَ كانوا يتّقُونَ بِهِ العدوَّ؛ لأنَّه كان ﷺ يكونُ أقربَهم إلى العدوِّ، حتّى قالَ عليُّ بنُ أبي طالبٍ رضي اللهُ عنه؛ وهو أشجعُ الشجعانَ؛ : كنّا نتّقي برسولِ اللهِ ﷺ إذا حَمِيَ الوطيسُ واحمرَّتِ الحدقُ، كان أقربَنَا إلى العدوِّ عليه الصلاةُ والسلامُ. هذا من شجاعتِهِ عليه الصلاةُ والسلامُ فِي الجهادِ والحروبِ[٢].

وأما في الصدقَةِ والجودِ، فكان أجودَ الناسِ عليه الصلاةُ والسلامُ، وكان لايدّخرُ شيئاً على كثرةِ ما يأتِيه مِنْ مالِ اللهِ من هنا وهناك، مِنَ الجهادِ والمغانِم والهدايا والأموالِ، كان لايدَّخِرُ شيئاً، وإنما ينفقه في سبيلِ اللهِ وعلى المحتاجين، حتّى إنه لما ماتَ عليه الصلاةُ والسلامُ كان عليه دينٌ، وكانتْ درعُهُ مرهونَةً عند يهوديٍّ بطعامٍ اشتراه لأهلِهِ[٣]! لم يتركْ ﷺ مالاً ولا تركةً. وإنما كان

---

(١) تقدم.

(٢) فعن عليٍّ رضي الله عنه قال: لقد رأيتنا يوم بدر ونحن نلوذ برسول الله ﷺ وهو أقربنا إلى العدو، وكان من أشد الناس يومئذ بأساً. أخرجه أحمد (١/٨٦، ١٢٦، ١٥٦) وقال الشيخ أحمد شاكر في تحقيق المسند: إسناده صحيح (رقم ٦٥٤).

(٣) فعن عائشة رضي الله عنها قالت: توفي رسول الله ﷺ ودرعه مرهونة عند يهودي بثلاثين صاعاً من شعير. أخرجه البخاري (رقم ٢٩١٦) ومسلم (رقم ١٦٠٣).

عليه الصلاةُ والسلامُ يعيشُ مع أصحابِهِ كما يعيشُ الفقراءُ؛ لأنَّه ﷺ لايدّخِرُ شيئاً مِنَ المالِ، وإنما ينفقُهُ في سبيلِ اللهِ، إمَّا في الجهادِ، وإمَّا للفقراءِ والمساكين، وإمّا للتأليفِ على الإسلامِ، وكان لايردُّ سائلاً، حتَّى لو سألَهُ السائِلُ ثوبَهُ الذي عليه لخَلَعَه وأعطاه إيّاه، وقد علمتُمْ قصةَ الشملةِ (يعني العباءَةَ) التي أُهْدِيتْ للنبيِّ ﷺ، وكان محتاجاً إليها فلبسَها عليه الصلاةُ والسلامُ، فسأله إيَّاها سائلٌ فخلَعَها وأعطاها إيّاه؛ لأنَّه ﷺ كان لايردُّ سائلاً[1].

هذه صفتُه ﷺ في الجودِ وبذلِ المالِ، لكنْ ما كانَ يبذلُ المالَ في التبذيرِ أو الإسرافِ أو البذخِ، وإنما ينفقُ المالَ في سبيلِ اللهِ، ويضعه في مواضِعِه التي تعودُ بالنفعِ على المسلمين، هكذا كان إنفاقُه ﷺ، وكان في رمضانَ أجودَ مايكونُ، كانَ ﷺ في شهرِ رمضانَ أجودَ بالخيرِ مِنَ الريحِ المرسلةِ[2].

فالمسلمُ لايمكنُ أن يلحقَ بالرسولِ ﷺ، ولايمكنُ لأيِّ مخلوقٍ أن يساويَ النبيَّ ﷺ أو يلحقَ بِهِ، ولكنَّ الاقتداءَ مطلوبٌ: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ [الأحزاب: ٢١]، فالمسلمُ يقتدي بالرسولِ ﷺ في هذه الخصالِ حسبَ استطاعَتِهِ، وإلاّ فإنه لن يلحقَ بالرسولِ ﷺ، ولكن يقتدي بِهِ بحسبِ استطاعَتِهِ، يصلِّي مِنَ الليلِ ويصومُ مِنَ الأيامِ، ويتصدقُ مِنَ المالِ، حسبَ

---

(١) فعن سهل بن سعد رضي الله عنه قال: جاءت امرأة ببردة، قال: أتدرون ما البردة؟ فقيل له: نعم، هي الشملة منسوج في حاشيتها، قالت: يارسول الله إني نسجت هذه بيدي أكسوكها، فأخذها النبي ﷺ محتاجا إليها، فخرج إلينا وإنها إزاره، فقال رجل من القوم: يارسول الله اكسنيها. فقال: نعم. فجلس النبي ﷺ في المجلس، ثم رجع فطواها، ثم أرسل بها إليه، فقال له القوم: ما أحسنت، سألتها إياه لقد علمت أنه لايرد سائلاً. فقال الرجل: واللهِ ما سألته إلا لتكون كفني يوم أموت. قال سهل: فكانت كفنه. أخرجه البخاري (رقم ١٢٧٧، ٢٠٩٣).

(٢) تقدم.

استطاعتِهِ وموجودِهِ، يشاركُ في كُلِّ خصلةٍ مِنْ خصالِ الخيرِ، اقتداءً بالنبيِّ ﷺ، يجاهدُ في سبيلِ اللهِ، يدعو إلى اللهِ، يأمرُ بالمعروفِ، وينهىٰ عَنِ المنكرِ، وهكذا، فالمسلمُ لايقعدُ عَنِ الخيرِ، ويقولُ: أنا لستُ مثلَ الرسولِ. أنتَ مأمورٌ بالاقتداءِ بالرسولِ، ولكن تفعلُ حسبَ ماتستطيعُ، وإلاّ فإنَّ الرسولَ ﷺ لن يلحقَ به أحدٌ في خصالِ الخيرِ وأعمالِ البرِّ.

وكان ﷺ في الدعوةِ إلى اللهِ والأمرِ بالمعروفِ والنهْيِ عَنِ المنكرِ، كان يبذلُ نفسَه عليه الصلاةُ والسلامُ، حتَّى إنَّه يعرضُ نفسَه للأخطارِ، بدعوةِ الكفارِ والمنافقين واليهودِ والنصارىٰ، كان يدعو إلى اللهِ في كلِّ مجالٍ وفي كلِّ مناسبةٍ، كان يخرجُ مِنْ مكةَ، كما خَرَجَ إلى الطائفِ، وكان يخرجُ إلى الموسمِ في أيامِ الحجِّ، ويعرضُ نفسَه على القبائلِ في منىً، يدعوهم إلى اللهِ عزَّ وجلَّ، مع ما هم فيه مِنَ العداوةِ لرسولِ اللهِ ﷺ والحقدِ، وأنهم يودّون قَتْلَه، ولكنِ اللهُ يحميه منهم، فكان يعرضُ نفسَه للخطرِ في سبيلِ الدعوةِ إلى اللهِ عزَّ وجلّ، وكان يحبُّ أن يهتدي الناسُ إلى الحقِّ، وكان يسوؤه إذا لم يستجيبوا، يسوؤه جدًّا، ويضيقُ صدرُهُ ﷺ، إذا رأىٰ الناسَ لايستجيبون للإيمانِ، وذلك إشفاقاً عليهم مِنْ عذابِ اللهِ، حتَّى قالَ اللهُ له: ﴿ لَعَلَّكَ بَـٰخِعٌ نَّفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ۝٣ ﴾ [الشعراء: ٣] يعني: لعلّك مهلكٌ نفسَكَ في سبيلِ دعوتِهِم ألاّ يكونوا مؤمنين، ثم بيّنَ اللهُ له أنَّ عليه البلاغَ فقد، عليه أن يبلغَ دعوةَ اللهِ عزَّ وجلَّ، وأمّا هدايةُ القلوبِ فهي بيدِ اللهِ عزَّ وجلَّ، فما على الرسولِ إلاّ البلاغُ.

وقد بلّغَ ﷺ البلاغَ المبينَ، وما قصَّرَ في شيءٍ، وبيّن للناسِ كُلَّ شيءٍ أنزلَهُ اللهُ إليه، حتَّى قَالَ في حجةِ الوداعِ: «**ألا هل بلّغتُ؟**» قالوا: نشهدُ أنَّك بلغتَ

وأديتَ ونصحتَ فقال: «**اللّهُمَّ اشهدْ**»[١]، هكذا كان النبيُّ ﷺ في دعوتِهِ الناسَ إلى الخيرِ، والأمرِ بالمعروفِ والنهيِ عَنِ المنكرِ، يريدُ لهم الخيرَ، ويريدُ لهم النجاةَ، ويريدُ لهم السلامةَ والسعادةَ في الدنيا والآخرةِ؛ لأنه ﷺ أنصحُ الخلقِ، وقد بلغَ في النصحِ عليه الصلاةُ والسلامُ منتهاه، فكان ناصحاً أميناً مبلغاً عَنِ اللهِ سبحانه وتعالى، إلى أن أكملَ اللهُ به الدينَ وأتمَّ به النعمةَ وأقامَ بهِ الحجةَ وأبانَ به المحجةَ، وما توفِّي ﷺ إلاّ وقد قامَ بجميعِ وظائِفِ الرسالَةِ وكمّلَها، وقال: «**تركتُكُمْ على البيضاءِ، ليلُها كنهارِهَا لايزيغُ عنها إلاَّ هالِكٌ**»[٢]، وقال عليه الصلاةُ والسلامُ: «**إني تاركٌ فيكُمْ ما إنْ تمسّكْتُم به لن تضلوا بعدي: كتابَ اللهِ وسنَّتِي**»[٣].

هكذا كان ﷺ، وهذه بعضُ صفاتِهِ عليه الصلاةُ والسلامُ، فعلى المسلمِ أن يقتدِيَ برسولِ الله ﷺ في خصالِ الخيرِ بحسبِ ما يستطيعُ وما يقدرُ عليه، وصلَّى اللهُ وسلَّم على نبيِّنَا محمدٍ وعلى آلِهِ وصحبِهِ أجمعين.

* * *

---

(١) أخرجه مسلم (رقم ١٢١٨).

(٢) أخرجه ابن ماجه (رقم ٤٣) وأحمد في المسند ٤/١٢٦.

(٣) أخرج مسلم من حديث جابر في حجة الوداع: «**وقد تركت فيكم ما لن تضلوا بعده إن اعتصمتم به، كتاب الله، وأنتم تسألون عني، فما أنتم قائلون؟**» (رقم ١٢١٨).

المجلسُ السابعُ
في فضلِ تلاوةِ القرآنِ

الحمدُ للهِ، والصلاةُ والسلامُ على رسولِ اللهِ، وعلَى آله وصحبه، وبعدُ:

فهذا بيانُ فضلِ القرآنِ العظيمِ، وفضلِ تلاوَتِهِ والإكثارِ مِنْ ذلك، فإنَّ القرآنَ هو كلامُ اللهِ سبحانه وتعالى الذي تكلَّم بِهِ حقيقةً وسمعَه جبريلُ، وتحمَّلَه مِنْ عندِ اللهِ، وبلَّغه لمحمدٍ ﷺ وحياً، وبلّغه محمدٌ ﷺ لأمتِهِ، وتناقلَتْهُ أمتُهُ جيلاً بعدَ جيلٍ، فهو كتابُ اللهِ الذي لا يأتيه الباطلُ من بين يديه ولا من خلفِهِ، تنزيلٌ من حكيمٍ حميدٍ، وهو الهُدَى والنورُ والفرقانُ والضياءُ والرحمةُ، وهو الصراطُ المستقيمُ، تكفَّلَ اللهُ سبحانه وتعالى بحفظِهِ، فلا يتطرقُ إليه عبثٌ ولاتحريفٌ ولاتبديلٌ ولاتغييرٌ، بل يبقى كما أنزله اللهُ سبحانه وتعالى لهدايةِ الخلقِ، قال تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝ ﴾ [الحجر: ٩]، فيبقى كما أنزله اللهُ غَضًّا طريًّا إلى أن يرفعَه اللهُ في آخرِ الزمانِ، فإنّه في آخرِالزمانِ يُرْفَعُ، فمنه بَدَأَ، أنزلَهُ اللهُ عزَّ وجلَّ، وإليه يعودُ في آخرِ الزمانِ، فيُرْفَعُ مِنَ المصاحِفِ ومن صُدُورِ الرجالِ[1]، وذلك عندَ قيامِ الساعةِ، فما دامَ هذا القرآنُ باقياً فالناسُ بخيرٍ، يرجعون إليه، ويقتدون به، ويعملون به، ويحكمُ بينهم، فإذا رُفِعَ فَسَدَتْ حالُ العالمِ ـ نسألُ اللهَ العافيةَ ـ وحلَّ بِهِمُ الدَّمَارُ.

وهذا القرآنُ أنزلَهُ اللهُ جلَّ وعلا للتلاوَةِ والعملِ بهِ ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ

---

(١) فعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: «ليسرين على القرآن ذات ليلة ولايترك آية في مصحف ولا في قلب أحد إلا رفعت» أخرجه الدارمي (رقم ٣٣٤٣).

ٱللَّهِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَـٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٠﴾﴾ [فاطر: ٢٩ـ٣٠].

وهو خاتمةُ الكتبِ السماويةِ، وهو أعظمُهَا وأجلُّهَا، يحكمُ عليها ويهيمنُ عليها، ويصدقُ ما فيها من حقٍّ، ويردُّ ما فيها من تحريفٍ وتبديلٍ: ﴿إِنَّ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَكْثَرَ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٧٦﴾ وَإِنَّهُۥ لَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٧﴾﴾ [النمل: ٧٦ـ٧٧]، ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ [المائدة: ٤٨].

فإنَّ اللهَ سبحانه وتعالى ضمَّنَ هذا القرآنَ ما لم يتضمنْ غيره مِنَ الكتبِ، ففيه توحيدُ اللهِ عزَّ وجلَّ، وفيه أخبارُ الماضي، وأخبارُ المستقبلِ في آخرِ الدنيا، وأخبارُ يومِ القيامَةِ (فيه نبأ ما قبلكُم وخبرُ مَا بَعْدَكُم)[1]، وفيه بيانُ الأحكامِ الشرعيةِ، والحكمُ بينَ الناسِ فيما اختلفوا فيه، وبيانُ الحقِّ مِنَ الباطِلِ، فهو الفرقانُ؛ لأنه يفرقُ بينَ الحقِّ والباطِلِ، وفيه القصصُ، قصصُ الأولين، وأخبارُ الأُمَمِ السابقة، وأخبارُ الرسلِ، وأخبارُ من آمَنَ بهم، وأخبارُ من كذَّبَهم، وما حلَّ بالمكذبين، وما أكرمَ اللهُ بِهِ الطائعين مِنَ النصرِ والتأييدِ والظهورِ على من خالَفَهُم، وفيه الأمثالُ والعبرُ، وفيه المواعظ، وفيه أوصافُ الجنةِ، وأوصاف

---

(١) فعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: أما إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ستكون فتن» قلت: وما المخرج منها؟ قال: «كتاب الله، فيه نبأ ما قبلكم وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم، هو الفصل ليس بالهزل، هو الذي من تركه من جبار قصمه الله، ومن ابتغى الهدى في غيره قصمه الله، فهم حبل الله المتين، وهو الذكر الحكيم، وهو الصراط المستقيم، وهو الذي لاتزيغ به الأهواء، ولاتلتبس به الألسنة ...» الخ. أخرجه الدارمي (رقم ٣٣٣١) وأحمد ٩١/١ والترمذي (رقم ٢٩١١).

النارِ، وفيه صفاتُ المؤمنين، وصفاتُ المنافقين، وصفاتُ الكفارِ.

كُلُّ ذلك موجودٌ في القرآنِ، وأكثرُ منه، وفيه الوعدُ والوعيدُ، وفيه مِنَ العلومِ ما لايعلمه إلاّ اللهُ سبحانه وتعالى، فإنه اشتملَ مِنَ العلومِ على ما لا يعلمه إلاّ اللهُ، فيه التوحيدُ والعقيدةُ، وبيانُ أسماءِ اللهِ وصفاتِهِ، والأمرُ بعبادَتِهِ وتركُ عبادَةِ ماسواه، وفيه التحذيرُ مِنَ الشركِ، وبيانُ أنواعِ الشركِ، وبيانُ كُلِّ ما يتعلَّقُ بالإيمانِ باللهِ واليومِ الآخرِ والملائكةِ والكتابِ والنبيين، والإيمانِ بالقدرِ خيرِه وشرِّه، فيه أركانُ الإيمانِ، وأركانُ الإسلامِ، وفيه مِنَ العلومِ والأخبارِ والقصصِ والأمثالِ والعبرِ والمواعِظِ ما لايحيطُ بِهِ إلاّ اللهُ سبحانه وتعالى، ولكنْ كلُّ عالمٍ يأخذُ منه بقدرِ علمِهِ، وما يجهلُهُ أكثرُ وأكثرُ، فإنَّه بحرٌ لاتغيضُ معلوماتُه ولايحاطُ بأسرارِهِ؛ لأنَّه كلامُ اللهِ عزَّ وجلَّ، وفضلُه على سائرِ الكلامِ كفضلِ اللهِ على خلقِهِ.

وقد جاءَ الترغيبُ بتلاَوتِهِ، والإكثارِ من ذلك، وبتدبُّرِهِ والعملِ بِهِ ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [ص: ٢٩]، فليسَ الغرضُ مِنْ قراءَتِهِ مجردَ المرورِ على الآياتِ وختمِ القرآنِ عشرَ مراتٍ أو عشرين مرّة، ليس هذا هو المقصودَ، المقصودُ هو الانتفاعُ بالقرآنِ، والعملُ بالقرآنِ، ولكنّ التلاوةَ وسيلةٌ إلى العملِ، والتلاوةُ عملٌ صالحٌ، لكنْ لا يقتصرُ على التلاوةِ، بل لابُدّ مِنَ العملِ، ولابُدَّ مِنَ التدبّرِ، ولابُدَّ مِنَ التفكُّرِ في معانيه، حتَّى ينتفعَ العبدُ بكلامِ اللهِ عزَّ وجلَّ، وقد جاءَ في الحديثِ أنَّ «**مَنْ قَرَأَ حَرْفاً مِنْ كتابِ اللهِ فله حسنةٌ، والحسنةُ بعشرِ أمثالِهَا، لا أقولُ: الم حرفٌ، ولكنْ ألفُ حرفٌ، ولامٌ حرفٌ، وميمٌ حرفٌ**»[1] وبكُلِّ حرفٍ حسنةٌ، وبكلِّ حسنةٍ عشرُ حسناتٍ.

---

(١) أخرجه الترمذي (رقم ٢٩١٥) وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب.

وهذه مضاعفةُ مِنَ اللهِ سبحانه وتعالى، فتلاوةُ القرآنِ مطلوبةٌ من المسلمين، والعملُ به وتفهُّم معانيه، كُلُّ ذلك مطلوبٌ مِنَ المسلِمِ، وإلاّ فإنَّ الذي يقرأُ القرآنَ ولايعملُ بِهِ يكونُ حجةً عليه يومَ القيامةِ، ولها يقولُ ﷺ: «**والقرآنُ حجةٌ لك أو حجةٌ عليك**»[1] حجةٌ لك إذا علمتَ به، وحجةٌ عليك إذا لم تعملْ به، فإنَّ القرآنَ يكونُ خصماً يومَ القيامَةِ لأصحابِهِ الذين حملُوه وخالفوه ولم يعملوا به، ومن تبعه القرآنُ فإنه يزفّه إلى النارِ، ومن تَبِعَ القرآنَ فإنَّ القرآنَ يقودُهُ إلى الجنّةِ، فالقرآنُ إمّا أن يكونَ أمامَك يدلُّكَ على الخيرِ، ويقودُكَ إلى الجنّةِ، وإمَّا أن يكونَ خلفَ ظهرِكَ يدفَعُكَ إلى النارِ، والعياذُ باللهِ، قال اللهُ تعالى: ﴿ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ ﴾ [الأنعام: ١٩] فهو نذيرٌ، وهو حجةٌ، وهو قرآنٌ، وهو نورٌ لمن وفّقَه اللهُ سبحانه وتعالى، فليسَ بعدَ نزولِ القرآنِ عذرٌ لأحدٍ؛ لأنَّ اللهَ سبحانه وتعالى بيّنَ فيه الحقَّ مِنَ الباطلِ والهُدَى مِنَ الضلالِ، فمن أخذَ بهِ وعَمِلَ بِهِ فإنه يكونُ مِنَ السعداءِ عندَ اللهِ، ومن أعرضَ عنه فإنه يكونُ مِنَ الأشقياءِ ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ ﴾ [طه: ١٢٤].

نسألُ اللهَ العافيةَ، وأنْ يجعلَنا اللهُ وإياكُمْ مِنْ أهلِ القرآنِ الذين حفظوه والذين تَلَوْهُ حقَّ تلاوتِهِ، وعملوا به، واهتدوا بهديه، وصلّى اللهُ وسلّم على نبيِّنا محمدٍ وعلى آلِهِ وصحبِهِ أجمعين.

---

(١) فعن أبي مالك الأشعري قال: قال رسول الله ﷺ: «**الطهور شطر الإيمان، والحمد لله تملأ الميزان، وسبحان الله تملآن ـ أو تملأ ـ ما بين السموات والأرض، والصلاة نور، والصدقة برهان، والصبر ضياء، والقرآن حجة لك أو عليك، كل الناس يغدو فبائع نفسه فمعتقها أو موبقها**» أخرجه مسلم (٢٢٣).

المجلسُ الثامنُ
في ذكرِ أشربةِ أهلِ الجنةِ

الحمدُ للهِ ربِّ العالمين، وصلَّى اللهُ وسلَّم على نبيِّنا محمدٍ وعلى آلِهِ وصحبِهِ.

ذكرَ اللهُ سبحانه وتعالى أشربةَ أهلِ الجنةِ، فقال سبحانه وتعالى: ﴿فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾ [محمد: ١٥]، هذه الأشربةُ هي أشربةُ أهلِ الدنيا، قد ذكرَ اللهُ سبحانه وتعالى أنَّها في الجنةِ، ولكن تختلفُ عمَّا في الدنيا وعمَّا يعرفُه الناسُ، وإنْ كانت تشتركُ في الاسمِ، وتشتركُ في المعنى، ولكن تختلفُ في الحقيقةِ والكيفيةِ، فالأشربةُ التي في الدنيا تنقطعُ، وأما أشربةُ الجنةِ فإنها لاتنقطعُ أبداً، والأشربةُ التي في الدنيا قليلةٌ كمياتُهَا، ولكنَّ الأشربةَ التي في الجنةِ: أنهارٌ تجري، والأشربةُ التي في الدنيا تتغيرُ وتفسدُ، فالماءُ إذا حُبِسَ فإنه يأسنُ وينتنُ، وأما الماءُ الذي في الجنةِ فإن لايتغيرُ أبداً ولايفسدُ، سواءٌ كان جارياً أو كان محبوساً.

واللبنُ الذي في الدنيا إذا تأخَّرَ يفسدُ وتصيبُهُ الحموضةُ والانقباضُ، وربما يتخمَّرُ، أما لبنُ الجنةِ فإنه لايتغيَّرُ طعمُهُ أبداً، مهما طَالَ البقاءُ ومَهَمَا تأخَّرَ استعمالُه، فإنَّه دائِمٌ طيبٌ لا يتغيرُ.

الخمرُ التي في الدنيا خبيثةٌ منتنةٌ، مزيلةٌ للعقلِ مسكرةٌ، تجرُّ على أصحابِهَا الويلاتِ، تجرَّ عليهم الفسادَ وذهابَ العقولِ، فهي أمُّ الخبائِثِ وقد حرَّمَها اللهُ

ورسولُهُ، وأجمعَتِ الشرائعُ على تحريمِ خمرِ الدنيا، وأيضاً تورثُ المرضَ في الجسمِ، ويصابُ مدمِنُهَا بفسادِ جسمِهِ، تؤولُ بِهِ إلى الهلاكِ وتحدثُ أمراضاً مستعصيةً لايمكنُ علاجُهَا، سمَّاها اللهُ تعالى رِجْساً من عملِ الشيطانِ.

أمّا خمرُ الجنةِ، فإنها خمرٌ طيبةٌ، ليس فيها آفةٌ وليس فيها كدرٌ، ولاتذهبُ العقولَ ﴿لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ ﴿١٩﴾﴾ [الواقعة: ١٩]، نَفَى سبحانه عن خمرِ الجنةِ الآفاتِ التي في خمرِ الدنيا، فخمرُ الدنيا خبيثةٌ وخمرُ الجنةِ طيبةٌ، ولهذا قال: ﴿لَذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ ﴿٤٦﴾﴾ خلافَ خمرِ الدنيا، فإنها لا لذةَ فيها، بل هي مرةُ الطعمِ، كريهةُ المذاقِ، خبيثةُ الرائحةِ، سيئةُ الأثرِ على من شَرِبَها، وقد رتّبَ اللهُ على شارِبِهَا الحدَّ بأن يجلدَ ثمانين جلدةً، وأسقطَ عدالَتَهُ فلا تقبلُ له شهادةٌ إلاّ أن يتوبَ إلى اللهِ سبحانه وتعالى؛ لأنه مرتكبٌ لكبيرةٍ مِنْ كبائِرِ الذنوبِ، أمّا خمرُ الجنةِ فإنها طيبةٌ نافعةٌ لذيذةٌ، لايعتريها أيُّ آفةٍ مِنْ آفاتِ خمرِ الدنيا، وَإِنِ اشْتَرَكَتْ مَعَ خمرِ الدنيا في الاسمِ، لكنَّ المعنى والحقيقةَ مختلفان جدًّا.

وممّا في الجنةِ مِنَ المشارِبِ: العسلُ، وهو موجودٌ في الدنيا، وهو مِنْ ألذِّ المشارِبِ وأنفعِهَا، وفيه شفاءٌ، كما ذكرَ اللهُ سبحانه وتعالى، مع أنَّه لذيذٌ وطيبٌ ففيه شفاءٌ للناسِ.

عسلُ الجنةِ أحسنُ مِنْ عسلِ الدنيا، بل لا يُشْبِهُ عسلَ الدنيا إلاّ بالاسمِ، ولهذا قال: ﴿مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى﴾ لأنَّ عسلَ الدنيا فيه كَدَرٌ، ويحتاجُ إلى تصفيةٍ، ويحتاجُ إلى تَعَبٍ بعدَ تحصيلِهِ، خلافَ عسلِ الجنةِ، فإنَّه مصفّى مِنَ الأصلِ، لايحتاجُ أنَّ أهلَ الجنةِ يتعبون في تصفيَتِهِ وفِي إصلاحِهِ مثلَ ما يتعبون فِي عَسَلِ الدنيا، ثم أيضاً عسلُ الدنيا قليلٌ، كمياتٌ قليلةٌ، أمّا عسلُ الجنةِ فإنه أنهارٌ تجري

﴿ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى ﴾ أنهارٌ كثيرةٌ[(١)]، وهذا من عجائِبِ آياتِ اللهِ سبحانه وتعالى؛ أنه أجرَى فِي الجنةِ هذه الأنهارَ مِنْ شيءٍ كان معروفاً عندَ الناسِ في الدنيا أنَّه قليلٌ، وهذا مما يدلُّ على أنَّ الجنةَ تختلفُ اختلافاً كثيراً عمَّا في الدنيا، لكن الذي في الدنيا ممَّا في الجنةِ إنما هو نماذجُ يسيرةٌ، حتَّى قال ابن عباسٍ رضي اللهُ عنهما: «ليسَ في الدنيا ممّا في الجنةِ إلاّ الأسماءُ» يعني: أنّ ما في الجنةِ يختلفُ كُلَّ الاختلافِ عمَّا فِي الدنيا، وإنْ كان الذي في الدنيا يشبِهُهُ من بعضِ الوجوه، ويشارِكُهُ فِي الاسمِ، لكن يختلفُ عنه اختلافاً كثيراً.

وكذلك سائِرُ ما في الجنةِ مِنَ الثمراتِ والفواكِه، تختلفُ عمّا في الدنيا اختلافاً كثيراً لا يعلمُهُ إلاّ اللهُ سبحانه وتعالى، وإنما يعرفُ الناسُ ما في الجنةِ بما يجدونَ نظيرَه عندَهُم في الدنيا، وأمّا ما ليسَ له نظيرٌ في الدنيا، فإنّ اللهَ أخفاه عنهم، ولا يعلمُهُ إلاّ هو سبحانه وتعالى، قال تعالى: ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ [السجدة: ١٧] فلا يحيطُ بأوصافِ الجنةِ وما فيها إلاّ اللهُ سبحانه وتعالى، وإنما بيَّن لنا أشياءَ مما فيها لأجلِ أن نعرفَ ذلك فَنَجِدُّ في طلبِهِ، والسعْي لحصولِهِ بالأعمالِ الصالحةِ، كما أنَّه جعلَ في الدنيا نماذجَ مِمَّا في النارِ، مِنْ أجلِ أنْ نخافَ مِنَ النارِ ونجتنبَ ما يسببُ دخولَها، فكُلُّ ما يتألّمُ الناسُ منه في الدنيا، وكلُّ مايكرهونه في الدنيا، وكُلُّ مرضٍ وكُلُّ آفةٍ وكُلُّ شرٍّ في الدنيا، إنَّ نظيره في النارِ - والعياذُ باللهِ - لكنْ ما في النارِ أشدُّ وأبقىٰ.

فإذا عرفَ الناسُ هذه النماذجَ التي في الدنيا ممّا في النارِ، سَبَّبَ ذلك

(١) فعن حكيم بن معاوية عن أبيه عن النبي ﷺ قال: «إن في الجنة بحر الماء وبحر العسل وبحر اللبن وبحر الخمر، ثم تشقق الأنهار بعدُ». أخرجه الترمذي (رقم ٢٥٧٦) وقال: هذا حديث حسن صحيح.

الخوفَ والفرارَ مِنَ النارِ، فالحرُّ والبردُ الشديدان ـ مثلا في الدنيا ـ لهما نظير في النار، لكنه أشدّ وأعظمُ وأبقىٰ، كذلك النارُ التي في الدنيا، أيضاً نارُ الآخرةِ أشدُّ منها وأبقى وأحرُّ[1] ﴿قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَّوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ ﴿٨١﴾﴾ [التوبة: ٨١]، كذلك الآلامُ، النارُ فيها آلامٌ لايعلمُهَا إلاّ اللهُ، تذوبُ لها الجبالُ الرواسي، ولكنَّ أجسامَ أهلِ النارِ تعذّبُ فيها وتخلَّدُ فيها ـ والعياذ باللهِ ـ فلا يموتون فيها فيستريحون، ويتمنون الموتَ من أجلِ أن يستريحوا، لكن لا يموتون، بل يبقون معذبين فيها أبدَ الآبادِ، نسألُ اللهَ العافيةَ.

فهذا ممّا يوجبُ للإنسانِ إذا تذكّرَ ما في النارِ، يوجبُ له الخوفَ وتجنُّبَ المعاصي، وإذا تذكّرَ ما في الجنةِ، أوجبَ له الرجاءَ والطمعَ برحمةِ اللهِ، فيعملُ الأعمالَ الصالحةَ والحسناتِ التي تقرِّبُه إلى الجنةِ، وتسبّبُ له دخولَهُا برحمةِ اللهِ سبحانه وتعالى، هذا من حكمةِ اللهِ جلَّ وعلا، أنْ أجْرَىٰ في هذه الدنيا نماذجَ ممّا في الدارين الجنةِ والنارِ، من أجلِ العظةِ والاعتبارِ، والخوفِ والرجاءِ.

نسألُ اللهَ أن يوفقَ الجميعَ لما يحبُّ ويرضَى، وصلَّى اللهُ وسلَّم على نبيِّنا محمدٍ.

* * *

---

(١) فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «ناركم جزء من سبعين جزءاً من نار جهنم» قيل: يارسول الله إن كانت لكافية. قال: «فضلت عليهن بتسعة وستين جزءاً، كلهن مثل حرِّها». أخرجه البخاري (رقم ٣٢٦٥) ومسلم (رقم ٢٨٤٣).

المجلسُ التاسعُ
آدابُ تلاوةِ القرآنِ

الحمدُ للهِ، والصلاةُ والسلامُ على رسولِ اللهِ، وبعدُ:

فهذا طرفٌ من آدابِ تلاوةِ القرآنِ الكريمِ؛ لأنَّ القرآنَ الكريمَ كلامُ اللهِ سبحانه وتعالى، فيجبُ تعظيمُهُ ويجبُ احترامُهُ، والتهيُّؤُ لقراءتِهِ على أحسنِ حالٍ، فمن آدابِ التلاوةِ: أنَّه إن كان يقرأُ مِنَ المصحفِ فإنَّه يجبُ عليه أنْ يتوضأَ، ولا يجوزُ له أن يمسَ المصحفَ على غيرِ طهارَةٍ؛ لقول ﷺ: «**لا يمسُّ القرآنَ إلاّ طاهرٌ**»[1] وإن كان يقرأُ عَنْ ظهرِ قلبٍ، فإنه يستحبُّ له أن يكونَ على وضوءٍ، ويجوزُ أن يقرأَ وهو على غيرِ وضوءٍ، أمّا من عليه حدثٌ أكبرُ كالجنابةِ والحيضِ، فلا يجوزُ له أَنْ يقرأَ القرآنَ مطلقاً، لامِنَ المصحفِ ولاعَنْ ظهرِ قلبٍ، حتَّى يتطهرَ مِنَ الحدثِ الأكبرِ؛ لأنَّ النبيَّ ﷺ كان يقرأُ القرآنَ إلاّ إذا كانَ جنباً، فإنَّه لايقرأُ القرآنَ حتَّى يغتسلَ.

ومن **آدابِ تلاوَةِ القرآنِ**: أن يستعيذ باللهِ مِنَ الشيطانِ الرجيمِ في بدايةِ التلاوَةِ؛ لقولِهِ تعالى: ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾ ﴾ [النحل: ٩٨]، وذلك لأنَّ الشيطانَ يحضرُ عندَ القارِىء ليلبسَ عليه القراءةَ، ويُشوِّشُ عليه ويصرِفُه عَنِ التدبُّرِ، فإذا استعاذَ باللهِ مِنَ الشيطانِ الرجيمِ أعاذَهُ اللهُ

---

(١) أخرجه الحاكم ٣/ ٤٨٥ وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. وصححه الزيلعي في نصب الراية (رقم ٨١٦) وما بعده، والحديث صححه الألباني في إرواء الغليل (رقم ١٢٢) وصحيح الجامع (رقم ٧٧٨٠).

منه وصَرَفَهُ عنه، فاستفادَ مِنْ تلاوَتِهِ، وإلاّ فإنه يُوسْوِسُ له ويشغلُهُ عَنِ القراءَةِ، هذه فائدةُ الاستعاذَةِ في أولِ القراءَةِ: طردُ الشيطانِ.

وَمِنْ آدابِ التلاَوةِ: أنه إذا بدأَ من أولِ سورةٍ أن يقولَ: بسمِ اللهِ الرحمنِ الرحيمِ؛ لأنَّ البسملةَ نزلتْ في بدايةِ السورِ إلاّ سورةَ التوبة، أما بقيةُ السورِ فإنه يستحبُّ أن يبدأَ البسملةَ في أولِهَا.

ومن آدابِ التلاَوةِ: ترتيلُ التلاوَةِ، والترتيلُ معناه: التأنِّي في التلاَوةِ وعدمِ السرعةِ، وإعطاءِ الحروفِ حقَّها مِنَ التجويدِ حسبَ استطاعَتِهِ، المهمُّ أنْ يترسلَ فِي القراءَةِ فيقرأُ آيةً آيةً، ويقفُ على رؤوسِ الآياتِ، ولايهذ القراءةَ هذًّا، ويهذرمُ فيها هذرمةً وسرعةً، هذا يخلُّ بالقراءَةِ، وفي الأثرِ النهي عن هذِّ القرآنِ هذَّ الشعرِ(١)، ونثرِهِ نثرَ الدّقلِ، يعني: رديءَ التمرِ.

ومن آدابِ التلاوَةِ: أن يُحسِّنَ صوتَه بالقرآنِ، فيقرأُ بصوتٍ حسنٍ حسبَ استطاعَتِهِ؛ لأنَّ تحسينَ التلاَوةِ وتحسينَ الصوتِ بالقرآنِ يرغبُ فِي الاستماعِ، ويلذذُ القارىءَ والسامعَ.

ومن آدابِ التلاَوةِ: كونُه يراعِي من حَوْلَه، فإذا كان حَوْلَه نائمٌ أو قارىءٌ آخرُ يقرأُ أو يصلِّي، فإنه لايجهرُ جهراً يشوشُ على من حَوْلَهُ ويؤذِيه بلْ يجهرُ بحسبِ مايسمعُ نفسَهُ، ولايشوشُ على الآخرين.

ومن هذا نعرفُ أنَّ هؤلاءِ الذين يطلقون أصواتَ مكبراتِ الصوتِ مِنَ المساجِدِ، فيشوشون على الناسِ في بيوتِهِم، وفي أسواقِهِم، وفي مساجِدِهِم،

---

(١) جاء رجل إلى مسعود رضي الله عنه فقال: قرأت المفصل الليلة في ركعة. فقال: هذًّا كهذِّ الشعر...
أخرجه البخاري (رقم ٧٧٥) ومسلم (رقم ٨٢٢).

أنَّ هذا خلافَ المشروعِ، وهم يأثمون على ذلك، ولايؤجرون؛ لأنَّ هذا أذىً.
أما إذا كان الإنسانُ ليسَ عندَه أحدٌ يتأذَّى بجهرِهِ فإنَّه يجهرُ الجهرَ الذي لايصلُ إلى حَدِّ الإسرافِ، وإنما يكون جهراً يسمعُ نفسَه، ويسمعُ من يستمعُ إليه ممن حوله، وكذلك في صلاة الليلِ، إذا كان في مكانٍ خالٍ ليسَ عنده نُوّامٌ، ولا أحدٌ، يجهرُ أما إذا كان عنده من يشوش عليه بجهرِهِ ويتأذَّى به، فإنه يُسِرّ، فيراعي من حَوْلَه. وبعضُ الناسِ لايراعي من حوله ويشوشُ على الناسِ، يشوّشُ على المصلين، يشوشُ على التّالين للقرآنِ في الصفِّ، يشوشُ على من حَوْله، وهذا منهيٌّ عنه، فقد خرجَ النبيُّ ﷺ على أصحابه وهم يصلون من الليل ويجهرون بالقراءة فقال ﷺ: «**كُلُّكُمْ يناجِي ربَّه، فلا يجهرُ بعضُكُم على بعضٍ**»[1] نَهَى ﷺ عَنِ الجهرِ الذي يؤذِي مَنْ حوله.

ومن آدابِ التلاوةِ: بلْ مِنَ الواجِبِ فيها ـ أنْ يتجنبَ اللحنَ الذي يخلُّ بالقراءَةِ، من نصبِ المرفوعِ، أو رفعِ المنصوبِ، أو جرِّ المرفوعِ، أو غيرِ ذلك،

---

(١) عن البياضي أن رسول الله ﷺ خرج على الناس وهم يصلون وقد علت أصواتهم بالقراءة، فقال: «**إن المصلي يناحي ربه عز وجل فلينظر ما يناجيه، ولايجهر بعضكم على بعض بالقرآن**».
أخرجه أحمد ٤/ ٣٤٤.
وعن أبي سعيد الخدري قال: اعتكف رسول الله ﷺ في المسجد فسمعهم يجهرون بالقراءة وهو في قبة له، فكشف الستور، وقال: «**ألا إن كلكم مناج ربه: فلا يؤذين بعضكم بعضا، ولايرفعن بعضكم على بعض بالقراءة**» أو قال: «**في الصلاة**».
أخرجه أحمد ٣/ ٩٤ وأبو داود (رقم ١٣٣٢) وابن خزيمة (رقم ١١٦٢) والحاكم (١/ ٣١٠ـ٣١١) والبيهقي في السنن الكبرى ٣/ ١١. وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين. ووافقه الذهبي.
وقال ابن عبد البر في التمهيد ٢٣/ ٣٠٩: وحديث البياضي وحديث أبي سعيد ثابتان صحيحان، والله أعلم.

يتجنبُ هذا ويقرأُ الآياتِ حسبَ الشكلِ الموضوعِ على الحروفِ، فيرفعُ المرفوعَ، وينصبُ المنصوبَ، ويجرُّ المجرورَ، ولايُخلّط في ذلك، إلا إذا كان ليس عنده معرفة بالنحوِ، فهو يتبعُ الشكلَ الموجودَ، أمّا الذين منَّ اللهُ عليهم بمعرفةِ النحوِ فهؤلاءِ لايحتاجون إلى الشكلِ، هؤلاءِ يعدلون القراءةَ على حسبِ قواعِدِ النحوِ، وإنما جَعَلَ هذا الشكلَ للذين لايحسنون العربيةَ، فعلى كُلِّ حالٍ عليه أنْ يقرأَ حسبَ الوجهِ الصحيحِ مِنَ الرفعِ والنصبِ والجرِّ والجزمِ وغيرِ ذلك.

ومن أعظمِ آدابِ التلاوةِ: تدبُّرُ القرآنِ والتأثُّرُ بمعانِيه، والاتعاظُ بمواعظِهِ، والتفكُّر فيه، ولايكونُ المقصودُ هو ختمَ القرآنِ والمرورَ على الآياتِ والسورِ بسرعةٍ، من غيرِ أنْ ينتفعَ، ومن غيرِ أن يستفيدَ، ومن غيرِ أنْ يتأثرَ بالقرآنِ، هذه قراءةٌ لا فائدةَ منها، فعليه أن يحاولَ أن يتفهمَ القرآنَ حسبَ استطاعَتِهِ، وإذا صلحتْ نيتُه فإنَّ اللهَ جلَّ وعلا يفتحُ له بابَ الفهمِ، ويفتحُ له بابَ الانتفاعِ بالقرآنِ، قال تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾ ﴾ [محمد: ٢٤]، والقرآنُ فيه أشياءُ واضحةٌ يعرفُها العاميُّ والمتعلمُ، فذكرُ النارِ، وذكرُ الجنةِ، وذكرُ العذابِ، وذكرُ النعيمِ، وتحريمُ الربا، وتحريمُ الزنا، وتحريمُ الكذبِ، وتحريمُ الغشِّ وتحريم الميتةِ، كُلُّ هذا في القرآنِ، وكلٌّ يعرفُه، ففيه أشياءُ واضحةٌ، كوجوبِ الصلاةِ، ووجوبِ الزكاةِ، ووجوبِ الصيامِ، ووجوبِ الحجِّ، فيه أشياءُ واضحةٌ يعرفُ وجوبَها أو تحريمَها كلُّ قارِىءٍ؛ لأنَّ القرآنَ بلسانٍ عربيٍّ، فكُلُّ العربِ يعرفون معاني القرآنِ بحسب أفهامِهِم واستطاعَتِهِم، فلا أحدٌ ممن ينطقُ بالعربيةِ ـ عاميّاً أو متعلماً ـ إلاَّ وهو يفهمُ مِنَ القرآنِ شيئاً كثيراً.

وأمّا دقائقُ المسائِلِ ودقائِقُ الأحكامِ، فهذهِ مِنِ اختصاصِ العلماءِ، فالقرآنُ كُلٌّ يستفيدُ منه، العاميُّ والمتعلمُ والعالمُ، كُلٌّ يستفيدُ منه على حسبِ استطاعَتِهِ، فعلى المسلمِ أنْ يتدبرَ القرآنَ ويتأمَّلَ فيه ويتفكّرَ فيه ويستفيدَ منه بحسبِ استطاعَتِهِ.

واللهُ الموفقُ والهادِي إلى سواءِ السبيلِ، وصلَّى اللهُ وسلَّم على نبيِّنا محمدٍ.

* * *

المجلسُ العاشرُ
في التحذيرِ مِنْ خطواتِ الشيطانِ

الحمدُ للهِ على فضلِهِ وإحسانِهِ، والصلاةُ والسلامُ على نبيِّنا محمدٍ وعلى آلِهِ وصحبه، وبعدُ:

قال اللهُ تعالى: ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ ﴾ [النور: ٢١]، ينادي عبادَه المؤمنين فيأمُرُهُم وينهاهُم، يأمُرُهُم بما يدخلُهُمُ الجنةَ، وينهاهُم عمّا يدخلُهُمُ النارَ، وكُلُّ ما أمرَاللهُ تعالى بِهِ فإنه سببٌ لدخولِ الجنةِ، وكُلُّ ما نهى عنه فإنه سببٌ لدخولِ النارِ، فاللهُ يدعُوهُم مع أنه غنيٌّ عن عبادِهِ، لايدعوهم لمصلحتِه ولا لحاجَتِهِ، بل هو الغنيُّ سبحانه، ولو كفروا كلُّهُم ما نقصَ ذلك مِنْ ملكِه شيئاً، ولو آمنوا كُلُّهم ما زادَ ذلك في ملكِهِ شيئاً، فملكُهُ تامٌّ من دونِهِم، ولكن هُمُ الذين يحتاجون إلى الإيمانِ، ويحتاجون إلى العملِ الصالحِ، وهم الذين يتضررون بالكفرِ والشركِ والمعاصِي، فهو يدعُوهُم لمصلحتِهِم، ويأمُرُهُم لمصلحتِهِم هم، وينهاهُمُ عمّا يضرُّهُم، وهذا من رحمتِهِ سبحانه وتعالى وهذا أعظمُ الفضلِ؛ أنَّ اللهَ يدعُوكَ وهو غنيٌّ عنك، وأنتَ تعرضُ عنه وأنتَ محتاجٌ إليه، وتبتعدُ عَنِ اللهِ وأنتَ لاتستغني عنه طرفةَ عينٍ، هذا مِنَ العجائِبِ! ومن ضياعِ الرأيِ، وفسادِ التفكيرِ، وخرابِ العقولِ.

ولو أنَّ العقولَ سليمةٌ وصحيحةٌ لأدركتِ الحكمةَ في أوامرِ اللهِ ونواهِيه، وأنها راجعةٌ لمصلَحتِها، فَإن امتَثَلُوها حصلوا على المصلحةِ العاجِلَةِ والآجِلَةِ، وإن ضيَّعُوها حصلوا على المضرّةِ العاجلةِ والآجلةِ، فهم إنما يهلكون أنفسَهُم

ويضيّعُون أنفسَهُم، إذا هم أعرضوا عَنْ طاعَةِ اللهِ عزَّ وجلَّ، وإنما ينفعون أنفسَهُم إذا عملوا بطاعَةِ اللهِ، فالضررُ والنفعُ عائِدٌ إليهم، فأينَ العقولُ؟ وأينَ التفكيرُ؟ لكن قد تطمسُ هذه العقولُ فلا ينتفعُ بها أصحابُهَا ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ﴾ [الأعراف: ١٧٩]، يعني: لايفقهون فِقْهاً ينفعُهُم، ولاينظرونَ نَظَراً ينفعُهُم، ولايسمعون سَمْعاً ينفعُهُم، وإنْ كانوا يسمعون وينظرون مثل البهائِمِ، تنظرُ ولكن لاتدري، فقد تذهَبُ إلى مافيه هلاكها؛ لأنها لاتدري، كذلك الإنسانُ الذي لم ينتفعْ بعقلِهِ وسمعِهِ وبصرِهِ، هذا أضلُّ مِنَ البهائِمِ؛ لأنَّ البهائِمَ لم تكلّفْ، وليسَ عليها حسابٌ، والإنسانُ مكلفٌ وعليه حسابٌ، وينتظره ثوابٌ أو عقابٌ ﴿أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴿١٧٩﴾﴾.

وكما أنَّ اللهَ يدعو إلى الجنةِ، فالشيطانُ وأولياؤه يدعُونَ إلى النارِ، قال اللهُ سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّمَا يَدْعُواْ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٦﴾﴾ [فاطر: ٦]، ففرق بينَ دعوةِ اللهِ، ودعوةِ الشيطانِ وأعوانِه، وكونهم يدعون إلى النارِ، ليس معناه أنهم يقولون للناس: تعالوا إلى النارِ، لو قالوا هذا ما جاءهم أحدٌ، ولكن يدعون الناسَ إلى الشهواتِ والمستلذاتِ المحرمةِ، ويزينون لهم القبيحَ بصورةِ الشيءِ الحسنِ، ويغرّرون بهم ويخدعونهم، ويزيّفون لهم، ويظهرون لهم بمظهرِ الناصحين والمشفقين والأحبابِ، وهم في الحقيقةِ أعداؤهم الألداءُ، فأنت بين دعوتين، بين دعوةِ اللهِ سبحانه وتعالى إلى الجنة وبين دعوةِ الشيطانِ وحزبه إلى النارِ، فانظر من تجيبُ، وهذا شيءٌ واضحٌ؛ إنَّ كنتَ على الطاعَةِ والاستقامَةِ ومحبةِ الخيرِ، محافظاً على الفرائِضِ، مجتهداً فيما تيسَّرَ مِنَ النوافِلِ، فأنتَ قد أجبت دعوةَ اللهِ سبحانه وتعالى، وإن كنتَ على العكسِ؛

مصاحباً للمعاصِي والسيئاتِ، مضيِّعاً للواجباتِ، مرتكباً للمحرماتِ، لاتبالي، فأنتَ قد أجبتَ دعوةَ الشيطانِ، وأنتَ مِنْ حزبِ الشيطانِ، فعليك أن تتوبَ إلى اللهِ عزَّ وجلَّ، وأن تخلّصَ نفسَكَ مِنَ الشيطانِ مادُمْتَ في زمنِ الإمكانِ، هذا هو الواجبُ على كُلِّ مسلمٍ؛ أن يفكرَ لنفسِهِ، وأن يتبصرَ.

واللهُ وليُّ التوفيقِ، وصلَّى اللهُ وسلَّم على نبيِّنا محمدٍ وعلى آلِهِ وصحبِهِ.

* * *

المجلسُ الحادِي عَشَرَ
في انتهاءِ العشرِ الأولِ ودخولِ العشرِ الأوسطِ مِنْ شهرِ رمضانَ وما ينبغي للمسلمِ أنْ يعملَهُ قبلَ فواتِ الأوانِ

الحمدُ للهِ ربِّ العالمين وصلَّى اللهُ وسلَّم على نبيِّنا محمدٍ وَعلَى آلِهِ وصحبِهِ أجَمعِين . .

قَدِ انتهى العشرُ الأولُ مِنْ شهرِ رمضانَ هي ثُلُثُه ودخَلْنا في العشرِ الثَّانِي وهي الأوسطُ مِنْ هَذَا الشهرِ، فلنحاسِبْ أنفسَنَا في هذه العشرِ الّتي مَضَتْ كَيْفَ قَضَيْنَاهَا وَهَلْ حفظنَاهَا بطاعةِ اللهِ عزَّ وجلَّ واستفَدْنَا منها فمنْ كَانَ قَدْ أحسنَ فيها وحفِظَهَا فعليه بالتزُّودِ والإكمالِ لبقيةِ الشهرِ ومن كانَ مفرِّطاً في العشرِ الماضِيَةِ ومتكاسِلاً فعليه بالتوبةِ والاستدراكْ لما بَقِيَ من هَذَا الشهرِ قبلِ أنْ يفوتَ كلُّه وَلَمْ يحصلْ على شيءٍ، وَمَنْ كَانَ مصرًّا على الذنوبِ والمعاصِي ولم يَتُبْ إلى اللهِ عندَ دخولِ هَذَا الشهرِ وعندَ مُضيِّ هذهِ العشرِ فعليَه بالتوبةِ والندمِ وإصلاحِ العملِ، فإنَّ الفرصةَ مازالتْ بيدِهِ، فالإنسانُ في هذهِ الدنيا بينَ ثلاثِةِ أحوالٍ؛ الحالِ الأولِ: وقتٌ قَدْ مَضَى لايُمْكِنُهُ أَنْ يستعيدَه. ووقتٌ مستقبلٌ لايَدْرِي هل يُدْرِكُهُ أَوْ لا؟ ووقتٌ هو فِيهْ فعلَيْه أنْ يغتَنِمَه قبلَ أنْ يفوتَ معَ الوقتِ الأولِ.

مَـا مَضَـى فَـاتَ المـؤمَّـلُ غَيْـبٌ وَلَـكَ السـاعـةُ الَّتـي أَنْـتَ فِيهَـا

فلنعتبرْ بِمُضِيِّ الأيامِ فإنَّه منذُ قليلٍ دَخَلَ علينا شهرُ رمضانَ، والآنَ مَضَى ثُلُثُه بِمُضِيِّ العشرِ الأولِ، وكأنَّها لحظةٌ ولكنْ هذه الأيامُ مباركةٌ إذَا كَانَ الإنسانُ قد استغَلَّها في طاعَةِ اللهِ، فإنَّها وإنْ كَانَتْ قليلةً فإنَّها طُوِيَتْ على خَيْرٍ وَذَهَبَتْ

شاهدةً لَهُ عندَ اللهِ سبحانَه وتَعالَى بِمَا أودَعَهُ فِيهَا وإنْ كَانَ قَدْ مَلأَهَا بالسَّيِّئَاتِ والمَعَاصِي والغفلَةِ والمخالَفةِ فإنَّها ستشهدُ عليه يومَ القيامَةِ ولكنْ إذَا تَابَ إلى اللهِ واستغفرَ غَفَرَ اللهُ لَهُ وَمَحَى عنه ما أَسْلَفَ مِنَ الذنوبِ والسيئاتِ، والتائبُ مِنَ الذنبِ كَمَنْ لاذَنْبَ لَهُ، وهَذَا مِنْ لُطْفِ اللهِ ورحمتِهِ بعبادِهِ أنَّه يمهلهم وأنَّه يتقبلُ توبَتَهُم إذَا تَابُوا إليه وَيَمْحُو خَطَايَاهم، ولكنَّ التقصيرَ يأتِي مِنْ قِبَلِ العبدِ فإنَّه هو الَّذِي يُحْرِمُ نفسَهُ من هذِهِ اللحظاتِ ومن هذه النفحاتِ ومن هَذِه الأوقاتِ المباركَةِ، هو الَّذِي يحرِمُ نفسَهُ فتمرُّ عليه مِنْ غيرِ أنْ يستفيدَ منها، تمرُّ عليه وقد أضرَّ بنفسِهِ فيها واستعمَلَها في غيرِ مَاهُوَ في صالِحِهِ، واللهُ يدعوه ويقبلُه إذا تَابَ ويفرحُ بتوبتِهِ ويُثِيبُه، والعبدُ يعرضُ عن ربِّه عزَّ وجلَّ. واللهُ يدعُوكَ وهو غَنِيٌّ عَنْكَ ولكنْ رحمتُهُ وحلمُهُ سبحانه وفضلُهُ يدعُوكَ إليه سبحانه وتعالى لحاجَتِكَ ومنفعتِكَ وأنتَ تعرضُ عنه، وأنتَ محتاجٌ إلى اللهِ لاتستغني عنه طرفَةَ عينٍ، وهذا مِنَ العجبِ من هذا الإنسانِ، مضَى العشرُ الأولُ ولكن بماذا مَضَى من أعمارِنَا؟ وبماذا استعملنَاه؟ وبماذَا طويناهُ مِنَ الأعمالِ؟ لِيتذكَّرُ كُلٌّ منا هَذَا الأمرَ في هذِهِ العشرِ الَّتِي مَضَتْ وفي غيرِهَا مِنْ عمرِهِ، فعليه بالتوبةِ إلى اللهِ عزَّ وجلَّ واستدراكِ الباقِي مِنْ عمرِهِ والباقِي مِنْ مواسِمِ الخيرِ قبلَ أنْ تفوتَ.

هذه العشرُ الوسطُ كان النبيُّ ﷺ يعتكفُ فيها، والاعتكافُ معناه البقاءُ في المسجدِ لطاعةِ اللهِ، كان ﷺ يبقَى في مسجدِهِ الليلَ والنهارَ يتفرغُ للعبادَةِ وتلاوةِ القرآنِ والذكرِ لعلمِهِ أنَّ هذه العشرَ أنَّها عشرٌ عظيمةٌ، وأنَّها عشرٌ مباركةٌ، فلايتركُ شيئاً منها يفوتُ بدونِ أنْ يستعمِلَه في طاعَةِ اللهِ، لأنَّه ﷺ يعرفُ قدرَ الوقتِ ويعرفُ قيمةَ الوقتِ حقَّ المعرفةِ، فكانَ ﷺ يتفرغُ من أعمالِهِ الجليلَةِ الَّتي كان يزاوِلُهَا في سائِرِ السنةِ وهي كلُّها عباداتٌ وكلُّها في طاعَةِ اللهِ وفي صالِحِ الإسلامِ

والمسلمين، ولكنَّه في هذا الشهرِ يتفرغُ للعبادَةِ والإقبالِ على اللهِ عزَّ وجلَ، فكان يعتكفُ العشرَ الأوسطَ يتحرَّى ليلةَ القدرِ الَّتي قالَ اللهُ تعالى فيها: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَـٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَـٰرَكَةٍ ۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ﴿٣﴾ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴿٤﴾﴾ [الدخان: ٣، ٤]، وقال تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَـٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴿١﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ﴿٢﴾ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴿٣﴾﴾ [القدر: ١-٣]، وهذه الليلةُ في شهرِ رمضانَ قطعاً، ولكنَّها لا يُدْرَى في أيِّ ليلةٍ من ليالِيهِ، يحتملُ أنَّها في أولِ ليلةٍ، ويحتملُ أنَّها في آخرِ ليلةٍ، ويحتملُ أنَّها فيما بينَ ذَلِكَ، لايَعلمُ أيَّ ليلةٍ مِنْ رمضانَ إلاَّ اللهُ سبحانه وتعالى، فقد أَخْفَاهَا عن عبادِهِ وبيَّن فضلَهَا مِنْ أجلِ أنْ يجتهدوا في جميعِ الشهرِ، فيكونَ أجرُهُم أعظمَ عندَ اللهِ، فمنِ اجتهدَ في جميعِ الشهرِ وقامَ ليالِيَ هذا الشهرِ فإنَّه يكونُ قد أدركَ ليلةَ القدرِ، وقدْ أدركَ فضلَ هذه الليالي كلِّها، يكونَ جمعَ بين فضيلَتَيْنِ: قيامِ رمضانَ كلِّه، وقدْ قالَ ﷺ: «**مَنْ قَامَ رمضانَ إيماناً واحتساباً غُفِرَ لَهُ ماتقدَّمَ مِنْ ذنبِهِ**» وكذلِكَ أدركَ ليلةَ القدرِ الَّتي هي خيرٌ من ألفِ شهرٍ، أي العملُ فيها خيرٌ مِنَ العملِ في ألفِ شهرٍ، وهذا فضلٌ عظيمٌ في ليلةٍ واحدةٍ، العملُ فِيهَا خيرٌ مِنَ العملِ في ألفِ شهرٍ، قليلٌ مِنَ الناسِ من يعيشُ ألفَ شهرٍ لأنَّ ألفَ شهرٍ تزيدُ على ثمانين سنةً، فقليلٌ مِنَ الناسِ من يعمَّرَ ثمانين سنةً يعمِّرُها كلَّها في طاعَةِ اللهِ، فمنْ وفَّقَه اللهُ لهذه الليلةِ فإنَّ أجرَهَا أكثرُ وأفضلُ مِنَ العملِ في ألفِ شهرٍ، هذا فضلٌ مِنَ اللهِ، ولكونِهَا لم تتحدد في ليلةٍ معينةٍ كان النبيُّ ﷺ يتحرَّاها وكان يعتكفُ العشرَ الأوسطَ رجاءَ أَنْ يصادِفَ ليلةَ القدرِ، ثُمَّ تبيَّن لَهُ ﷺ أنَّها في العشرِ الأواخِرِ، فنَقَلَ اعتكافَهُ مِنَ العشرِ الأوسطِ إلى العشرِ الأواخِرِ يلتمسُ ليلةَ القدرِ الَّتي ذَكَرَ اللهُ فضلَهَا ونوَّه بشَرَفِهَا وهو ﷺ ينتهزُ الفرصَ الخَيِّرَةَ ولايترُك شيئاً يضيعُ من عمرِهِ ولايتركُ الفضائِلَ ولايتركُ الأوقاتِ الفاضلةَ

تذهبُ بدونِ أنْ يستفيدَمنها مع مَا لَهُ ﷺ مِنَ الأعمالِ الجليلةِ والأعمالِ التي تعجزُ عنها الجبالُ فهو ﷺ كان أتقىٰ الناسِ للهِ، وكان أخوفَ الناسِ للهِ عزَّ وجلَّ وأخشاهُمْ لَهُ، ومَعَ هذا كَانَ يَحْرِصُ على هذه الأوقاتِ الفاضلةِ ويغتنِمُهَا ويتحرَّاها، فحريٌّ بنا ونحنُ المُقَصِّرونَ ونحنُ أهلُ الكسلِ وأهلُ الغفلةِ وأهلُ الذنوبِ والمعاصي، حريٌّ بنا أن نتنبَّه لأنفُسِنَا وأن نستغلَ هذه الأيامَ وهذه الليالَي قبلَ أنْ تفوتَ ولن تعودَ، فنخسرَهَا وهي مِنْ أعمارِنَا، ما يمرُّ عليكَ لحظةٌ أو يومٌ أو أسبوعٌ أو شهرٌ أو سنةٌ إلا وذلِكَ مِنْ عمرِكَ ولن يعودَ إليكَ، ولكنْ إذا تُبْتَ إلى اللهِ وأصلحتَ العملَ وتداركْتَ تَابَ اللهُ عليك، وأما إذا استمررتُ في المخالفةِ وفي الغفلةِ وفي الإعراضِ ذَهَبَ عمرُكَ كلُّه خسارةً عليك كَما قَال سَبحانه وتعالى ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ۝٣﴾ [العصر: ١-٣]، فكلُّ إنسانٍ خاسرٌ يومَ القيامَةِ إلا مَنِ اتَّصفَ بهذه الصفاتِ الأربعِ: الإيمانِ باللهِ والعملِ الصالحِ والتواصِي بالحقِّ والتواصِي بالصبرِ، فمن اتَّصف بهذه الصفاتِ الأربعِ نَجى مِنْ هذه الخسارَةِ وربحَ واستفادَ من عمرِهِ، واستفادَ مِنْ مواسِمِ الخيرِ، وكانتْ حياتُهُ خيراً له ومن ضيَّعَ هذه الفرصَ وهذه الأوقاتِ الفاضلةَ وهذا العمرَ فإنَّه يكونُ خاسراً يومَ القيامَةِ، لأنَّ الربحَ إنَّما هو بالأعمالِ الصالِحَةِ وليسَ الربحُ في الأموالِ ولا بالجاهِ ولا بالنسبِ وإنَّما الربحُ بالأعمالِ الصالِحَةِ، فإنَّ كانَ الإنسانُ وُفِّقَ للعملِ الصالِحِ في حياتِهِ هذهِ، فهذا هو الرابحُ ولو كانَ مِنْ أفقرِ الناسِ ولو كان من أدنَى الناسِ في نسبِهِ أو مرتبَتِهِ مادَامَ أنَّه في طاعَةِ اللهِ عزَّ وجلَّ فهو العزيزُ عندَ اللهِ وهو الشريفُ عندَ اللهِ، واللهُ لاينظرُ إلى الأجسامِ ولاينظرُ إلى الجمالِ، وإنَّما ينظرُ إلى العملِ الصالِحِ، وهو الذَّي ترتقِي بِهِ العبدُ درجةً عندَ اللهِ عزَّ وجلَّ

مهما كان نسبُهُ ومهما كانتْ منزلتُهُ في الدنيا، قدْ يكونُ حقيراً عندَ الناسِ لكنَّه كريمٌ عندَ اللهِ سبحانه وتعالى، وقدْ يكونُ فقيراً مِنَ الدنيا لكنَّه غنيٌّ بالأعمالِ الصالِحَةِ غنيٌّ بالحسناتِ قد يكونُ وضيعاً في الدنيا لكنَّه رفيعُ الدرجاتِ عندَ اللهِ سبحانه وتعالى في جناتِ النعيمِ، فالعبرةُ ليستْ بموازينِ الناسِ وتقديراتِ الناسِ، وإنَّما العبرةُ بالأعمالِ الصالِحَةِ ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣].

وفَّقَ اللهُ الجميعَ لما يحبُّ ويرضَى وصلَّى اللهُ وسلَّم على نبيِّنا محمدٍ.

* * *

المجلسُ الثاني عشرَ
في التحذيرِ مِنَ النارِ

الحمدُ للهِ، والصلاةُ والسلامُ على رسولِ اللهِ وعلى آلِهِ وصحبِهِ، وبعدُ:

ذكر اللهُ أوصافَ جهنمَ، والعياذُ باللهِ، وهي الدارُ التي أعدَّها اللهُ لأعدائِهِ مِنَ الكافرين والمنافقين والعصاةِ والفسقةِ، فهي دار الخبيثين، وقد أعدّ اللهُ فيها مِنْ أنواعِ العذابِ ما لايعلَمُهُ إلاّ هو سبحانه وتعالى، وذكر أنواعاً منه في القرآنِ وفي السنةِ، فالنارُ دركاتٌ بعضُهَا أسفلُ مِنْ بعضٍ، أما الجنةُ فإنَّها درجاتٌ بعضُها فوقَ بعضٍ، فدركاتُ النارِ تكونُ منازلَ لأهلِهَا بحسبِ أعمالِهم، فبعضُهُم أشدُّ عذاباً من بعضٍ، المنافقون هم ﴿فِي ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا﴾ [النساء: ١٤٥].

والمنافقون هم: الذين أظهروا الإسلامَ خداعاً ومكراً، وقلوبُهُم كافرةٌ منكرةٌ، منكرةٌ للرسولِ ﷺ وما جاءَ به، ولكنهم تظاهروا بالإسلامِ من أجلِ مصالِحِهِم، وهم أشدُّ عذاباً من الكفارِ الذين صرَّحوا بكفرِهم وعداوتِهِم؛ لأنَّ الكفارَ صرحوا بكفرِهم وعرفَهُمُ المسلمون، فأعدُّوا العدّةَ للوقايةِ من شرِّهم، أما المنافقون فإنهم أظهروا الإسلامَ ﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ۝٩﴾ [البقرة: ٩]، لكن المؤمنون يحسنون الظنَّ بهم، ولايتحفَّظون منهم، وهم جواسيسُ للكفارِ واليهودِ، يدلُّون الكفارَ على عوراتِ المسلمين، ودائماً يفرحون بانتصارِ الكفرِ وظهور الكافرين، ودائماً يغتاظون من ظهورِ الإسلامِ وعزِّ الإسلامِ، هذه من صفاتِ المنافقين، فلهذا كانوا في الدركِ الأسفلِ مِنَ النارِ، وبقيةُ الكفرةِ فوقَهُم.

والنارُ لها عدةُ أسماءٍ، النارُ وجهنمُ والسعيرُ وسقرُ والجحيمُ والهاويةُ، وغيرُ ذلك من أسمائِهَا، ممّا يدلُّ على أنها دركاتٌ كثيرةٌ، وأنَّ أهلَهَا متفاوتون في تعذيبهم فيها، ومنازِلِهم منها، وكما أخبر النبيُّ ﷺ: «**إنَّ أهونَ أهلِ النارِ عذاباً من يوضعُ في أخمصِ قدمِه جمرةٌ يغلي منها دماغُهُ**»(١)، وفي روايةٍ: «**يلبسُ نعلين من نارٍ يغلِي منهما دماغُهُ، مايَرَى أنَّ أحداً أشدّ عذاباً منه مع أنه أهونُ أهلِ النارِ عذاباً**»(٢) هذا أخفُّهم عذاباً، فكيف بأشدِّهم عذاباً ـ والعياذُ باللهِ ـ؟

شرابُهمُ المهلُ، وهو: الماءُ الحارُّ، والذي لايُطاقُ، أو الصديدُ، وهو: مايسيلُ من أجسامِ أهلِ النارِ، وطعامُهُم الزّقومُ، الذي ينبتُ في النارِ ﴿ إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ﴿٤٣﴾ طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ ﴿٤٤﴾ ﴾، وفي الآية الأخرى: ﴿ إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِىٓ أَصْلِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٦٤﴾ طَلْعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٦٥﴾ فَإِنَّهُمْ لَءَاكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ ﴿٦٦﴾ ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٦٧﴾ ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى ٱلْجَحِيمِ ﴿٦٨﴾ ﴾ [الصافات: ٦٤ـ٦٨]، فشرابُهُم ـ والعياذُ باللهِ ـ أقبحُ الشرابِ وأَحرُّه، وأشدُّه حرارةً، يشوِي الوجوهَ، إذا أقبلَ على وجْهِ الشاربِ انسلخَ وجهُهُ وسقطتْ جلدةُ وجهِهِ من شدّةِ حرِّه، وطعامُهُمُ الزقّومُ والضريعُ، لايسمنُ ولايغنِي مِنْ جوعٍ، فهم دائماً في جوعٍ، يأكلون ولكن لايذهبُ عنهم الجوعُ، ويشربون ولا يذهبُ عنهم الظمأ، كلما شربُوا زادَ عطشُهُم ﴿ وَأَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ ﴿٤١﴾ فِى سَمُومٍ وَحَمِيمٍ ﴿٤٢﴾ وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ ﴿٤٣﴾ لَّا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ ﴿٤٤﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُتْرَفِينَ ﴿٤٥﴾ وَكَانُوا۟

---

(١) أخرجه البخاري (رقم ٦٥٦١) ومسلم (رقم ٢١٣).

(٢) أخرجه مسلم (رقم ٢١٣/ ٣٦٤).

وعن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال: «**أهون أهل النار عذاباً أبو طالب، وهو منتعل بنعلين يغلي منهما دماغه**» أخرجه مسلم (رقم ٢١٢).

يُصِرُّونَ عَلَى ٱلْحِنثِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٤٦﴾﴾ [الواقعة: ٤١ـ٤٦]، على الشرك ﴿وَكَانُواْ يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٤٧﴾﴾، ينكرون البعثَ، قال اللهُ تعالى لنبيه: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْأَوَّلِينَ وَٱلْـَٔاخِرِينَ ﴿٤٩﴾ لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٥٠﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا ٱلضَّآلُّونَ ٱلْمُكَذِّبُونَ ﴿٥١﴾ لَأَكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ ﴿٥٢﴾ فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ ﴿٥٣﴾ فَشَٰرِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْحَمِيمِ ﴿٥٤﴾ فَشَٰرِبُونَ شُرْبَ ٱلْهِيمِ ﴿٥٥﴾﴾ [الواقعة: ٤٩ـ٥٥].

والهيمُ هي الإبلُ العطاشُ؛ لأنَّ الإبلَ إذا عطشتْ يشتدُّ شربُهَا، كذلك أهلُ النارِ، يشربون كما تشربُ الإبلُ العطاشُ مِنَ الحميمِ ﴿هَٰذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿٥٦﴾﴾، نزلهم، يعني: ضيافتهم ـ والعياذ باللهِ ـ بئستِ الضيافة.

هذه النارُ، وهؤلاءِ أهلُهَا، وليستِ النارُ خاصةً بالكافرين فقط، بل يدخلُها عصاةُ المؤمنين، وأصحابِ الذنوبِ وأصحابُ الكبائرِ مِنَ المؤمنين، ويدخلونها ويعذبون فيها، ويبقون فيها دهراً طويلاً حتَّى يصيروا فحماً، حتى يمتحشوا وتصيرَ أجسامُهُم فحماً، ثم يخرجون مِنَ النارِ بعدَ ذلك بعدَ تعذيبِهِم، ويلقون في نهرِ الحياةِ فتنبتُ أجسامُهُم ثم يدخلون الجنة.

فالحاصلُ: أنَّ المؤمنين العصاةَ على خطرٍ عظيمٍ، فلا يغترُّ الإنسانُ ويقولُ: أنا مؤمنٌ، ثم يفعلُ ما يفعلُ مِنَ المعاصِي ويتساهلُ فيها، ويظنُّ أنَّها لاتضرُّهُ، المعاصي ـ والعياذُ باللهِ ـ خطرُهَا عظيمٌ، توردُ صاحبَهَا النارَ ويعذَّبُ فيها، وقد يبقى فيها مئاتُ السنين، ثم يخرجُ منها بعدَ ذلك، فالخطرُ عظيمٌ، والنارُ ـ والعياذُ باللهِ ـ لايعلمُ وصفَهَا إلاّ اللهُ عزَّ وجلَّ، ولكنه ذَكرَ أنواعاً من صفاتِهَا من أجلِ أن يحذرَ المؤمنون مِنَ الأعمالِ التي توصّلُ إليها، فكلُّ الشهواتِ المحرمةِ وكلُّ المعاصي بأنواعِهَا توصلُ إلى النارِ.

فالخطرُ عظيمٌ وعلى الإنسانِ أنْ يتجنبَ المعاصِيَ، الكبائرَ والصغائرَ؛ لأنَّ

الصغائرَ يتهاونُ فيها الإنسانُ فتكونُ كبائرَ، والصغائرُ تجتمعُ على الإنسانِ فتهلكُهُ، كما أن الأوديةَ تسيلُ من قطراتِ المطرِ، فكذلك المعاصِي تجتمعُ على صاحِبِهَا فتهلِكُهُ.

فالواجبُ على المسلمِ: أن يحذرَ مِنَ المعاصِي، وإذا وقَعَ في شيءٍ منها فإنه يبادِرُ بالتوبةِ، واللهُ جلَّ وعلاَ يتوبُ على من تابَ، وأن لايتساهلَ في المعاصِي ويغترَّ بإمهالِ اللهِ سبحانه وتعالى أو يعجبُ بنفسِهِ فيتمادَى في المعاصِي، ويعتمدُ على حسنِ الرجاءِ وعلى رحمةِ اللهِ، نعم، رحمةُ اللهِ واسعةٌ، ولكنْ عذابُهُ أيضاً شديدٌ، وعقوبتُهُ شديدةٌ، فالإنسانُ لايأمنُ مِنْ مكرِ اللهِ، ولايتهاونُ بالمعاصِي، رُبّما يتهاونُ بالصغيرةِ فتجرُّه إلى الكبيرةِ، ربما يتهاونُ في الصغيرةِ فتعظمُ وتكبرُ فتهلِكُهُ وهو لايدري، الواجبُ على الإنسانِ الحذرُ مِنْ جميعِ المعاصِي والذنوبِ، وأن يبادرَ بالتوبةِ، وأنْ يكثرَ مِنَ الاستغفارِ، وأن يكثرَ من الحسناتِ والأعمالِ الصالحةِ، وأن يرجو رحمةَ اللهِ ويخافَ من عقابِ اللهِ، فيجمعُ بينَ الخوفِ والرجاءِ.

نسألُ اللهَ أن يوفقَ الجميعَ لما يحبُّ ويرضَى، وصلَّى اللهُ وسلَّم على نبيِّنا محمدٍ وعلى آله وصحبه.

* * *

المجلسُ الثالث عشرَ
في التحذيرِ مِنْ مكرِ الشيطانِ ببني آدمَ

الحمدُ للهِ، والصلاةُ والسلامُ على رسولِ اللهِ وعلى آله وصحبِهِ، وبعدُ:

قال اللهُ تعالى: ﴿ ۞ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٠﴾ ﴾ [يس: ٦٠]، هذا فيه بيانُ عداوةِ إبليسَ لآدمَ وذريتِهِ، وذلك مِنْ قديمٍ، مِنْ حين خلقَ اللهُ آدامَ أبا البشريةِ، وفضَّلَه، وأمرَ الملائكةَ بالسجودِ له، حسدَه إبليسُ على هذه المنزلةِ العظيمةِ، وهذا التكريمِ مِنَ اللهِ سبحانه وتعالى، وقال: ﴿ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ ﴾ اعترضَ على اللهِ سبحانه وتعالى وعصَى أمرَ اللهِ، فكانتِ النتيجةُ أنْ لعنَه اللهُ وطردَهُ وأبعدَهُ مِنْ رحمتِه، وأهبطَه مِنْ منزلتِهِ التي كان فيها، فتعهدَ الخبيثُ وطلبَ مِنَ اللهِ الإمهالَ ﴿ قَالَ أَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤﴾ ﴾ فأمهلَهُ اللهُ إلى يومِ الوقتِ المعلومِ الذي أرادَه اللهُ سبحانه وتعالى، فعندَ ذلِكَ تعهدَ وأقسمَ على نفسِه، وأقسمَ بعزةِ اللهِ، ليكيدنَّ لهذا المخلوقِ وذريتِهِ، وليحاولن إبعادَهُم عن ربِّهم، ويحاولَ أخذَهُم مَعَه إلى النارِ، واللهُ سبحانه وتعالى قال له: ﴿ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿٤٢﴾ ﴾ [الحجر: ٤٢]، فاللهُ سبحانه أخبرَ أنه سيتولَّى عبادَهُ المؤمنين، وأن يحمِيَهُم مِنَ الشيطانِ، وأن لايجعلَ له سلطاناً عليهم، وإنما يتولَّى من اتَّبعه مِنَ الغاوين، وهذه حكمةٌ مِنَ اللهِ سبحانه وتعالى، يبتلي عبادَهُ، وإلاَّ فهو ـ جلَّ وعلاَ ـ قادرٌ على أن يهلِكَ الشيطانَ ويهلِكَ جنودَهُ في لحظةٍ واحدةٍ، ولكنَّه أرادَ أن يبتلي عبادَهُ ويمتحِنَهُم؛ لتيميزَ الطيبُ مِنَ الخبيثِ، ويتميزَ المؤمنُ مِنَ الكافرِ ومِنَ المنافِقِ.

فهذا من بابِ الاختبارِ والامتحانِ، وهو حكمةٌ مِنَ اللهِ سبحانه وتعالى، ففي خلقِ إبليسَ وفي إيجادِهِ وفي إغوائِهِ حكمةٌ عظيمةٌ، إذْ لولاه لم يتميزُ المؤمنُ مِنَ الكافِرِ، ولم يتميزُ الطيبُ مَنِ الخبيثِ، ولم يحصلُ الولاءُ والبراءُ، ولم يحصلُ الجهادُ في سبيلِ اللهِ، ففي وجودِهِ مصالحُ، وإن كان فيه مضرةٌ على مَنِ اتَّبَعهُ، ولكنْ في ذلك مصالحُ، عظيمةٌ للمؤمنين الصادقين، فهو تعهدَ في أنْ يبذلَ وسعَهُ وأن يعملَ جهدَهُ في إغواءِ بني آدم، وفي زعمِهِ أنه سيغوي أكثرَهُم، قال ﴿وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ ۝١٧﴾، ولكنَّ اللهَ سبحانه منَّ على عبادِهِ المؤمنين بحفظِهِ ورعايتِهِ مِنْ عدوِّهِمْ، فمن تولَّى اللهَ جلَّ وعلا، وأقبلَ على اللهِ، والتجأَ إلى اللهِ، حماهُ اللهُ عزَّ وجلَّ، ومن أطاعَ الرسلَ، وآمنَ بالكتبِ، واتبعَ ما أنزلَ اللهُ، حماه اللهُ مِنَ الشيطانِ، ولم يجعلْ له إليه طريقاً ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ۝٤٢﴾.

والحمدُ للهِ أنَّ الله سبحانه تولَّى عبادَه المؤمنين وتولَّى حفظَهُم ونصرَهُم وحمايَتَهمُ، ولكنَّ هذا يوجبُ على المؤمنِ الخوفَ العظيمَ، والحذرَ مِنْ هذا العدوِّ اللدودِ، الذي له جنودٌ كثيرةٌ من شياطينِ الإنسِ والجنِّ، يبثُّهُم وينشُرُهُم لتضليلِ الناسِ، وإغواءِ الناسِ، وإغراءِ الناسِ بالشهواتِ والشبهاتِ، والكفرِ والإلحادِ، فهذا يوجبُ الحذرَ مِنَ العدوِّ، وأنَّ الإنسانَ دائماً يلجأُ إلى اللهِ، ويتحصنُ باللهِ، ويستعيذُ باللهِ، ويلازمُ طاعةَ اللهِ سبحانه وتعالى، ويبتعدُ عَنْ معاصيه، فإنَّهُ إذا فعلَ شيئاً من المعاصِي فقد استجابَ للشيطانِ، وإذا تركَ المعاصِي وعملَ بالطاعاتِ، فإنَّه يكونُ قد سَلِمَ مِنَ الشيطانِ، وأعاذه اللهُ مِنَ الشيطانِ.

فهذا يوجبُ على المؤمنين الحذرَ والخوفَ، واللجوءَ إلى الله سبحانه

وتعالى دائماً وأبداً، والبعدَ عَنِ المعاصِي والمحرماتِ، والإكثارَ مِنَ الطاعاتِ؛ والمحافظةَ على الفرائِضِ والواجباتِ، ولايكفي أنَّ الإنسانَ يقولُ: أعوذُ باللهِ مِنَ الشيطانِ الرجيمِ، يقولُ ذلك بلسانِهِ، لكنْ لايُغيِّرُ شيئاً من أعمالِهِ السيئةِ بل هو مقيمٌ على المعاصِي والسيئاتِ والذنوبِ، الاستعاذةُ باللسانِ لاتكفِي ولاتنفعُ، وإذا استعاذَ باللهِ مِنَ الشيطانِ، فليتركْ أعمالَ الشيطانِ، وأن يبتعدَ عَنِ المعاصِي والمخالفاتِ، وأنْ يتوبَ إلى اللهِ عزَّ وجلَّ ممّا حَصَلَ منه فما على الشيطانِ أشقُّ مِنَ التوبةِ، إذا تابَ المؤمنون فإنه يندمُ ندامةً عظيمةً؛ لأنَّه خسرَ مسعَاهُ وتعبَهُ، فهو يفرحُ بالمعاصِي، ويفرحُ بما يصيبُ منهم مِنَ المخالفاتِ، لكن إذا تابوا فإنهم يتخلَّصُون منه، فيندمُ عندَ ذلِكَ ويتحسرُ، ولهذا يقولُ: قصمُوا ظَهْرِي بالاستغفارِ.

فهذا مِنْ رحمةِ اللهِ سبحانه وتعالى، ومن أشدِّ ما حصلَ للشيطانِ مِنَ الخسارةِ والنكبةِ: بعثهُ محمدٍ ﷺ، فإنَّ اللهَ أنقذَ بِهِ كثيراً مِنَ البشريةِ، وهداهُم إلى الصراطِ المستقيمِ، ولايزالُ الإسلامُ ـ وللهِ الحمدُ ـ واضحاً جليًّا، يعتصمُ بِهِ مَنْ أرادَ اللهُ هدايتَه ونجاتَهُ مِنَ الشيطانِ، فالطريقُ واضحٌ لمن يريدُ النجاةَ.

نسألُ اللهَ أن يوفقَ الجميعَ لما يحبُّ ويرضَى، وصلَّى اللهُ وسلَّم على نبيِّنا محمدٍ وعلى آلِهِ وصحبِهِ.

* * *

المجلسُ الرابعُ عشرَ
في الخوفِ مِنَ النارِ

الحمدُ للهِ، والصلاةُ والسلامُ على رسولِ اللهِ، وبعدُ:

يقولُ اللهُ سبحانه وتعالى: ﴿فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾ [آل عمران: ١٨٥]، فالنارُ خطرُهَا عظيمٌ؛ لأنَّ النارَ محفوفةٌ بالشهواتِ، والنفوسُ تميلُ إلى الشهواتِ، إلاَّ مَنْ رَحِمَ اللهُ سبحانه وتعالى، وخطرُ النارِ عظيمٌ جدًّا، ولهذا حذَّرَ اللهُ منها في كتابِهِ، وحذَّر منها الرسولُ ﷺ، وأنزلَ اللهُ على رسولِهِ: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾﴾، أمرهُ أن ينذرَ الناسَ عامةً، وأمرَهُ أنْ ينذرَ عشيرتَه خاصةً، والإنذارُ هو الإخبارُ عَنْ أمرٍ مخوفٍ، فكان ﷺ شديدَ الإنذارِ عَنْ هذه النارِ، قال تعالى: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نُنَجِّى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴿٧٢﴾﴾ [مريم: ٧١، ٧٢]، فلا ينجُو مِنْ هذه النارِ إلا أهلُ التقْوَى، والتقْوَى هي: العملُ الصالحُ المشتملُ على فعلِ ما أوجبَ اللهُ، وتركِ مانَهَى اللهُ عنه، خوفاً ورجاءً، فلا ينجو من هذه النارِ إلاّ أهلُ التقوى، ومن لم يكن مِنْ أهلِ التقوى فإنَّه لاينجو من هذه النارِ، بل يكونُ مع الظالمين ﴿وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴿٧٢﴾﴾.

فيجبُ على المسلمِ أن يكونَ على حذرٍ مِنْ هذه النارِ، وذلك بفعلِ الأسبابِ التي تُنْجِيه منها، أمَّا مجردُ الحذرِ والخوفِ، والإنسانُ مقيمٌ على المعاصِي والمخالفاتِ، فهذا خوفٌ لاينفعُ، قد قال ﷺ: «**يامعشر قريش، أنقذوا أنفسَكُم مِنَ النارِ، ياعباسُ عمّ رسولِ اللهِ ﷺ، لاأملِكُ لَكَ مِنَ اللهِ شيئاً، يا صفة عمَّة**

رسولِ اللهِ، لا أغني عنك مِنَ اللهِ شيئاً، يافاطمةَ بنتَ محمدٍ، سليني مِنْ مالِي ماشئتِ، لا أُغْنِي عنكِ مِنَ اللهِ شيئاً»[١]، فلا ينفعُهُم مجردُ قرابتِهِم مِنَ الرسولِ ﷺ، من غيرِ عملٍ صالحٍ، وإنما ينفعُهُم عملُهُم الصالحُ، فإذا كان هذا في حقِّ قرابةِ الرسولِ ﷺ، فكيفَ بغيرِهِم؟

فالواجبُ على المسلمِ أن ينقذَ نفسَه مِنَ النارِ، كلُّ إنسانٍ ينقذُ نفسه، ولا أحدُ ينقذُ أحداً، لا الأبُ ينقذ أبناءَهُ، ولا الأبناءُ ينقذون آباءَهَم، ولا الأخُ ينقذ أخاه، ولا القريبُ ينقذُ قريبَهُ، هذا إنما يكونُ في الدنيا، الناسُ يتعاونون في الدنيا على دفعِ المكارِهِ وتحمُّلِ المشاقِّ، ويدافُع بعضُهُم عَنْ بعضٍ، ويحمِي بعضُهُم بعضاً في هذه الدنيا، أمّا في الآخرةِ فلا أحدٌ يدفَعُ عن أحدٍ ﴿ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْـًٔا ﴾ [الانفطار: ١٩]، ولاتُغْنِي نفسٌ عن نفسٍ شيئاً، كُلٌّ مسؤولٌ عن نفسِهِ، إمَّا أن ينقذَ نفسَه، وإمّا أن يهلِكَها، هذا مصيرُ الناسِ يومَ القيامةِ.

فهذه النارُ معروضةٌ أمامَ الناسِ يومَ القيامةِ، وكلُّهم يمرون من فوقِهَا على الصراطِ، تجرِي بهم أعمالُهُم، فلا ينجو من هذه النارِ، ألاّ أهلُ التقوى ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَاۚ ﴾، هذا الورودُ على الصراطِ ﴿ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴿٧٢﴾ ﴾ [مريم: ٧١، ٧٢]، فالذي معه أعمالٌ صالحةٌ تجرِي به مِنْ فوقِ هذا الصراطِ، وتتجاوزُ به جهنمَ به جهنمَ، فينجو، والذي ليس معه أعمالٌ صالحةٌ إذا مرَّ على هذا الصراطِ سقطَ في جهنمَ؛ لأنه ليس معه شيءٌ يَجْرِي به ويحملُهُ.

فالخطرُ شديدٌ جدًّا، والأمرُ عظيمٌ، ولو أنَّ الإنسانَ يستحضرُ هذا الموقفَ، ويعلم أنه كائنٌ إليه لا محالةَ، وأنَّ اللهَ أخبر أنه لابُدَّ من حصولِهِ ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا

(١) أخرجه البخاري (رقم ٢٧٥٣) ومسلم (رقم ٢٠٦).

وَارِدُهَاۚ﴾، هذا خبرُ الربِّ سبحانه وتعالى، خبرٌ يقينٌ مِنَ الربِّ سبحانه وتعالى، والخطابُ موجهٌ لجميعِ الخلقِ ﴿وَإِن مِّنكُمْ﴾ جميعُ الخلقِ، لا يُستثنى أحدٌ ﴿إِلَّا وَارِدُهَاۚ﴾ يمرُّ على هذه النارِ، فإمّا أنْ ينجُوَ بعملِهِ الصالحِ، وإمّا أن يسقطَ في جهنّمَ، ولهذا كان النبيُّ ﷺ يحذرُ مِنْ هذه النارِ في خطبِهِ ومواعِظِهِ، وفي مخاطبتِهِ لأصحابِهِ وأمتِهِ، دائماً يحذرُ من هذه النارِ فيقولُ: «**أنذرتُكُمُ النارَ . . . أنقذوا أنفسَكُمْ مِنَ النارِ**» ويصفُ هذه النارَ وبُعْدَ قَعْرِهَا، كان ﷺ جالساً مرةً مع أصحابِهِ فسمعوا وجبةً، يعني سمعوا شيئاً سَقَطَ، فقال: «**أتدرون ماهذا؟**» قالوا: اللهُ ورسولُهُ أعلمُ قال: «**هذا حجرٌ رُمِيَ بِهِ في جهنمَ منذُ سبعين عاماً، فالآنَ وَصَلَ إلى قَعْرِهَا**»[1].

هذا قعرُهَا ـ والعياذُ باللهِ ـ وستملأُ يومَ القيامَةِ مِنَ الخلقِ الذين ضيَّعوا أنفسَهُم في هذه الدنيا، وضيَّعُوا أعمارَهُم وأوقاتَهُم، وداهَمَهُمُ الموتُ وهم على غيرِ استعدادٍ، سيصلونَ إلى هذه النارِ، وهم سُكَّانُهَا ـ والعياذُ باللهِ ـ وقودُ النارِ وحطبُهَا، والإنسانُ كُلُّ إنسانٍ. . فهو على خطرٍ عظيمٍ؛ لأنَّه لايدرِي: هل يكون مِنَ الناجين أو مِنَ الهالكين؟ فكيفُ يطمئِنُ الإنسانُ ويأمَنُ على نفسِهِ، وهو لايَدْرِي: هل ينجو أو لاينجو؟

ولهذا صار للصالحين من سلفِ هذه الأمةِ أحوالٌ عجيبةٌ مِنَ الخوفِ، وأحوالٌ عجيبةٌ مِنَ الأعمالِ الصالحةِ، خوفاً من هذه النارِ؛ لأنهم آمنوا الإيمانَ الصحيحَ، وخافوا فبذلوا الأسبابَ للنجاةِ قبلَ موتِهِم، فمن أرادَ أن يعرفَ أحوالَهُم فليقرأْ سيرَهُم وتاريخَهُم، هل النارُ ماخُلِقَتْ إلاَّ لَهُم؟ النارُ مخلوقةٌ

---

(١) أخرجه مسلم (رقم ٢٨٤٤).

لجميعِ عصاةِ بني آدمَ، من أولِ الخليقةِ إلى آخِرِهَا، فلماذا السلفُ الصالحُ يخافون هذا الخوفَ، ويعملون هذهَ الأعمالَ العظيمةَ، ونحنُ على هذه الحالِ السيئةِ مِنَ الإهمالِ وعدمِ الخوفِ والإغراقِ في أمورِ الدنيا؟ بل وصلَ الأمرُ إلى تضييعِ الفرائِضِ، وفي مقدّمَتِهَا الصلواتُ الخمسُ، لم يحافظْ عليها من الخلقِ إلاّ القليلُ، وهم ـ أبناءُ المسلمين وفي بلادِ المسلمين ـ لا يحافظون على الصلواتِ، فكيفَ بغيرِهَا؟ فكيفَ يحافظون على غيرِهَا؟ وكيف يأمنون مِنْ هذه النارِ ـ والعياذُ باللهِ ـ؟. لكنَّ القلوبَ إذا صدأَتْ وغفلَتْ تراكمَتْ عليها الذنوبُ، فعميتْ فصارتْ لا تسمعُ ولاتبصرُ ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾﴾ [المطففين: ١٤].

نسألُ اللهَ العافيةَ والسلامةَ، وصلَّى اللهُ وسلَّم على نبيِّنا محمدٍ وعلى آلِهِ وصحبِهِ أجمعين.

❋ ❋ ❋

المجلسُ الخامسُ عشرَ
في وجوبِ إخلاصِ العملِ للهِ عزّ وجلّ

الحمدُ للهِ، والصلاةُ والسلامُ على رسولِ اللهِ وعلى آله وصحبِهِ، وبعدُ:

فإنَّه يشترطُ لقبولِ العملِ شرطان:

الشرطُ الأولُ: الإخلاصُ للهِ عزَّ وجلَّ، بأن يكونَ العملُ مقصوداً بهِ وَجْهُ اللهِ سبحانه وتعالى، أمَّا إذا كان العملُ غيرَ خالصٍ فإنَّه لايقبلُ، كما إذا كان فيه شركٌ مَعَ اللهِ سبحانه وتعالى، فإن اللهَ لايقبلُ إلاَّ ما كان خالِصاً لوجْهِهِ، وأما ما دَخَلَه الشركُ فإنه مردودٌ، ولايقبلُهُ اللهُ سبحانه وتعالى، قال تعالى: ﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾ ﴾ [الكهف: ١١٠].

وفي الحديثِ القدسي: أنَّ اللهَ جلَّ وعلاَ يقولُ: **«أنا أغنىٰ الشركاءِ عَنِ الشركِ، من عَمِلَ عملاً أشركَ مَعِي فِيهِ غَيْرِي، تركتُهُ وشِرْكَهُ»**(١)، وفي رواية **«فهو للذي أشركَ، وأنا منه بريءٌ»** سواءٌ كان شركاً أكبرَ أو شركاً أصغرَ، كالرياءِ والسمعةِ، فالذي يعملُ العملَ من أجلِ الرياءِ، أي مِنْ أجلِ أن يراهُ الناسُ، فيمدحُوه ويثنوا عليه، فهذا هُو الرياءُ، ولايصلُ إلى اللهِ سبحانه وتعالى، بل هو عملٌ لايتعدّى صاحِبَهُ، فإذا كانَ يعملُ العملَ مِنْ أجلِ أن يسمَعَهُ الناسُ، فهذا هو السمعةُ، فالسمعةُ لما يُسمعُ مِنَ الأصواتِ والأذكارِ وغيرِ ذلك، واللهُ جلَّ وعلا يعلمُ مافي القلوبِ، فإذا علمَ أنَّ هذا العملَ مقصودٌ به غيرَ اللهِ سبحانه وتعالى، فإنَّ اللهَ لايقبلُهُ.

---

(١) أخرجه مسلم (رقم ٢٩٨٥).

فلذلك يجبُ على العبدِ أن يخلصَ أعمالَهُ للهِ، وأن يبتعدَ كُلَّ البعدِ عَنِ الرياءِ والسمعةِ، وأن يخفِيَ أعمالَهُ مهما استطاعَ، يخفي أعمالَهُ بينه وبين اللهِ مهما استطاعَ، إلاَّ الأعمالَ التي يشرعُ إظهارُهُا، كالصلاةِ مَعَ الجماعَةِ، والجهادِ في سبيلِ اللهِ، فهذه لا تعملُ إلاّ ظاهرةً، لكن على الإنسانِ أن يخلصَ نيتَه للهِ عزَّ وجلَّ، ولهذا جاءَ في الحديثِ: «**إنَّما الأعمالُ بالنياتِ، وإنَّما لكلِّ امرىءٍ ما نَوَىَ، فمنْ كانتْ هجرتُهُ إلى اللهِ ورسولِهِ فهجرتُهُ إلى اللهِ ورسولِهِ، ومنْ كانتْ هجرتُهُ إلى دُنْيا يصيبُهَا أو امرأةٍ ينكحُهَا فهجرتُهُ إلى ما هَاجَرَ إليه**»[1].

والأمورُ بمقاصِدِهَا، فعلى المسلمِ أن يحسنَ القصدَ، وأنْ يخلصَ نيتَهُ، وإذا أحسَّ بشيءٍ مِنَ العجبِ والرياءِ فعليه أن يستغفرَ اللهَ، وأن يتوبَ إلى اللهِ، وأن يخلصَ العملَ للهِ، وأن لايكونَ قصدُهُ المدحَ والثناءَ مِنَ الناسِ، بل عليه أن يخلصَ دائماً وأبداً في كل عملٍ يعملُهُ، أنْ يجاهِدَ نفسَهُ، وأن يبتعدَ عن حبِّ المدحِ وحبِّ الثناءِ وحبِّ التعظيمِ مِنَ الناسِ، وأنْ يعملَ العملَ خالصاً لِوَجْهِ اللهِ عزَّ وجلَّ، وإلاَّ فإنه سيكونُ تعباً عليه بلا فائدةٍ.

الشرطُ الثاني في قبولِ العملِ: أنْ يكونَ صواباً على سنةِ الرسولِ ﷺ، بعيداً عَنِ البدعِ والمحدثاتِ والخرافاتِ، التي ما أنزلَ اللهُ بها مِنْ سلطانٍ، فلا يتمشَّى مع عاداتِ الناسِ، بل عليه أن يتبعَ الدليلَ مِنَ الكتابِ والسنةِ، فما كان ثابتاً بدليلٍ مِنَ القرآنِ أو من سنةِ الرسولِ ﷺ، تقرَّب بهِ إلى اللهِ، وعَبَدَ اللهَ بِهِ؛ لأنَّ اللهَ أرسلَ لنا الرسولَ عليه الصلاةُ والسلامُ؛ ليبينَ للناسِ ما شرَعَهُ اللهُ سبحانه وتعالى، ويبينَ لهم مايقرّبُهُم إلى اللهِ، ويبينَ لهم الأعمالَ التي يحبُّهَا اللهُ ويرضَاهَا،

---

(١) أخرجه مسلم (رقم ٢٩٨٥).

وينهاهُمْ عَنِ البدع والمحدثاتِ، ولهذا قالَ ﷺ: «**من عَمِلَ عملاً ليسَ عليه أمرُنَا فو ردٌّ**»[١] يعني: أنه مردودٌ عليه، لايقبلُ ولايرتفعُ إلى اللهِ سبحانه وتعالى؛ لأنَّ اللهَ لم يُشَرِّعْهُ، وإن كانتْ نيةُ صاحِبِهِ خالصةً للهِ، لكنَّ العملَ غيرُ مشروعٍ، فالعملُ الذي لم يشرعْهُ اللهُ لايقبلُهُ اللهُ، فلا يعبدُ اللهُ جلَّ وعلا إلاّ بما شَرَعَ على لسانِ رسولِ اللهِ ﷺ، فيكون متبعاً في عملِهِ هَدْيَ الرسولِ ﷺ، ولهذا يقولُ الرسولُ ﷺ: «**إنَّ خيرَ الحديثِ كتابُ اللهِ، وخيرَ الهَدْيِ هَدْيُ محمدٍ ﷺ، وشرَّ الأمورِ محدثَاتُهَا، وكُلَّ بدعةٍ ضلالةٌ**» «**وكُلَّ ضلالةٍ فِي النار**»[٢]، ويقول ﷺ: «**عليكُمْ بسنَّتِي وسنَّةِ الخلفاءِ الراشدين المهديين من بعدي، تمسَّكُوا بها وعضُّوا عليها بالنواجِذِ، وإيَّاكُمْ ومحدثاتِ الأمورِ، فإنَّ كُلَّ محدثةٍ بدعةٌ، وكُلَّ بدعةٍ ضلالة**»[٣]، فالبدعُ لايجوزُ العملُ بها مَهْمَا كانت، ولو كان عليها كثيرٌ مِنَ الناسِ، ولو زيَّنُوهَا وحسَّنُوها وزعموا أنَّها طاعات وأنَّها قربات.

نقول: مادامت لا دليلَ عليها مِنَ الكتابِ والسنةِ، ولم يفعَلْهَا الرسولُ ﷺ، ولم يأمُرْ بها، وليستْ مِنْ هَدْيِ الخلفاءِ الراشدين، فإنَّها بدعةٌ وضلالةٌ، وليست قربةً إلى اللهِ سبحانه وتعالى؛ بل إنَّها تبعدُ صاحِبَهَا عَنِ اللهِ، واللهُ جلَّ وعلا لايَرْضَى بها ولا يُحبُّها ولايقبُلها؛ لأنها خارجةٌ عَنْ شرعِهِ ودينِهِ، فالمبتدعةُ ضلاّلٌ يعملون على غيرِ هَدْيٍ مِنْ سنةِ رسولِ اللهِ ﷺ، وليسوا أتباعاً للرسولِ ﷺ، وإنما هم أتباعٌ لأهوائِهِم، واتباعٌ لشياطينِ الإنسِ والجنِّ، الذين يحدثون

---

(١) أخرجه البخاري (رقم ١) ومسلم (رقم ١٩٠٧).

(٢) أخرجه البخاري تعليقا في كتاب الاعتصام، باب إذا اجتهد العامل أو الحاكم فأخطأ خلاف الرسول من غير علم فحكمه مردود. ومسلم (رقم ١٧١٨).

(٣) أخرجه مسلم (رقم ٨٦٧).

لهم هذه البدعَ ويزينونها لهم.

وفيما شرَعهُ اللهُ الخيرَ والبركةَ والكفايةَ، لمن وفَّقه اللهُ سبحانه وتعالى، فإن اللهَ لم يَكِلْنَا إلى عقولِنَا، ولم يَكِلْنَا إلى أنفسِنَا، ولم يَكِلْنَا إلى أعمالِ الناسِ وعاداتِ الناسِ وتقاليدِ الناسِ، بل أنزلَ علينا كتاباً وأرسلَ إلينا رسولاً، وسنَّ لنا طريقاً نسيرُ عليه، ولهذا جَاءَ في آخرِ سورةِ الفاتحةِ ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝ ﴾، هذا دعاءٌ يدعو به المسلمُ في كلِّ ركعةٍ من صلاتِهِ، وهو دعاءٌ عظيمٌ، تدعو أن يهدِيَك اللهُ إلى الصراطِ المستقيمِ، الذي هو دينُهُ وشرعُهُ، وأن يمسّكَكَ به ويسيّرَكَ عليه، وأنْ يجنّبَكَ طريقَ المغضوبِ عليهم، وهو الذين عندَهُم علمٌ ولم يعملوا به، فعصوا اللهَ على بصيرةٍ. وطريقَ الضّالين، وهم الذين يعملون لكن على غيرِ هُدًى وعلى غيرِ دليلٍ وعلى غيرِ شرعٍ مِنَ اللهِ، فهم ضالّون ضائعون، ليسوا على طريقةٍ، وإنما هم في مهالِكَ، يتعِبُون أنفسَهُم في غيرِ جدوى.

هذا مثالٌ لكلِّ مَنْ عملِ عملاً ليسَ على شرعِ اللهِ سبحانه وتعالى، مهما كَلَّف به نَفْسَه، ومهما حَسُنَتْ نيتُهُ وسَلِمَ قصدُهُ، فإنَّ العملَ الذي يؤديه غيرَ مشروعٍ، والله جل وعلا لايرضى إلاّ بما شرع، والله جل وعلا أكمل لنا الدين، لم يترك لأحدٍ مجالاً أن يأتي ويجلبَ أشياءَ يستحسِنُها، بل أكملَ لنا الدينَ، فلا يقبلُ الزيادةَ ولا النقصَ، وما توفى الرسولُ ﷺ إلاَّ وقد أكملَ اللهُ به الدينَ وأتمَّ بِهِ النعمةَ، فمن كان يريدُ الخيرَ والنجاةَ فليتمسكْ بها الدينِ من غيرِ زيادةٍ ولانقصٍ، حتى يكونَ على صراطِ الذين أنعم اللهُ عليهم مِنَ النبيين والصديقين والشهداءِ والصالحين، وَحَسُنَ أولئك رفيقاً.

واليومَ المبتدعةُ لهم نشاطٌ؛ يَوَزِّعُون كُتُباً وينشُرُون مقالاتٍ، ويخطُبُون ويتحدّثُون، ويحسنُون البدعَ ويدْعُونَ إليها، وينفرون مِنَ السنةِ، ولهم نشاطٌ شيطانيٌّ، فخطرُهُم شديدٌ، نسألُ اللهَ العافيةَ، فعلينا أنْ نحذرَ منهم ومن شرِّهم، وأنْ نسألَ اللهَ التوفيقَ للهدايةِ، والسيرِ على الصراطِ المستقيمِ، وألاَّ ننخدِعَ بهم بدعايَتِهم.

هذا، وصلَّى اللهُ على نبيِّنا محمدٍ وعلى آلِهِ وصحبِهِ أجمعين.

* * *

المجلسُ السادسُ عشرَ
في فضلِ عمارةِ المساجدِ

الحمدُ للهِ ربِّ العالمين، وصلَّ اللهُ على نبيِّنا محمدٍ وعَلَى آلِهِ وأصحابِهِ أجمعين.

قالَ اللهُ سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ فَعَسَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ أَن يَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٨﴾﴾ [التوبة: ١٨]، المساجدُ هي بيوتُ اللهِ، أضافَها اللهُ إلى نفسِهِ في قولِهِ تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ﴾ [البقرة: ١١٤]، وإضافتُها إليه إضافةُ تشريفٍ وتكريمٍ، فهي أشرفُ البقاعِ، وأحبُّ البقاعِ إلى اللهِ سبحانه وتعالى.

وعمارتُهَا على نوعين: بالطينِ وموادِ البناءِ، وهذه العمارةُ وسيلةٌ وليستْ غايةً، وإنما هي وسيلةٌ.

والعمارةُ الثانيةُ: وهي الغايةُ، عمارتُها بالطاعَةِ وذكرِ اللهِ عزَّ وجلَّ، ولهذا قَالَ جلَّ وعَلاَ: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ﴾، فحصرَ عمارَتَها على هذا النوعِ مِنَ الأعمالِ؛ لأنَّه هو الغايةُ وهو المقصودُ، فليسَ المقصودُ من بناءِ المساجِدِ المفاخرةَ والمباهاةَ والفنَّ المعماريَّ، كما يقولون، أو الفنَّ الإسلاميَّ، كُلُّ هذه أمورٌ لا قيمةَ لها ولا اعتبارَ لها، ومن كان هذا قصدُهُ فإنَّه ليس من عمّارِ المساجِدِ، أمّا من بَنَاهاَ وأنفقَ عليها ابتغاءَ وَجْهِ اللهِ، ولأجلِ أنْ تكونَ عوناً للمسلمين ومأوىً للمسلمين لأداءِ

العباداتِ، فيها قصدٌ حسنٌ وعملٌ صالحٌ، وقد جَاءَ فِي الحديث: «**من بَنَى للهِ مسجداً بَنَى اللهُ له بيتاً في الجنةِ**»[1]، فيلاحظُ قولَهُ: «**بَنَى للهِ**» يعني: أنْ يكونَ قصدُهُ وَجْهَ اللهِ سبحانه وتعالى، ونيتُهُ وَجْهَ اللهِ، لايكون قصدُهُ المفاخرةَ أو المدحَ أو الثناءَ أو تخليدَ الذكرِ، كما يقولون. هذا كُلُّهُ عملٌ باطلٌ مَهْمَا أنفقَ فيه مِنَ الأموالِ.

أما مَنْ بَنَى للهِ مسجداً بنيةٍ خالصةٍ، فهذا منْ أفضلِ الأعمالِ، وهو الذي يبني اللهُ له بيتاً فِي الجنةِ، وإنْ كان بناؤه ليسَ فيه مبالغةٌ وتفخيمٌ، لو بَنَى مسجداً يُؤْوِي المسلمين ولو كان ببناءٍ متواضعٍ، فقد كانَ مسجدُ الرسولِ ﷺ أفضلَ المساجِدِ بعدَ المسجدِ الحرامِ، وهو أولُ مسجدٍ أُسِّسَ على التَّقْوَى هو ومسجدُ قباءَ وكان بناؤهما بالحجارةِ وجذوعِ النخلِ، فالأعمدةُ من جُذُوعِ النخلِ، والحيطانُ مِنَ الحجارةِ، والسقفُ مِنَ الجريدِ والسعفِ، هكذا كان مسجدُ الرسولِ ﷺ، وكان إذا نزلَ المطرُ، ينزلُ على الأرضِ وتصيرُ أرضُ المسجدِ طيناً، ومع هذا كان هو أفضلُ المساجِدِ بعدَ المسجدِ الحرامِ، والصلاةُ فيه عن ألفِ صلاةٍ فيما سواه مِنَ المساجِدِ، نظراً إلى القصدِ مِنْ بنائِهِ، وهو وَجْهُ اللهِ سبحانه وتعالى والنيةُ الخالصةُ.

فليستِ العبرةُ بمتانَةِ البناءِ وزخرفتِهِ وزينتِهِ، وإنما العبرةُ بالنيةِ والقصدِ، لكنْ إذا اجتمعَ بناءٌ جيدٌ ونيةٌ صالحةٌ فلا شكَّ أَنَّ هذا أحسنَ وأبقى، ليصلِّى فيه أجيالٌ مِنَ المسلمين، فإذا اجتمعَ بناءٌ قويٌّ ونيةٌ صالحةٌ، هذا لاشكَّ خيرٌ إلى خيرٍ، لكنَّ المدارَ على النيةِ.

---

(١) أخرجه النسائي (رقم ١٥٧٧).

واعتبروا بمسجدِ الضرارِ، الذي بناه المنافقون، وهو مسجدٌ صورتُهُ صورةُ مسجدٍ، ويحلفون أنَّهم ما أرادوا إلاّ الحسنى، ومع هذا فاللهُ جلَّ وعلا أمرَ نبيَّه بهدمِهِ وإحراقِهِ، ونَهَى نبيَّه أن يصلِيَ فيه ﴿ لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا ﴾، لماذا؟ لأن نيةَ أصحابِهِ ـ والعياذُ باللهِ ـ نيةٌ خبيثةٌ، بَنَوْا ﴿ مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ﴾ [التوبة: ١٠٧]، هذه نيتُهُم، فكان بناؤه أخبثَ البناءِ، وأُمِرَ بهدمِهِ وإحراقِهِ وإزالَتِهِ، وقد نَفَّذَ الرسولُ ﷺ ما أَمَرَه بِهِ ربُّه، فَهَدَمَه، وأحْرَقَه.

فالحاصلُ: أنَّ البناءَ للمساجِدِ مِنْ أفضلِ الأعمالِ إذا كان بنيةٍ طيبةٍ، ونيةٍ خالصةٍ، وهو وسيلةٌ وغايةٌ لذكْرِ اللهِ جلَّ وعلا، وعبادَةِ اللهِ فيه؛ من أجلِ أنْ يُؤْوِيَ المصلين مِنَ الحرِّ ومِنَ البردِ ومِنَ المطرِ، حتى يطمئنوا في صلاتِهِم وعبادتِهِم، ويكونَ هذا المكانُ لعبادَةِ اللهِ وتعليمِ العملِ النافعِ والدروسِ المفيدةِ، وإقامِ الصلاةِ وإيتاءِ الزكاةِ، ويكونَ محلَّ إشعاعِ النورِ على البلدِ وعلى الحارةِ، هكذا تكونُ المساجدُ، فالمساجدُ لها حرمَتُهَا، ولها مكانتُها، ولها عظمَتُهَا، فهي أفضلُ البقاعِ، يجبُ أنْ تعظَّمَ، وأن تُصَانَ، وأنْ تحترمَ، وأنْ لايُساءُ الأدبُ فيها، وأنْ لايُرْفَعُ الكلامُ فيها، وأن لاتجعلُ محلاًّ لأحاديثِ الدنيا، وإنما تكونُ محلا لذكرِ اللهِ عزَّ وجلَّ، تنظّفُ مِنَ القاذوراتِ، ومِنَ الروائحِ الكريهةِ، ومن المناظِرِ السيئةِ، تكونُ على أحسنِ حالٍ، وأن تجمّرَ ـ يعني بالبخورِ والطيبِ ـ لتكونَ رائحتُهَا طيبةً، والذين يرتادُونَها ينظِّفُونَ أنفسَهُم باللباسِ الطيبِ وبالروائحِ الطيبةِ، ويتجنبون أكلَ الثومِ وأكلَ البصلِ وشربَ الدخانِ، ويأتون إلى المساجِدِ على أحسنِ حالٍ؛ لأنها بيوتُ اللهِ سبحانه وتعالى ومحلُّ العبادَةِ، ومحلُّ اجتماعِ المسلمين.

وأيضاً: هي محلٌّ للملائكةِ، ملائكةِ الرحمٰن، ينزلون مِنَ السماءِ إلى المساجِدِ، فالمساجدُ هي محلُّ ذكرِ اللهِ وعبادَتِه ﴿ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ ۙ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٣٧﴾ ﴾ [النور: ٣٦، ٣٧]، يترددون عليها في اليومِ والليلةِ خمسَ مراتٍ، وبعضُهُم يعتكفُ فيها ولايخرجُ منها، فيبقى فيها ليلاً ونهاراً، أو معظمَ النهارِ، فهي لاتَخْلُو مِنْ عبادِ اللهِ، ولو مِنَ الملائكةِ الكرامِ، فهي لاتخلو مِنَ السكانِ الذين يعبدون اللهَ ويسبحونَه ويقدسونَه سبحانه وتعالى، فهي بقاعٌ طيبةٌ وبيوتٌ طيبةٌ، هي أشرفُ بقاعِ الأرضِ، فيحترمُهَا المسلمُ ويعظِّمُها، ويتردد عليها للصلواتِ الخمسِ وللعبادةِ كُلَّ مَا رَاحَ عنها لأعمالِهِ وأشغالِهِ رَجَعَ إليها؛ لأنه يجدُ فيها الراحةَ واللذةَ والسرورَ، ويجدُ فيها ذكرَ اللهِ، ويتصلُ بربِّه عزَّ وجلَّ ويعبُدُه ويدعوه، قائماً بينَ يديه في بيتٍ مِنْ بيوتِهِ، فهي قرةُ عينِ المسلمِ.

وقد جاءَ في الحديثِ أنَّ مِنَ السبعةِ الذين يظلُّهُمُ اللهُ في ظلِّه «**رَجُلًا قلبُهُ معلّقٌ بالمساجِدِ**»(١)، يحبُّ المساجِدَ ويألفُهَا، ويتردد عليها، ولاينقطعُ عنها، هذه صفةُ المسلمِ مَعَ بيوتِ اللهِ عزَّ وجلَّ، لكنْ ـ والعياذُ باللهِ ـ ما بالكُمْ بأناسٍ يدَّعُون الإسلامَ ويسكنون بجوارِ المساجِدِ ولا يدخُلُونَها؟ لاليلاً ولا نهاراً، كُلَّ السنةِ أو معظمُ السنةِ لايدخلون المساجِدَ، ورُبَّما لايدخلونها إلاَّ جنائز ليُصلَّى عليهم إذا ماتوا، مع أنَّ المفروضَ أنَّ هؤلاء لايصلَّى عليهم؛ لأنهم لايقيمونَ الصلاةَ، ومن تَرَكَ الصلاةَ متعمداً فهو كافرٌ، فكان المفروضُ أنْ لايُصلَّى عليه،

---

(١) أخرجه أبو داود (رقم ٤٦٠٧) والترمذي (رقم ٢٦٧٨) وابن ماجه (رقم ٤٢) وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

ولكنَّ المسلمين لايدرون عَنْ حالِهم، ويحسنون الظَّنَّ بهم.

فالحاصِلُ: أنَّ هذا حرمانٌ عظيمٌ ـ والعياذُ باللهِ ـ فنسألُ اللهَ العافيةَ، يسكنون بجوارِ المساجِدِ، ويزاحمون المساجِدَ بسياراتِهم، ويسمعون الأذانَ، ولايحضرون إلى الصلاةِ، ولا يطيعون اللهَ ورسولَهُ، ولايجيبون داعِيَ اللهِ عزَّ وجلَّ! ماذا تكونُ حالُ هؤلاءِ ـ والعياذ باللهِ ـ؟ ولا حَوْلَ ولا قُوَّةَ إلاَّ باللهِ، ونسألُ اللهَ العافيةَ، ونسألُ أنَّ يَمُنَّ علينا وعليهم بالتوبةِ؛ لأنَّ بابَ التوبةِ مفتوحٌ، ولانقَنِّطُهُم مِنْ رحمةِ اللهِ، لكنْ نقولُ: إن استمرّوا على هذه الحالةِ فبئستِ الحالةُ، وإنْ تابوا تابَ اللهُ عليهم، فاللهُ يتوبُ على مَنْ تابَ.

وصلَّى اللهُ وسلَّم على نبيِّنا محمدٍ وعلى آلِهِ وصحبِهِ أجمعين.

* * *

المجلسُ السابعُ عشرَ
في فضلِ صلاةِ التراويحِ والتهجدِ في شهرِ رمضانَ

الحمدُ للهِ، والصلاةُ والسلامُ على رسولِ اللهِ، وبعدُ:

فصلاةُ التراويحِ مِنْ خصائِصِ شهرِ رمضانَ، وهي سنةٌ مؤكدةٌ، بل هِيَ آكدُ السننِ، وقد فعلَها النبيُّ ﷺ بأصحابِهِ ليالي مِنْ رمضانَ، يصلِّي وهم يصلُّون وراءَه، ثم إنَّه تخلَّف عنهم في آخرِ ليلةٍ خشيةَ أنْ تفرضَ عليهم؛ لأنه ﷺ لو داومَ على هذا ولم يترُكْهُ، لصارَ فريضةً، فتخلَّفَ عنهم من أجلِ أن يعلَمُوا أنها ليستْ فريضةً، وإنما هي سنةٌ مؤكدةٌ، وهي مِنْ خصائِصِ شهرِ رمضانَ، وتكونَ صلاةُ التراويحِ في أولِ الليلِ، فإذا جاءَتِ العشرُ الأواخرُ فإنَّهم يزيدون تهجداً في آخرِ الليلِ؛ ليتمَّ لهم إحياءُ الليلِ، فإنَّ النبيَّ ﷺ كان في العشرين الأُوَل يصلِّي وينامُ، فإذا جاءتِ العشرُ الأواخرُ شمَّرَ وشدَّ المئزرَ وأيقظَ أهلَهُ، وفي روايةٍ «**وأحيا الليلَ كلَّه**»[(١)] وفي رواية: «**فلم يَذُقْ غَمْضاً**».

والحاصلُ: أنَّ صلاةَ التراويحِ سنةٌ مؤكدةٌ، تفعلُ جماعةً في المساجدِ، ولا ينبغي للمسلمِ أن يتخلفَ عنها أو يترُكَها؛ لأنَّه يفوتُ عليه خيرٌ كثيرٌ؛ لقولِهِ ﷺ: «**مَنْ قَامَ رمضانَ إيماناً واحتساباً، غُفِرَ له ما تَقَدَّمَ مِنْ ذنبِهِ**»[(٢)]، وقال عليه الصلاةُ والسلامُ: «**من قَام ليلةَ القدرِ إيماناً واحتساباً، غُفِرَ لَهُ ما تَقَدَّمَ من**

---

(١) أخرجه البخاري (رقم ٤٥٠) ومسلم (رقم ٥٣٣).
(٢) أخرجه البخاري (رقم ٦٦٠) ومسلم (رقم ١٠٣١).

ذَنْبِهِ»(١).

وليلةُ القدرِ غيرُ معينةٍ في ليلةٍ مِنْ ليالي رمضانَ، فكُلُّ ليلةٍ يحتملُ أنَّها هي ليلةُ القدرِ، فإذا قامَ جميعَ ليالي رمضانَ فإنَّه يضمنُ أنَّه قَدْ قامَ ليلةَ القدرِ، فيحصلُ على قيامِ رمضانَ كلِّه، ويحصلُ على قيامِ ليلةِ القدرِ، وقال ﷺ: «**مَنْ قَامَ مَعَ الإمامِ حتَّى ينصرفَ كُتِبَ لَهُ قِيَامُ ليلةٍ**»(٢)، فهذا ممّا يؤكدُ على المسلمِ أنْ يحضرَ صلاةَ التراويحِ مِنْ أولِهَا إلى آخرِهَا في كُلِّ ليالي رمضانَ، وصلاةُ التهجُّدِ في العشرِ الأواخرِ؛ لأجلِ أنْ يحصلَ على هذا الثوابِ العظيمِ، ولايحرمُ نفسَه مِنْ هذا الثوابِ الذي هو أحوجُ مايكونُ إليه زيادةً في حسناتِهِ وتكفيرًا لسيئاتِهِ.

وكثيرٌ مِنَ السلفِ الصالحِ ـ مَعَ اجتهادِهِم في الأعمالِ الصالحةِ ـ ما كانوا يتركونَ صلاةَ التراويحِ وصلاةَ التهجُّدِ مَعَ الإمامِ؛ لأنَّهم يعلمون مافي ذلك مِنَ الأجرِ، فكانوا يصلون التراويحَ، ويصلون في آخرِ الليلِ تهجدًا، وكانوا يطيلونَ القيامَ، حتَّى رُوِي أنَّهم كانوا يعتمدون على العِصيِّ من طولِ القيامِ، وكانوا يربطون الحبالَ بَيْنَ السوارِي ويتعلَّقون بها من طولِ القيامِ، وكانوا لاينصرِفُون إلاّ عندَ الفجرِ، حتَّى إنَّهم يَخْشَوْنَ أنْ يفوتهم السحورُ، كُلُّ هذا من حرصِهِم ـ رَضِي اللهُ عنهم ـ على تحصيلِ خيراتِ هذا الشهرِ، مع ماهُمْ عليه مِنَ الاجتهادِ في طولِ السنةِ.

أما نحنُ، فعندنا التقصيرُ الكثيرُ والكسلُ الكثيرُ في طولِ السنةِ، فإذا أتبعنا رمضانَ بقية الشهورِ بالكسلِ والخمولِ، فماذا نستفيدُ؟ فينبغي للمسلمِ أنْ لاتفوتُهُ هذه الليالي، معَ ما فِي صلاةِ التراويحِ في هذا الوقتِ مِنَ التخفيفِ

---

(١) أخرجه البخاري (رقم ٢٠٢٤) ومسلم (رقم ١١٧٤).
(٢) أخرجه البخاري (رقم ٢٠٠٨) ومسلم (رقم ٧٥٩).

وتقليلِ الركعاتِ، كل ذلك من أجلِ ترغيبِ المأمومين للحضورِ، ومع هذا يتخلفُ الكثيرُ، وما هذا إلاّ حرمانٌ وغلبةٌ للغفلةِ، فأيُّ فائدةٍ للإنسانِ أنَّه ينصرفَ ويتركَ صلاةَ التراويحِ والتهجدَ، ثم يذهبُ، إمَّا إلى قيلٍ وقالٍ، وإمَّا إلى طمعِ دنيا، وإمَّا إلى غيرِ ذلك؟ ماذا يستفيدُ من حياتِهِ؟ وأمامَه جنةٌ ونارٌ، وأمامه حسابٌ وأمامه أخطارٌ ومهالكٌ موازينُ تطيشُ بالذرّاتِ، وأمامَهُ صحائفُ أعمالٍ تكتبُ فيها جميعُ أعمالِهِ، وتُعْطَى إياه يومَ القيامةِ يقرؤها ويحاسبُ نَفْسَه عليها، الإنسانُ أمامَه مخاطرٌ، وأمامه مهالكٌ، فكيف ينامُ وكيف يغفلُ؟ وكيف يضيعُ هذه المواسمَ العظيمةَ التي جعلَهاالله ُمنقذاً له مِنَ الذنوبِ والمعاصي، ومنقذةً له مِنَ النارِ إذا هو حافَظَ عليها، أمَّا إذا ضيَّعَها واتَّبع شهواتِهِ وغفلاتِهِ فإنَّه هو الذي ضيَّعَ نفسَه، ولا يهلَكُ على اللهِ إلاّ الهالكون.

نسألُ اللهُ عزَّ وجلَّ أن يوفقَ الجميعَ لصالحِ القولِ والعملِ والإخلاصِ، وأنْ لايحرمُنَا وإيَّاكُم مِنْ فضائِلِ هذا الشهرِ وغيرِهِ من فضائِلِ الأعمالِ، وصلَّى اللهُ وسلَّم على نبيِّنا محمدٍ وعلى آلِهِ وصحبِهِ أجمعين.

* * *

المجلسُ الثامنُ عشرَ
في فضلِ الصيامِ

الحمدُ للهِ، والصلاةُ والسلامُ على رسولِ اللهِ، وبعدُ:

فقد صحَّ في الحديثِ عَنِ النبيِّ ﷺ فيما يَرْوِيه عن ربِّه عزَّ وجلَّ، وهو مايُسمَّى بالحديثِ القدسي: أنَّ اللهَ سبحانه وتعالى يقولُ: **الصومُ لِي وأنَا أَجْزِي بِهِ**»[١]، فهذا من فضائِلِ الصيامِ من بين سائِرِ الأعمالِ؛ أنَّ اللهَ سبحانه وتعالى اختصَّه لنَفسِهِ، فقالَ: «**الصومُ لي**» وأما بقيةُ الأعمالِ فإنَّها لصاحِبَها، تقرّبُه إلى اللهِ سبحانه وتعالى، ولكنْ هي عرضةٌ للقصاصِ للمظلوسين، فإنَّ الإنسانَ في هذه الدنيا إذا كان عليه ديونٌ وله غرماءُ، فإنَّ الغرماءَ يأخذون أموالَهُ التي عنده، حتَّى قد لايَبْقَى له شيءٌ إلاّ قُوتُهُ هو وأولادِهِ، وقد يصبحُ فقيراً معدماً؛ لأنَّ الغرماءَ أخذوا أموالَهُ، وإنْ كان عنده أموالٌ كثيرةٌ، إذا كانتْ أموالُهُ أقلَّ ممّا عليه من الديونِ أو مساويةً لِمَا عليه مِنَ الديونِ، فإنَّ الغرماءَ يأخذونها ولا يبقى له شيءٌ، فيصبحُ فقيراً بعدَ أنْ كان غنيًّا، هذا في الدنيا.

وكذلك في الآخرةِ: يأتي أناسٌ بأمثالِ الجبالِ منَ الأعمالِ الصالحةِ، لكن يأتي وقد ظَلَمَ هذا وقد أَخذ مَالَ هذا، وقد ضَرَبَ هذا، وقد شَتَمَ هذا، فيأخذُ هذا من حسناتِهِ، وهذا من حسناتِهِ، وهذا من حسناتِهِ، حتَّى لايَبْقَى له حسنةٌ، فيطرحُ في النارِ؛ لأنه ما بَقِيَ له حسنةٌ يدخلُ بها الجنةَ، فيصبحُ معدماً من الحسناتِ، وهو قد جاءَ بأمثالِ الجبالِ، لكنْ راحتْ للغرماءِ!

---

(١) أخرجه البخاري (رقم ١٨٩٤) ومسلم (رقم ١١٥١).

أمّا الصيامُ: فإنَّه يدخره اللهُ لصاحِبه؛ لأنَّه للهِ عزَّ وجلَّ، فيدَّخره لصاحِبهِ ويجزيه به، ويدخله بهِ الجنّةَ، فهذا دليلٌ على فضلِ الصيامِ.

وقِيلَ في تفسيرِ الحديثِ: إنَّ الأعمال الصالحةَ تضاعفُ الحسنةُ بعشرِ أمثالِهَا إلى سبعمئةِ ضعفٍ، كما قَالَ اللهُ تعالى: ﴿كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتۡ سَبۡعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٖ مِّاْئَةُ حَبَّةٖۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُۚ﴾ [البقرة: ٢٦١]، فالحبةُ الواحدةُ تنبتُ سبعمئةِ حبةٍ، كذلك الحسنةُ يضاعِفُهَا اللهُ فتكونُ سبعمئةَ حسنةٍ، وقد يزيدُ اللهُ مِنْ فضلِهِ وإحسانِهِ على السبعمئةِ ﴿وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُۚ﴾.

أما الصيامُ فإنَّه لاينحصرُ تضعيفُه بعددٍ، بل لايعلمُ ثَوابَه إلاَّ اللهُ، فهو مستثنىً مِنَ الأعمالِ على هذا الوجه، في أنَّ الأعمالَ تضاعفُ إلى عشرِ حسناتٍ إلى سبعمئةِ حسنةٍ، إلى أكثرِ من ذلك، لكنَّ الصيامَ غيرُ محددٍ مضاعفة؛ لأنَّ الصيامَ مِنَ الصبرِ، واللهُ جَلَّ وعلا يقولُ: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجۡرَهُم بِغَيۡرِ حِسَابٖ ١٠﴾ [الزمر: ١٠]؛ لأنَّ الصبرَ مقامُهُ عظيمٌ، وهو: الصبرُ على طاعةِ اللهِ، والصبرُ عَنْ محارمِ اللهِ، والصبرُ على أقدارِ اللهِ، فلذلك صار ثوابُه عظيماً، لايعلمُه إلاّ اللهُ سبحانه وتعالى، ولهذا جاءَ ذكرُ الصبرِ في القرآنِ في أكثرِ من سبعين موضعاً؛ لأنه لايوفَّقُ للصبرِ إلاّ مَنْ وفَّقَه اللهُ سبحانه وتعالى، قَال تعالى: ﴿وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٖ ٣٥﴾ [فصلت: ٣٥]، فالصبرُ يتوفَّرُ في الصيامِ بأنواعِهِ الثلاثةِ، ففيه صبرٌ على طاعةِ اللهِ، الصائمُ يصبرُ على طاعةِ اللهِ، فيتركُ شهواتِه وملذاتِه، ويحبسُ نفسَه عَنْ طاعةِ اللهِ عزَّ وجلَّ.

وكذلك فيه صبرٌ عن محارمِ اللهِ، فإنَّ الصائِمَ يمنعُ نَفْسَهُ مِنَ المحرماتِ جميعِهَا، يمنعُها ويحبسُها عَنِ المحرماتِ جميعهَا، مادامَ أنَّه صائمٌ، فإنه لايليقُ بِهِ أن يفعلَ محرماً أو أنْ يتكلمَ بحرامٍ، أو أن ينظرَ إلى حرامٍ، أو أن يستمعَ إلى

حرامٍ، بل يمنعُ نفسَه مِنَ المحرماتِ بجميعِ أنواعِهَا، قوليةً كانتْ أو فعليةً؛ لأنه يعلمُ أنَّ هذه المحرماتِ تخلُّ بصيامِهِ وتُجْرِحُ صيامَهُ، فهو يمنعُ نَفْسَه عنها إطلاقاً، وهذا قَلَّ مَنْ يُوَفَّقُ له.

وفيه صبرٌ على أقدارِ اللهِ المؤلمةِ، وهو مايصيبُ الإنسانَ في الصيامِ مِنَ الجوعِ والعطشِ، فلا شكَّ أنه يتألمُ مِنَ الجوعِ ويتألمُ مِنَ العطشِ وهو صائمٌ، فيصبرُ على هذا الألمِ؛ لأنه يعلمُ أنَّه بقضاءِ اللهِ وقدرِه، فهو يصبرُ عليه إلى أنْ يأتِيَ وقتُ الإفطارِ، وقد يكونُ وقتُ الإفطارِ متأخراً جدًّا إذا كان النهارُ طويلاً في الصيفِ، فيعطشُ أولَ النهارِ، أو يجوعُ أولَ النهارِ، ثم يصبرُ إلى آخرِ النهارِ، فهذا فيه ثوابٌ عظيمٌ؛ لأنه تَرَكَ هذا وصَبَرَ على ألمِهِ للهِ عزَّ وجلَّ، فلذلك اللهُ جلَّ وعلا يُوَفِّيه أجرَهُ بغيرِ حسابٍ يومَ القيامةِ.

فالصائمون يومَ القيامةِ يوفون أجورَهُم بغيرِ حسابٍ، أما بقيةُ الأعمالِ فإنَّها لها حسابٌ، عشرةُ أضعافٍ، سبعمئة ضعفٍ، أكثرُ، أقلُّ، أمَّا الصيامُ فإنَّه لاحَدَّ لتضعيفه، وهذا لمن حَفِظَ صيامَهُ مِنَ المؤثراتِ والمكدّراتِ، واحتسبَ الأجرَ مِنَ اللهِ سبحانه وتعالى.

وكذلك ماجاءَ في الآيةِ الكريمةِ ﴿كُلُواْ وَٱشْرَبُواْ هَنِيٓـًٔا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِى ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ ۝٢٤﴾ [الحاقة: ٢٤]، قِيلَ: إنها نزلتْ في الصائمين، الذين منعوا أنفسَهُم في الدنيا من ملذاتِهَا بالصيامِ، وصَبَرُوا على ذلك، في يومِ القيامَةِ يُقالُ لَهُمْ: ﴿كُلُواْ وَٱشْرَبُواْ هَنِيٓـًٔا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ﴾، يعني: قدَّمتم ﴿فِى ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ ۝٢٤﴾ يعني: الصيام الذي صمتموه في الدنيا، ومَنْعتُم أنفسَكُم مِنَ الأكلِ والشربِ، فيُقالُ لهم: الآنَ كُلُوا واشربوا هنيئاً؛ لأنَّ الجزاءَ مِنْ جنسِ العملِ، فلمّا منعوا أنفسهم فِي الدنيا من شَهَواتِها، وصَبَرُوا على الجوعِ والعطشِ طاعةً للهِ سبحانه وتعالى،

عوَّضَهُم اللهُ يومَ القيامَةِ فقالَ لهم: ﴿ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيٓـًٔا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ ﴾، يعني: بسببِ ما قدَّمْتُم ﴿ فِي ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ ﴿٢٤﴾ ﴾، يعني الأيامَ الماضيةَ، أيامَ الدنيا، وهذا خاصٌّ بالصائمين، يأكلون ويشربون، والناسُ في المحشرِ في الجوعِ والعطشِ والضيقِ والضنكِ، وهم يأكلون على موائدِهم ويشربون ﴿ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيٓـًٔا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِي ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ ﴿٢٤﴾ ﴾.

فهذا فيه فضلُ الصيامِ، وفضلُ الصائمين، وأنَّهم يمتازون يومَ القيامةِ على غيرِهم بهذه البشارةِ، كما أنَّ المهاجرَ في سبيلِ اللهِ الذي خَرَجَ من بلدِه وتَرَكَ أموالَهُ وأولادَهُ للهِ عزَّ وجلَّ فارًّا بدينِهِ، يُعوِّضُه اللهُ بلداً أحسنَ من بلدِهِ في الدنيا، ويُعوِّضُه منزلاً أحسن من منزلِهِ، في الجنةِ ﴿ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا فِي ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً ۖ وَلَأَجْرُ ٱلْآخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ [النحل: ٤١]، وقال سبحانه وتعالى: ﴿ يَـٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا إِنَّ أَرْضِي وَٰسِعَةٌ ﴾، هذا توجيهٌ للهجرةِ ﴿ يَـٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا إِنَّ أَرْضِي وَٰسِعَةٌ فَإِيَّـٰيَ فَٱعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۖ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ۚ نِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَـٰمِلِينَ ﴿٥٨﴾ ٱلَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ [العنكبوت: ٥٦ـ٥٩]. لما تركوا منازِلَهمُ وديارَهُم وأموالَهم وأولادَهُم، وفرُّوا وهاجَرُوا في سبيلِ اللهِ، عوَّضَهُمُ اللهُ منازلَ عاليةً، عوَّضَهُم في الدنيا ببلدٍ خيرٍ مِنْ بلدِهِم، كما حَصَلَ للمهاجرين مع رسولِ اللهِ ﷺ، أنَّ اللهَ عوَّضَهُم بطَيْبَةَ الطَّيبةِ، يتبوؤون فيها المنازلَ الواسعةَ، ويأمنون فيها على دينِهِم، ويصحبون فيها نبيَّهُم محمداً ﷺ، وفي الآخرةِ قد أعدَّ اللهُ لهم المنازلَ العاليةَ في جناتِ النعيم، فدلَّ على أن من تَرَكَ شيئاً للهِ عوَّضَه اللهُ خيراً منه.

وفَّقَ اللهُ الجميعَ لما يحبُّ ويرضَى، وصلَّى اللهُ وسلَّم على نبيِّنا محمدٍ وعلى آلِهِ وصحبِهِ أجمعين.

المجلسُ التاسعُ عشرَ
في ذِكرِ شيءٍ مِنْ وصفِ الجنةِ

الحمدُ للهِ، والصلاةُ والسلامُ على رسولِ اللهِ.

جاءَ في القرآنِ الكريمِ وصفُ الجنةِ وما فيها مِنَ النعيمِ والسرورِ والملذاتِ والخلدِ فاللهُ جلَّ وعلا ذَكَرَ أوصافَ الجنةِ في القرآنِ الكريمِ، وذكرَ النبيُّ ﷺ جملةً مِنْ أوصافِهَا أيضاً، ولكن مالم يذكره اللهُ ولا رسولُهُ أعظمُ وأعظمُ، فإنَّ عقولَ البشرِ لاتتحملُ ما في الجنةِ ولاتحيطُ به، فلو حدثت عنه لما تصورته، وإنما ذَكَرَ اللهُ جَلَّ وعلا شيئاً من أوصافِهَا له نظيرٌ في الدنيا يعرفونه، فما في الدنيا مِنَ الملذاتِ والسرورِ والروائحِ الطيبةِ والمناظِرِ الجميلةِ والأنهارِ والأشجارِ والثمارِ، وما فيها مِنَ المياه، وما فِيهَا مِنَ المشارب، ممّا له نظيرٌ في الدنيا يعرفُهُ الناسُ، فاللهُ ذَكر نظيرَه فِي الجنةِ، ذَكَرَ النخلَ، وذَكَرَ سبحانه الأعنابَ، وذكرَ الأنهارَ، وذكرَ كثيراً مما له نظيرٌ في الدنيا ممّا يبتهجُ بِهِ الناسُ، ويتلذذون به، وذكرَ الريحانَ، وذكرَ المساكِنَ الطيبةَ، والأزواجِ الطيباتِ، ونَفَىَ عَنِ الجنةِ ما تتعرَّضُ له الأشياءُ التي في الدنيا مِنَ الزوالِ ومِنَ التغيُّرِ، فإنَّ ملاذَ الدنيا تتغيرُ، وأشجارُهَا تيبسُ، وأنهارُهَا تنضبُ، وما في الدنيا يفنى، لكن مافِي الجنةِ لايفنى ولايزولُ أبداً.

وذكر ما في الجنةِ مِنَ الشبابِ والقوةِ، ونَفَى ما يَعْرُضُ لذلك في الدنيا من الهرمِ والمرضِ، وذكر مَا فِي الجنةِ مِنَ الفرحِ والسرورِ، ونَفَىَ عنه ما يعرضُ للفرحِ في الدنيا والسرورِ في الدنيا مِنَ الهمومِ والأحزانِ، ونَفَى عَنِ الجنةِ الموتَ

الذي يكونُ في الدنيا فيأتي على أهلِهَا فيفنون ويموتون، ويزولُ أثرُهُم في الدنيا.

والجنةُ ليس فيها مرضٌ وليس فيها هَمٌّ، وليس فيها حزنٌ، وليس فيها موتٌ، وليس في الجنةِ مشاحّةٌ ولامشاحنةٌ بين أهلِهَا، بل ينزعُ اللهُ ما فِي صدورِهِمْ مِنْ غِلٍّ، بعضهم على بعض، فيكونون إخواناً على سرر متقابلين يأنس بعضُهُم ببعضٍ ويفرحُ بعضهم ببعضٍ، ويتآلفون ليس فيها غِلٌّ وليسَ فيها حقدٌ، وليس فيها حسدٌ، وليس فيها بَغْيٌ ولاعدوانٌ، خلافَ الدنيا، فإنها مملوءةٌ مِنَ الأنكادِ والأحقادِ، والبغيِ والعدوانِ بينَ الناسِ، أهلُ الجنةِ سالمون من ذلك ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [الحجر: ٤٧]، وما أخفاهُ اللهُ مما يكونُ في الجنةِ فإنَّه أعظمُ وأعظمُ؛ لأنَّ عقولَ البشرِ لاتتحمَّله لو ذُكِرَ لها وَوُصِفَ لها، قال اللهُ تعالى: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾ [السجدة: ١٧].

وهذه الجنةُ العظيمةُ وما فيها لاتُنال بالتمني، وإنما تنالُ برحمةِ اللهِ عزَّ وجلَّ، وبسببِ الأعمالِ الصالحةِ التي تُقَرِّبُ إليه، قال اللهُ سبحانه وتعالى: ﴿ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [النحل: ٣٢].

والجنةٌ فيها ظلالٌ، وليس فيها شمسٌ يجدُ الناسُ منها الحرَّ، وليس فيها بردٌ يجدُ الناسُ منه الزمهريرَ ﴿لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا ﴿١٣﴾﴾، فيها ظِلٌّ ممدودٌ لايزولُ، هُمْ في ظِلٍّ وفي مكانٍ لايعلمُ وَصَفْهُ إلاّ اللهُ سبحانه وتعالى، الناسُ يفرحون في هذه الدنيا بالجوِّ الطيبِ وبفصلِ الربيعِ، من أجلِ الجوِّ، وينتقلون في الصيفِ مِنْ مكانٍ إلى مكانٍ، فراراً مِنَ الحرِّ، وطلباً للجوِّ المريحِ، وفي الشتاءِ يهربونَ مِنَ البردِ إلى المكانِ الدافىءِ، فالدنيا دارُ نكدٍ ودارُ نغصٍ، وليسَ

فيها شيءٌ يصفُو ويسلَمُ.

أما ما في الجنةِ فإنَّه صافٍ وسالمٌ من كُلِّ ما يُنَغِّصهُ، ومن كُلِّ ما يُغَيِّرُه، وَمِنْ كُلِّ ما يُكَدِّرُهُ، فهذه الجنةُ التي هذه بعضُ أوصافِهَا، وما أخفىٰ اللهُ منها أعظمَ وأعظمَ، ولا يعلَمُهُ إلاّ اللهُ سبحانه وتعالى، كما قالَ النبيُّ ﷺ: «**إنَّ في الجنةِ مَالاَ عَيْنٌ رَأَتْ ولا أُذُنٌ سَمِعَتْ ولا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ**»[1]، قال اللهُ جلَّ وعلا: ﴿ فَلَا تَعۡلَمُ نَفۡسٞ مَّآ أُخۡفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعۡيُنٖ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ [السجدة: ١٧]، ولاحظوا قوله تعالى: ﴿ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿١٧﴾ ﴾، إنَّهم لم يحصلوا على هذا النعيمِ وهذا السرورِ إلاّ بالعملِ الصالحِ، فالجنةُ لاتُنالُ بالكسلِ ولا بالتمنِّي، وإنما تُنالُ بالجدِّ والاجتهادِ والعملِ الصالحِ، فإنَّ اللهَ سبحانه وتعالى جَعَلَها للطيبين: ﴿ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡ طِبۡتُمۡ فَٱدۡخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ﴿٧٣﴾ ﴾ [الزمر: ٧٣]، ﴿ ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمُ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾ [النحل: ٣٢]، فالجنةُ طيبةٌ، وهي دارُ الطيبين، أصلُ الأعمالِ الصالحة، الذين استفادوا مِنْ حياتِهِم في هذه الدنيا، واستعدُّوا لآخِرَتِهِم، وقدَّموا الأعمالَ الصالحةَ، وتابُوا إلى اللهِ مِنَ الذنوبِ والسيئاتِ، فخرجوا من هذه الدنيا بأعمالٍ صالحةٍ وبتوبةٍ صادقةٍ هؤلاءِ هُمْ أهلُ الجنةِ.

أمَّا مَنْ تكاسَلَ وتَبَاطَأَ وتَمَنَّى على اللهِ الأمانِيَّ، فإنَّ هذا لايحصلُ على شيءٍ، كَمَا قَالَ ﷺ: «**مَنْ بَطَّأَ بِهِ عَمَلُهُ لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ**»[2]، من بطَّأَ بِهِ عَمَلُهُ، يعني: تأخَّر به عملُهُ، ولم يكن معه عملٌ يقدِّمُه إلى الجنةِ، لم يُسْرِعْ به نسبُهُ، أنَّه من قبيلةِ كَذَا وكَذَا، وأنه من قريش ومن بني هاشم، وأنه مِنْ أشرفِ العربِ، هذا

---

(١) أخرجه البخاري (رقم ٣٢٤٤) ومسلم (رقم ٢٨٢٤).
(٢) أخرجه مسلم (رقم ٢٦٩٩).

لا ينفعُ عندَ اللهِ، وإنما ينفعُ عنده العملُ الصالحُ، ولو كان صاحِبُهُ ليسَ له نسبٌ معروفٌ، قال اللهُ سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣]، وقال تعالى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ﴿١٠١﴾ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فِى جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٣﴾﴾ [المؤمنون: ١٠١-١٠٣].

فلا ينظرون في الآخرةِ إلى الأنسابِ، ولا إلى الأموالِ، ولا إلى الجاهِ، ولا إلى الأولادِ، وإنما ينظرُ إلى شيءٍ واحدٍ، وهو العملُ الصالحُ الذي ينفعُ عندَ اللهِ سبحانه وتعالى، الإيمانُ والعملُ الصالحُ، هذا هو الذي ينفعُ عندَ اللهِ عزَّ وجلَّ، كذلك لا ينفعُ الإنسانَ عمل قريبِهِ، أو عملُ والدِهِ، أو عملُ ولدِهِ، ويقولُ: أنَا ابنُ فلان، أو: أنَا أبُو فلان، أو: أنَا مِنْ بني فلان، لا ينفعُهُ إلاّ عملُهُ الصالحُ، لا ينفعُهُ عملُ غيرِهِ ولو كان أقربَ الناسِ إليه، فإبراهيمُ عليه الصلاةُ والسلامُ هو أفضلُ أهلِ الجنةِ بعدَ نبينا. وأبوه ـ والعياذُ باللهِ ـ في النارِ؛ لأنه لم يؤمنْ باللهِ عزَّ وجلَّ. نبيُّنا محمدٌ ﷺ هو سيدُ الأولينَ والآخرين، وأبوه في النارِ، وجدُّه في النارِ، وعمُّه في النارِ، إلاّ مِنْ آمنَ باللهِ ورسولِهِ وعملِ صالحاً، نوحٌ عليه السلامُ لم ينفعْ وَلَدَهُ، كما ذَكَرَ اللهُ سبحانه وتعالى عنه أنه لمّا انفردَ عن أبيه وصارَ مَعَ الكافرين، صارَ من أهلِ النارِ، وأبوه نبيُّ اللهِ نوحٌ عليه الصلاةُ والسلامُ أولُ رسولٍ إلى أهلِ الأرضِ، فلا ينفعُ الإنسانَ عملُ قريبِهِ أو عملُ صديقِهِ أو عملُ أبيهِ أو ابنِهِ، لا ينفعُ الإنسانَ إلاّ عملُهُ الصالحُ الخاصُّ بِهِ. نسألُ اللهُ عزَّ وجلَّ أن يوفقَ الجميعَ للعملِ الصالحِ والإخلاصِ لوجهِهِ والتوبةِ النصوحِ. وحفظِ الأوقاتِ فيما ينفعُ. وحفظِ الأعمارِ فيما يفيدُ وصلَّى اللهُ وسلَّم على نبيِّنا محمدٍ وعلى آلِهِ وصحبِهِ أجمعين.

المجلسُ العشرونَ
في فضلِ العشرِ الأواخرِ مِنْ رمضان

الحمدُ للهِ ربِّ العالمين، وصلَّى اللهُ وسلَّم على نبيِّنا محمدٍ وعلى آلِهِ وأصحابِهِ، وبعدُ:

العشرُ الأواخرُ مِنْ رمضانَ التي هي أفضلُ الشهرِ، وقد كانَ النبيُّ ﷺ يخصُّ هذه العشرَ بأعمالٍ جليلةٍ؛ لأنها ختامُ الشهرِ، ولأنَّها ليالي الإعتاقِ مِنَ النارِ، ولأنَّها تُرْجَى فيها ليلةُ القدرِ أكثرُ مِنْ غيرِهَا، فكانَ ﷺ يصلِّي فيها معظمَ الليلِ، ويطيلُ القيامَ والركوعَ والسجودَ، فهذا معنى قولِهِ في الحديثِ: «**أحيا لَيْلَه**» يعني: سَهَرَ معظمَ الليلِ، وقِيلَ: إنَّه كانَ يسهرُ الليلَ كُلَّه مِنْ هذهِ العشرِ، فهو يسهرُ معظمَ الليلِ، أو كُلَّ الليلِ، في العبادَةِ، ولايسهرُ في القيلِ والقالِ والضحكِ وتقطيعِ الزمانِ، كما يفعله أهلُ هذا الوقت في الغالبِ، فغالبُ أهل هذا الوقتِ يسهرون ليالي رمضانَ، لا في صالحِ دينِهم، ولا فِي صالحِ دنياهم، وإنما يسهرون على قِيلٍ وقالٍ وضحكٍ ومزاحٍ ولعبٍ، وهذه خسارةٌ عظيمةٌ!

ومما كان ﷺ يخصُّ بِهِ هذا العشرَ أنَّه كان يوقظُ أهلَهُ، وكُلَّ صغيرٍ وكبيرٍ يطيقُ الصلاةَ، فهذا فيه: أنَّه ينبغي للمسلمين أن يوقظوا أهلَهُم وصبيانَهُم وأولادَهُم للصلاةِ مَعَ المسلمين والمشاركةِ في العبادةِ؛ ليحصلوا على الأجرِ والثوابِ مِنَ اللهِ سبحانه وتعالى، فهم يقومون بأنفسِهِم، ويقيمون مَنْ تحتَ أيديهم، ويحثُّونهم على المشارَكةِ مَعَ المسلمين في عمارةِ المساجدِ وقيامِ الليلِ وتلاوَةِ القرآنِ، عكسَ ما عليه كثيرٌ مِنْ أهلِ هذا الزمانِ، من إهمالِ أولادِهِم وبناتِهم، الأولادُ يلعبونَ بالشوارعِ ولايُدرىٰ أينَ يذهبون؟ والبناتُ والنساءُ في الغالِبِ يذهبن إلى الأسواقِ

ومخالَطةِ الرجالِ والمغازَلَةِ، وغيرِ ذلك من الأمورِ الباطلةِ.

وحتَّى لو كانتِ المرأةُ التي تخرجُ إلى الأسواقِ فيها دينٌ وفيها حياءٌ وفيها احتشامٌ، لكنها تعرِّضُ نفسَهَا للفتنةِ، وإذا رأتْ غيرَهَا مِنَ المتساهلات تساهَلَتْ معهن، والمرأةُ أقربُ ماتكونُ للتأثُّر والاقتداءِ بالغيرِ.

فالواجبُ صيانةُ العوائِلِ، ذكوراً وإناثاً في رمضانَ وفي غيرِهِ، ولكنْ في رمضانَ تفوتُهُم الأجورُ العظيمةُ والخيراتُ الكثيرةُ التي جعلَهَا اللهُ في هذا الشهرِ، وفي هذه العشرِ المباركةِ، وإذا خَسِرَوها فاتَهُم شيءٌ كثيرٌ مِنْ حياتِهِم، وربَّما يعتادُون عَلَى الإهمالِ والكسلِ، فلا ينتبهونَ لأوقاتِ الفضائِلِ وأوقاتِ الأعمالِ الصالحةِ، ويُضيِّعُون وقتَهُم طولَ السنةِ؛ لأنَّهم نشؤوا على الإهمالِ وعلى الكسلِ وعلى الضياعِ، فلا يبالون، فتكونُ حياتُهُم كلُّها كسلاً، وكلها إهمالاً، وكلُّها عدم مبالاة؛ لأنَّهم لم يربّوا على الخيرِ، فالتربيةُ على الخيرِ لها أثرٌ كبيرٌ في تنشئةِ العوائِلِ والبيوتِ، والإهمالُ له تأثيرٌ على العوائِلِ والبيوتِ.

فالواجبُ على المسلمين: أن يهتمّوا بهذا الأمرِ، لاسيما في مثلِ هذه الأوقاتِ العظيمةِ المباركةِ.

ومما كان ﷺ يخصُّ به هذه العشرَ المباركةَ في آخرِ حياتِهِ: الاعتكافَ في المسجدِ.

والاعتكافُ معناه: البقاءُ في المسجدِ الليلَ والنهارَ، ولايخرجُ منه إلاّ للحاجاتِ الضروريةِ، وَبِقَدَرِهَا، ثم يرجعُ، وكُلُّ وقتِهِ في المسجدِ ليلاً ونهاراً، حتَّى إنه كان يَخْلُو عَنِ الناسِ، وكان أحبَّ إليهم مِنْ كُلِّ شيءٍ، أحبَّ إليهم مِنَ الماءِ البارِدِ على العطشِ، وما ترغبُ أعينُهُم وتلذُّ نفوسُهُم إلا برؤيته ﷺ، ومشاهدتِهِ والجلوسِ معه وسماعِ كلامِهِ عليه الصلاةُ والسلامُ، كان أحبَّ إليهم

من أنفسِهِم، ومن والِدِيهم وأولادِهِم، ومِنْ كُلِّ شيءٍ، ومع هذا كان يعتزلُ الناسَ في هذه العشرِ، ويجلسُ في خباءٍ محاطٍ من كلِّ الجوانِبِ، لايراه أحدٌ؛ ليعبدَ ربَّه عزَّ وجلَّ ويخلُو به ويذكُرُه، وهو القدوةُ ﷺ.

فينبغي للمسلم: أنْ يشارِكَ في هذه الخلوةِ، وهذا الانقطاعِ في المسجدِ بحسبِ استطاعَتِه، إنْ كَانَ يستطيعُ أَنْ يعتكفَ الاعتكافَ الكاملَ فهذا أفضلُ.

وإن كانَ لايستطيعُ أن يعتكفُ الاعتكافَ الكامِلَ فيشارِكُ ولو بقليلٍ، حسبَ مايستطيعُ مِنَ البقاءِ في المسجدِ، والجلوسِ في المسجدِ فهذا اعتكاف حتَّى وإنْ قَلَّ، فإذا لم تدركْ الاعتكافَ كُلَّه فشارِكْ ولو بقليلٍ، واللهُ لايضيعُ لديه أجرُ عامِلٍ، بل يضاعِفُهُ أضعافاً كثيرةً، فاحرص على أنْ يكونَ لك وقتٌ فِي المسجدِ في كُلِّ السنةِ، لكنْ في هذه العشرِ آكدُ وأولى، فيكون لك وقتٌ فِي المسجدِ تذكر ربك فيه وتعبُدُه، وتتلو كتابَهُ، ويَحَيا قلبُكَ؛ لأنَّ المسجدَ مأوى الملائكةِ، ومأوى الرحمةِ، ومأوى الخشوعِ والحضورِ مع طاعةِ اللهِ سبحانه وتعالى.

والمساجدُ فيها سرٌّ عظيمٌ؛ ولذلك إذا دخلت في المسجد تجد لذةً وتجدُ فيه انشراحَ صدرٍ، وتبتعدَ عنك الشواغِلُ والهمومُ؛ وهو محلُّ العبادَةِ ومأوى الملائكةِ ومهبطُ الرحمةِ، وهو بيتٌ مِنْ بيوتِ اللهِ عزَّ وجلَّ، فليكُنْ لك مَعَ المسجدِ علاقةٌ، علاقةٌ دائمةٌ، ولاسيما فِي رمضانَ، ولاسيما في هذه العشرِ المبارَكَةِ، هذا هو الذي ينبغي للمسلمِ؛ أن يكونَ مدركاً للفضائِلِ وأوقاتِها وأمكنَتِهَا، وأن يشارِكَ فيما تيسَّرَ لَهُ مِنَ الأعمال الصالحةِ ولاينسى نفسَهُ. لأنَّه إذا نسى هذه الفضائلَ ونسى هذه الأماكنَ الفاضلةَ فقد نسي نفسَهُ: ﴿ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ نَسُواْ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾ [الحشر: ٥٩]. نسأل اللهَ عزَّ وجلَّ أن يوفقَ الجميعَ لما فيه الخيرُ والصلاحُ والبرُّ. وصلّى اللهُ وسلَّم علي نبيِّنا محمدٍ وعلى آلِهِ وصحبِهِ أجمعين.

المجلسُ الحادي والعشرون
في فضلِ الصلواتِ المفروضةِ في رمضانَ وفي غيرِهِ وفضلِ صلواتِ النوافِلِ

الحمدُ للهِ ربِّ العالمين، والصلاةُ والسلامُ على نبيِّنا محمدٍ وعلى آلِهِ وأصحابِهِ وبعدُ:

فالصلاةُ عبادةٌ عظيمةٌ، يحبُّها اللهُ سبحانه وتعالى، وهي قرةُ عينِ الرسولِ ﷺ؛ لما فِيهَا مِنَ الاتصالِ باللهِ سبحانه وتعالى، والوقوفِ بين يَدَيهُ ودعائِهِ، والركوعِ والسجودِ، فيجتمعُ في الصلاةِ أنواعٌ مِنَ العباداتِ لاتوجدُ في غيرِهَا، ولهذا جَعَلَها اللهُ الركنَ الثانِي مِنْ أركانِ الإسلامِ بعدَ الشهادتين، وجَعَلَها عمودَ الإسلامِ.

والصلاةُ على نَوْعَيْنِ: النوعِ الأولِ: الصلواتُ المفروضةُ، وهي الصلواتُ الخمسُ، وهي ركنٌ مِنْ أركانِ الإسلامِ، لابُدَّ مِنَ المحافظةِ عليها، ولابُدَّ مِنَ المداومَةِ عليها في كُلِّ حياةِ المسلمِ، من حين يبلغُ سنَّ التكليفِ إلى أنْ يموتَ، لابُدَّ أن يقيمَ الصلاةَ في اليومِ والليلةِ خمسَ مرَّاتٍ، كما أمَرَ اللهُ سبحانه وتعالى، ولا دِينَ لِمَنْ ضيَّعَ الصلاةَ، ولايكونُ مسلماً حتى يقيمَ الصلاةَ، فإنْ أقامَهَا أقامَ دِينَه، وإنْ ضيَّعَهَا ضيَّعَ دِينَه، وهي أولُ من يحاسَبُ عنه العبدُ يومَ القيامةِ مِنْ أعمالِهِ، وهي فارقةٌ بينَ المسلمِ والكافرِ، فهي عمودُ الإسلامِ.

وبعد صلوات الفرائض صلواتُ النوافِلِ، فينبغي للمسلمِ أن يكثرَ مِنَ النوافِلِ، ولايقتصرُ على الفرائِضِ، بَلْ يكثرُ مِنَ النوافِلِ أيضاً؛ لأنَّه بحاجةٍ إلى

ذلك، وأفضلُ النوافِلِ: الرواتبُ التي مع الصلواتِ: أربعُ ركعاتٍ قبلَ الظهرِ، وأربعُ ركعاتٍ بعدَهَا، أو على الأقلِ: ركعتانِ قَبْلَ الظهرِ، وركعتانِ بَعْدَهَا، وركعتانِ بعدَ المغربِ، وركعتانِ بعدَ العشاءِ، وركعتانِ قبلَ صلاةِ الفجرِ، وهما آكدُ الرواتبِ، ثم بعد الرواتبِ: الوترُ بالليلِ، فإنه سنةٌ مؤكدةٌ، لاينبغي تركُهُ لا حَضَراً ولا سَفَراً.

ثم بعد الوترِ صلاةُ التراويحِ في رمضانَ ثم التجهدُ بالليلِ، يتهجدُ المسلمُ مِنَ الليلِ ما تيسر له، وكلما أكثرَ فهو أفضلُ، وكُلُّ الليلِ محلٌّ للتهجدِ، ولكنْ آخرُ الليلِ أفضلُ، وهو الثلثُ الأخيرُ مِنَ الليلِ، أو جوفُ الليلِ، وهو السدسُ مِنَ الثلثِ الأوسطِ مَعَ السدسِ مِنَ الثلثُ الأخيرِ، هذاجوفُ الليلِ، وإن أخَّرَ إلى قبيلِ السحرِ فيكونُ من المستغفرينَ بالأسحارِ، والثلثُ الأخيرُ مِنَ الليلِ وقتُ النزولِ الإلٰهي، ينزلُ ربُّنا إلى سماءِ الدنيا كُلَّ ليلةٍ، حين يَبْقَى ثُلُثُ الليلِ الآخرِ، فيقول: **«مَنْ يدعُوني فأستجيبُ لَهُ؟ من يستغْفِرُني فأغفرُ له؟ من يسألني فأُعْطِيه؟»**[1] وذلك في كُلِّ ليلةٍ، فالذي يوافقُ هذا الوقتَ فإنه يحصلُ على خيرٍ عظيمٍ، ومفتوحٌ له بابُ الإجابةِ، فيستغفرُ ويكثرُ مِنَ الاستغفارِ والتوبةِ في هذا الوقتِ، ويدعو لنفسِهِ ولوالديه وللمسلمين، فهذه فرصةٌ متاحةٌ كُلَّ ليلةٍ للمسلمِ.

وصلاةُ الليلِ هي أفضلُ النوافِلِ، يختمُهَا بالوترِ، يجعلُ آخرَ قيامِهِ الوترَ، وإنْ صلَّى من أولِ الليلِ فإنه يختمُ صلاتَه بالوترِ إذا كان لايَثِقُ من قيامِهِ في آخرِ الليلِ، وإن كان يَثِقُ مِنْ قيامِهِ في آخرِ الليلِ فيؤخر الوترَ ويجعلَه بعدَ صلاةِ آخرِ الليلِ، هذا أفضلُ، المهمُّ أنَّه لايتركُ الوترَ، إمَّا أنْ يوترَ قبلَ أن ينامَ، وإمَّا أنْ

(١) أخرجه البخاري (رقم ١١٤٥) ومسلم (رقم ٧٥٨).

يؤخرَ إلى آخرِ الليلِ، وهذا أفضلُ.

ثم بعد ذلك صلاةُ الضحى، من حين ترتفعُ الشمسُ قيدَ رمحٍ، إلى قبيلِ زوالِ الشمسِ بعدَ وقوفِ الشمسِ في وسطِ السماءِ، كُلُّ هذا وقتٌ لصلاةِ الضحى، وكُلَّما تأخرت فهو أفضلُ، وأقلُّها ركعتان، وأكثرها ثمان ركعاتٍ، كُلُّ ركعتين بسلامٍ.

أما الموسمُ السنويُّ للعباداتِ، فهو في رمضانَ، زيادةُ خيرٍ في عمرِ المسلمِ، قال ﷺ: **«مَنْ قَامَ رمضانَ إيماناً واحتساباً غُفرَ له ما تَقَدَّم من ذَنْبِهِ»**[1]، وفي حديثٍ آخر: **«من قَامَ مَعَ الإمامِ حتَّى ينصرفَ كُتِبَ له قيامُ ليلةٍ»**[2]، وفي حديثٍ آخر: **«مَنْ قَامَ ليلةَ القدرِ إيماناً واحتساباً غُفِرَ له ما تَقَدَّم مِنْ ذَنْبِه»**[3]، فهذه فضائلُ عظيمةٌ في هذا الشهرِ العظيمِ، لاسيما في ليالي العشرِ، وهي زيادةُ نافلةٍ في عمرِ المسلمِ، فيضيفُ إلى ما كان يعمله في طولِ السنةِ مِنَ النوافِلِ، ويُتوِّجه بقيامِ شهرِ رمضانَ المباركِ، فهذه غنائمُ للمسلمِ يُتِيحُها اللهُ له، ويمكِّنُه منها، فلا يليقُ بِهِ أنْ يضيِّعُها؛ لأنَّه إذا ضيَّعَها ضيَّعَ نَفْسَه وضيَّعَ عُمُرَه، ولم يستفدْ مِنْ حياتِهِ.

الواجبُ على المسلمِ أن لايغفلَ مَعَ الغافلين، وأن يكونَ له نصيبٌ مِنَ النوافِلِ بعدَ المحافظةِ على الفرائِضِ، فالذي يأتي بالنوافِلِ ولايحافظُ على الفرائِضِ لاتنفعُهُ النوافِلُ، وإنما تنفعُ النوافلُ بعدَ المحافظةِ على الفرائِضِ.

نسألُ اللهَ أنْ يوفقَ الجميعَ لِمَا يحبُّ ويرضَى، وصلَّى اللهُ وسلَّم على نبيِّنا محمدٍ وعلى آلِهِ وصحبِهِ.

---

(١) تقدم.

(٢) تقدم.

(٣) تقدم.

المجلسُ الثاني والعشرون
في مدحِ المستقيمينِ على طاعةِ اللهِ
مِنَ الأممِ السابقةِ بتلاوةِ الكتابِ والصلاةِ

الحمدُ للهِ، والصلاةُ والسلامُ على رسولِ اللهِ وعلى آلِهِ وصحبِهِ، وبعدُ:

يقولُ اللهُ سبحانه وتعالى: ﴿ ۞ لَيْسُوا سَوَآءً مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿١١٣﴾ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَأُو۟لَٰٓئِكَ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١١٤﴾ وَمَا يَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوهُ ﴾ [آل عمران: ١١٣ـ١١٥].

في هذه الآياتِ، لما ذكر اللهُ سبحانه وتعالى ذمَّ أهلِ الكتابِ مِنَ اليهودِ والنصارىٰ الذين كفروا بعيسىٰ، وهم اليهودُ، والذين كفروا بمحمدٍ ﷺ وهم اليهودُ والنصارى، استثنى منهم طائفةً مؤمنةً لم تعملْ عملَهُم؛ بل آمنوا بكلِّ الرسلِ وبخاتمِهِمْ محمدٍ ﷺ من أتباعِ الرسلِ السابقين، ومن أحبار اليهودِ النصارى، مثل النجاشيِّ رحمهُ اللهُ، ومثل عبدِ اللهِ بنِ سلامٍ رضي اللهُ عنه، ومثل سلمانَ الفارسيِّ رضي اللهُ عنه، وأناسٍ كانوا على دينِ عيسى عليه الصلاةُ والسلامُ، الدينِ الصحيحِ مِنَ التوحيدِ والعبادَةِ، مخلصين العبادةَ للهِ عزَّ وجلَّ، فلما بُعِثَ محمدٌ ﷺ آمنوا به واتّبَعُوه.

فهؤلاءِ أثنى اللهُ عليهم واستثناهم ومَدَحَهُم؛ لأنَّ اللهَ سبحانه وتعالى حَكَمٌ عَدْلٌ، لايضيعُ لديه أجرُ عاملٍ، وأكرمُ الناسِ عنده أتقاهُم لَه، أيًّا كانَ جنسُهُ ونوعُهُ ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ﴾، ووعدَهُم أنْ يعطِيَهُم أجرين: أجرَ

الإيمانِ بعيسى عليه السلامُ، وأجرَ الإيمانِ بمحمدٍ ﷺ ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ ﴾ [البقرة: ٤]، هؤلاء لهم أجران: أجرُ الإيمانِ بالنبيِّ السابقِ، وأجرُ الإيمانِ بالنبيِّ اللاحقِ؛ لأنَّ هؤلاءِ ليسَ لهم هدفٌ ولا هوىً إلاّ إرضاءَ اللهِ سبحانه وتعالى، ليس عندهم أهواءٌ ونزعاتٌ ونزواتٌ، مثل اليهودِ المنحرفين والنصارى الضالين، لايتبعون إلاّ أهواءَهُم، وإنما هؤلاء المؤمنون قصدهُمُ الحقَّ، أينما وَجَدُوه أخذوه، فلما بُعِثَ محمدٌ ﷺ اتبعوه وآمنوا به؛ لأنَّه يصدّقُ الكتبَ السابقةَ والرسلَ السابقين، ولأنَّ الكتبَ والرسلَ السابقين بشروا بمحمدٍ ﷺ، وأخبروا ببعثَتِهِ، فلما بُعِثَ اتَّبعوه وآمنوا به؛ لأنهم ليسَ لهم أهدافٌ وليس لهم هوىً إلا رضَا اللهِ سبحانه وتعالى، فهؤلاءِ استحقوا مِنَ اللهِ المدحَ والثناءَ وعظيمَ الأجرِ.

والشاهدُ في قولِهِ: ﴿ يَتْلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿١١٣﴾ ﴾، هذا فيه الحثُّ على قيامِ الليلِ وتلاوةِ القرآنِ في رمضانَ وفي غيرِه، فإن اللهَ مدحَ أهلَهُ وأثنَى عليهم، ووعدَهُم بجزيلِ الأجرِ والثوابِ ﴿ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ﴾؛ لأنَّ العملَ إذا لم يكن عن إيمانٍ وعن يقينٍ، فإنَّه لاينفعُ صاحِبَهُ، فالعبرةُ ليستْ في صورةِ العملِ، حتَّى ولو صلَّى الليلَ وصامَ النهارَ، العبرةُ ليستْ بصورةِ العملِ، العبرةُ بالنيةِ والقصدِ والهدفِ، فهؤلاءِ ليسَ لهم هدفٌ إلاّ طاعةَ اللهِ سبحانه ورضاه ونيلَ كرامَتِهِ، فمنْ كانتْ هذه صفتُهُ فإنَّه يدخلُ في هذا المدحِ وهذا الثناءِ.

ثم أيضاً لايقتصرُ عملُهُم على أنفسِهِم، بل يتعدَّى إلى غيرِهِم، فيأمرون بالمعروفِ وينهونَ عَنِ المنكرِ؛ لأنهم يريدون للناسِ مِنَ الخيرِ مايريدونه لأنفسِهِم، والمنكرُ لاشكَّ أنه شرٌّ، فهم ينهون عنه، يتجنبونه بأنفسِهِم وينهون

عنه إخوانَهُم؛ لأنَّم يحبُّونَ لإخوانِهِم ما يحبُّونَ لأنفسِهِم، فالمؤمنُ لايقتصرُ على نفسِهِ، وإنما ينفعُ إخوانَه، فإذا رأىَ عليهم ضرراً فإنه يحذِّرَهُم منه ويأمُرُهُم بالمعروفِ، وهو طاعةُ اللهِ سبحانه وتعالى؛ لأنَّ هذا هو الخيرُ المحضُ النافعُ في الدنيا والآخرةِ.

فمن صفاتِ المؤمنين، سواءٌ كانوا مِنَ الأممِ السابقةِ أو من هذه الأمةِ، من أعظمِ صفاتِهِم: أنهم يأمرونَ بالمعروفِ وينهونَ عَنِ المنكرِ، فالإنسانُ الذي لايأمرُ بالمعروفِ ولايَنْهَى عن المنكرِ ـ ولو كان هو صالحاً في نفسِه ـ عنده نقصٌ عظيمٌ، وقد لايكونُ عندَهُ إيمانٌ، قال ﷺ: «**مَنْ رَأَى منكُمْ منكراً فليغيِّرْه بِيَدِهِ، فإنْ لَمْ يستطعْ فبلسانِهِ، فإنْ لَمْ يستطعْ فبقلبه، وذلك أضعفُ الإيمانِ**»[1]، وفي روايةٍ: «**وليسَ وراءَ ذَلِكَ مِنَ الإيمانِ حبةُ خردلٍ**»[2].

فالذي لايأمرُ بالمعروفِ ولا يَنْهَى عن المنكرِ بحسبِ استطاعَتِهِ، حتَّى ولو بقلبِهِ، ليسَ في قلبِهِ إيمانٌ، فالمؤمنُ لابُدَّ أن يأمرَ بالمعروفِ وينهَى عن المنكرِ بحسبِ استطاعَتِهِ ولو بقلبِهِ، فإذا كان يستوي عندَهَ الخيرُ والشرُّ، ويستوي عنده المؤمنون والكافرون، ويستوي عنده الأشرارُ والأخيارُ، ويقول: الناسُ أحرارٌ، أنا ما عليَّ إلاّ من نفسِي، هذا ليسَ بمؤمنٍ، ولايغارُ للهِ عزَّ وجلَّ، ولايريدُ الخيرَ للناسِ، هذا ليسَ بمؤمنٍ، أو ليسَ وراءَ ذلك مِنَ الإيمانِ حبةُ خردلٍ.

﴿وَيُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ﴾ هذه من صفاتِهِم: أنَّهم دائماً مَعَ الأوائِلِ في كلِّ طاعةٍ، تجدهم في الصفِّ الأولِ في المساجِدِ في الجمعِ والجماعاتِ، يأتونَ قبلَ الأذانِ أو بعدَ الأذانِ، ولا تفوتهم صلاةٌ دائماً في الصفِّ الأولِ، هذا مِنَ

---

(١) أخرجه مسلم (رقم ٤٩).

(٢) أخرجه مسلم (رقم ٥٠).

المسارعَةِ في الخيراتِ، أما الذي يتأخرُ ويتخلَّفُ ويفوتُه بعضُ الصلاةِ، أو تفوتهُ كُلُّ الصلاةِ، ولايجيءُ إلا متأخراً، هذا ليس من المسارعين في الخيراتِ، هذا متخلفٌ، وهو على خطرٍ عظيمٍ، يتخلّفُ ويتخلَّفُ ويتخلَّفُ، وفي النهايةِ يتركُ الصلاةَ؛ لأنَّ الشيطانَ يمشي به مرحلةً، مرحلةً، فالخطرُ عظيمٌ.

فالمسارعةُ إلى الخيراتِ من صفاتِ أهلِ الإيمانِ: أن الإنسانَ دائماً ينشطُ في الخيرِ، ودائماً يكونُ هو الأولُ في كلِّ خيرٍ، إنْ كانَ في صلاةٍ، إنْ كان في صيامٍ، إنْ كانَ في جهادٍ في سبيلِ اللهِ، إن كانَ في صدقاتٍ، إن كان في أيِّ عملِ خيرٍ، تجدُهُ يبادِرُ، ولايتأخَّرُ ولايتباطَأُ ولايتكاسل؛ لأنَّ التكاسلَ عن الخيرِ من علاماتِ المنافقين ﴿وَإِذَا قَامُوٓا۟ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُوا۟ كُسَالَىٰ﴾، ﴿وَلَا يَأْتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَـٰرِهُونَ ۝٥٤﴾ [التوبة: ٥٤]، وفي الآية الأخرى: ﴿وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ﴾، يعني: يقبِضُونَها عَنِ الصدقاتِ، لايتصدَّقون، هذه صفاتُ المنافقين.

فالمؤمنُ دائماً يسارعُ في الخيراتِ، ولايتكاسلُ، ولا يتخلفُ، وإذا حصلَ منه مساعدةٌ للمحتاجين والمنكوبين، فإنَّه يكونُ له مشاركةٌ في إغاثَتِهِ وفي نجدتِهِ وفي إعانتِهِ، حتَّى ولو بالدعاءِ لإخوانِهِ المسلمين، يهتمُّ بهم، ويألمُ لألمِهِم، ويفرحُ لسرورِهِم، المسلمون كالجسدِ الواحِدِ؛ إذا اشتكى منه عضوٌ تَداعَى له سائرُ الجسدِ بالسهرِ والحُمَّى، فالمؤمنُ مع المؤمنين، يفرحُ لفرحِهِم، ويسرُّ لسرورِهِم، ويتألمُ لألمِهِم، وإذا رأى على بعضِهِم نَقْصاً في دينهِ بادرَ في إعانَتِهِ على تداركِ هذا النقصِ، وتعليمه وتنبيهه، ومساعدته بالحكمةِ والموعظةِ الحسنةِ، واللطفِ واللينِ والمؤاخاةِ، هكذا صفةُ المؤمنين.

أما الذي يتخذُ مِنْ عثراتِ المسلمين مطيةً لتنقصِهِم والسخريةِ بهم،

والكلام بهم في المجالسِ، وتنقيصِهم وتعييرِهم، هذا مِنَ المنافقين ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [النور: ١٩]، فالذي يتندرُ بعثراتِ الملسمين ويتتبَعُها ويقولُ: فلانٌ فعلَ كذا، وفلانٌ كذا، والأميرُ الفلاني، والرئيسُ الفلاني، ليس له همٌّ إلاَّ أنَّه يبحثُ عَنِ المعايِبِ والنقائِص، هذا من صفةِ المنافقين، والعياذُ باللهِ، الذين يفرحونَ بعثراتِ المسلمين، ويشِيعُونها ويُفَخِّمُونها، بل يكذبون عليهم كثيراً، وإنْ زعموا أنَّ هذا مِنْ إنكارِ المنكرِ، فهو أعظمُ مما أنكروه.

أما المؤمنون، فإنهم يسترون على إخوانِهم، وليس معنى كونهم يسترون أنهم يسكتون، بل يناصحونهم سرًّا فيما بينهم وبينهم، يوصلون إليهم النصيحةَ سريةً، بأيِّ طريقٍ كَانَ، بالحكمةِ والموعظةِ الحسنةِ والجدالِ بالتي هي أحسنُ؛ لأنهم يريدون الإصلاحَ، ولا يريدون الإفسادَ، هذه بعضُ صفاتِ المؤمنين.

نسألُ اللهَ أن يجعلَنَا وإيَّاكُم منهم بمنِّه وكرمِهِ، وصلَّى اللهُ وسلَّم على نبيِّنا محمدٍ وعلى آلِهِ وصحبِهِ أجمعين.

* * *

المجلسُ الثَّالثُ والعشرون في طبقاتِ المؤمنين

الحمدُ للهِ ربِّ العالمين والصلاةُ والسلامُ على نبيِّنا محمدٍ:

قال اللهُ تعالى ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا ۖ وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٣٣﴾ ﴾ [فاطر: ٣٢، ٣٣] الآيات، بيَّن اللهُ سبحانه وتعالى في هذه الآياتِ أنَّه أورثَ هذا القرآنَ، أي أعطَى هذا القرآنَ العظيمَ الّذين اصطفاهم أي اختارَهُم وهُمْ هذه الأمةُ فهذه الأمةُ هي خيارُ الأممِ كَمَا قالَ سبحانه وتعالى: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ [آل عمران: ١١٠]، وقال سبحانه: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ [البقرة: ١٤٣]، يعني عُدُولاً خِياراً ﴿ لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ هذه الآيةُ تدلُّ على فضلِ هذهِ الأمةِ المحمدية وأنَّ اللهَ اصطفاها وذلك لمن اتَّصفَ بصفاتِ هذه الأمةِ مِنَ الإيمانِ باللهِ ورسولِهِ والأعمالِ الصالِحَةِ وتركَ الأعمالَ المحرمةَ، وأمَّا مَنْ ينتسبُ إلى هذه الأمةِ وهو مخالِفٌ لما هِيَ عليه ومخالِفٌ لما دلَّ عليه الكتابُ والسنةُ، فانتسابُهُ إليها لاينفعُهُ، وإنَّما هذه فيمن اتَّصفَ بصفاتِ هذه الأمةِ واستقامَ على عقيدَتِهَا وعلى عبادَتِهَا وعلى منهجِهَا، فإنَّه هو الذي يكونُ من هذِهِ الأمةِ، ثم قَسَّمَهُم إلى ثلاثةِ أقسامٍ: ظالمٍ لنفسِهِ وهو الَّذِي يفعلُ المعاصِي الَّتِي دونَ الشركِ، ومقتصدٍ وهو الَّذي يأتي بالواجباتِ ويتركُ المحرماتِ، وقد يفعلُ بعضَ المكروهاتِ ويتركُ بعضَ المستحباتِ، ومنهم سابق بالخيرات، وهذا أعلى الدرجاتِ، قال

تعالى: ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ﴿١٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿١٢﴾ ﴾ [الواقعة: ١٠ـ١٢]، ثم أخبرَ أنَّهم كلُّهم في الجنةِ والسابقُ بالخيراتِ هو الَّذي يفعلُ الواجباتِ والمستحباتِ ويتركُ المحرماتِ والمكروهاتِ وبعضَ المباحاتِ من بابِ الاحتياطِ، هذا هو السابقُ بالخيراتِ، ثُمَّ أخبرَ سبحانه أنَّ هذه الأصنافَ الثلاثَ كلَّها في الجنةِ، أما السابقون بالخيراتِ فيدخلُونَ الجنةَ بغيرِ حسابٍ، وأما المقتصدون فيحاسَبُون حِسَاباً يسيراً، وأما الظَّالِمُ لنفسِهِ فهذا هو الَّذي يناقشُ الحسابَ وهو تحتَ المشيئةِ إنْ شاءَ اللهُ غفرَ له وإن شاءَ عذَّبَه بقدرِ ذنوبِهِ ثُمَّ يدخلُ الجنةَ بعد ذلك، ثُمَّ بين سبحانه وتعالى مايحلّون به يعني يتزينون به ﴿ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٣٣﴾ ﴾ يتحلَّون بالذهبِ واللؤلؤِ وهذا في الجنةِ.

أمّا في الدنيا فلا يجوزُ للرجالِ أن يتحلّوا بالذهبِ وإنَّما هذا في الجنةِ، كما قال ﷺ «**لاتشربُوا بآنيةِ الذهبِ والفضةِ، ولا تأكُلُوا في صِحَافِهِمَا فإنَّها لهم في الدنيا ولكُمْ في الآخرةِ**»

فالمؤمنونَ يلبسُونَ الذهبَ في الجنةِ وآنيتُهُم مِنْ فضةٍ ومِنْ ذهبٍ ﴿ يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ ﴾ [الزخرف: ٧١]، ففي الجنةِ يُحلَّون بالذهبِ والفضةِ واللؤلؤِ كَمَا في هذه الآياتِ، أما في الدنيا فإنَّهم يتجنَّبُون التحلِّي بالذهبِ طاعةً للهِ، لأنَّها للكفارِ في هذه الدنيا هم الَّذين يلبسُونَ الذهبَ ويلبسُونَ الحريرَ وكذلِكَ الحريرُ حرامٌ على الرجالِ المسلمين في هذه الدنيا، فقد قَالَ النبيُّ ﷺ في الذهبِ والحريرِ «**حرامٌ على ذُكُورِ أُمَّتِي حِلٌّ لإناثِهَا**» هَذَا في الدنيا، أما في الآخرةِ، فإنَّ أهلَ الجنةِ يلبسُونَ الحريرَ والإستبرقَ، ولهذا قال ﴿ وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٣٣﴾ ﴾ وأمورُ الجنةِ غيرُ أمورِ الدنيا، الدنيا دارُ امتحانٍ ودارُ ابتلاءٍ ودارُ

أمرٍ ونهيٍ، أما الجنةُ فإنَّها دارُ نعيمٍ ودارُ سرورٍ ودارُ حبورٍ، ليس فيها أمرُ تكليفٍ أو تحليلٍ أو تحريمٍ كُلُّ ما فِيهَا فإنَّه حلالٌ لأهلِ الجنةِ جزاءً لهم على ماقدَّموه في الدنيا لما تركوا ما حرَّم اللهُ عليهم في الدنيا أباحَ اللهُ لهم ما في الجنةِ سبحانه وتعالى منَ الحريرِ ومِنَ الذهبِ ومِنَ الفضةِ يتحلَّون به ويلبسُونَه ويأكُلُون بصحافِهِ ويشربون بآنيتِهِ جزاءً لهم عندَ اللهِ، أما الكفارُ الَّذين تمتَّعُوا بالذهبِ والحريرِ في هذه الدنيا فإنَّهم في الآخرةِ يكونون في جهنمَ وما فِيهَا مِنَ النكالِ والعذابِ والسلاسِلِ والأغلالِ والحميمِ ـ والعياذ باللهِ ـ والزقومِ لأنَّهم في هذه الدنيا خالَفوا أوامرَ اللهِ سبحانه وتعالى وكفروا باللهِ وأشركوا باللهِ واستحلّوا ما حرَّم اللهُ عزَّ وجلَّ فَحُرِمُوا مِنَ النعيمِ في الآخرةِ. أمَّا أهلُ الإيمانِ فإنَّهم لما تقيَّدوا بأوامِرِ اللهِ ونواهِيهِ تركوا ما حرَّم اللهُ عليهم وأخذوا ما أباحَ اللهُ لهم وأدّوا ما أوجبَ اللهُ عليهم صَارَ لهم النعيمُ والسرورُ التامُّ يومَ القيامَةِ وأُبيحَتْ لهم هذه الأمورُ الَّتي كانتْ محرمةً عليهم في الدنيا من بابِ الابتلاءِ والامتحانِ، فلما أطاعوا اللهَ في هذه الدنيا ونجَحُوا في الامتحانِ حصلوا على النتيجةِ العظيمةِ وهي الجنة ﴿ جَنَّٰتُ عَدۡنٍ ﴾ جناتٌ وليستْ جنةً واحدةً، لأنَّ الجنةَ درجاتٌ بعضُها فوقَ بعضٍ وهي جناتٌ كثيرةٌ ﴿ جَنَّٰتُ عَدۡنٍ ﴾ والعدنُ معناه الإقامةُ، لأنهم مُقيمون فِيَها لا يرحلُون عنها ولا يخافُون فيها ولا يهرمون بَلْ هم شبابٌ دائِمٌ وصحةٌ دائمةٌ ولذةٌ دائمةٌ ونعيمٌ دائِمٌ وقرةُ عينٍ لاتنقطعُ ﴿ يُحَلَّوۡنَ فِيهَا مِنۡ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٖ وَلُؤۡلُؤٗاۖ وَلِبَاسُهُمۡ فِيهَا حَرِيرٞ ٣٣ ﴾ ثُمّ إنهم حَمَدوا اللهَ وشكروه، لأنَّهم ما حصلوا على هذه الجنةِ إلا بفضلِ اللهِ، فاعترفوا بفضلِ اللهِ وقالوا الحمدُ للهِ. ﴿ ٱلَّذِيٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلۡمُقَامَةِ مِن فَضۡلِهِۦ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٞ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٞ ٣٥ ﴾ فهُمْ في الجنةِ في راحةٍ وفي لذةٍ وفي نعيمٍ لايتعبون ولايسخطون ولايهرمون

ولا يمرضون ولا يجوعون لا يعطشون ولا يُصيبُهُم بردٌ بَلْ هم في لذةٍ دائمةٍ ونعيمٍ دائمٍ ﴿ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا ﴿١٣﴾ وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا ﴿١٤﴾ وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِآنِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا ﴿١٥﴾ قَوَارِيرَا مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا ﴿١٦﴾ ﴾ [الإنسان: ١٣ـ ١٦]، هذا شرابُهُم وهذه آنيتُهُم وهذا لباسُهُم وهذا حُلِيُّهُم وزينتُهُم، والأعظمُ من ذلِكَ أنَّ هذه النعمَ لاتنقطعُ ولا تزولُ، ولايخافون من أن تسرقَ أو أن تؤخذَ أو أَنْ يغلبوا عليها كَمَا في الدنيا، لو أن الإنسان أوتي في الدنيا ما يشاءُ مِنَ النعمةِ ومِنَ المالِ ومِنَ الملذاتِ فإنَّه غيرُ آمنٍ، بَلْ هو خائِفٌ دائماً وأبداً، والأمراضُ تهدِّدُه والعدوُّ يُهدِّدُهُ والهرمُ والكبرُ كُلُّ ذلِكَ من ورائِهِ، فهو لا يطمئِنُّ ولا يتلذذُ، وأيضاً يخافُ على هذا المالِ أنَّ يزولُ أو أنُّه يخسرُ أو أنَّه يكسدُ، فهو دائماً في لهثٍ وفي تعبٍ وراءَ هذا المالِ يحرُسهُ ويخافُ عليه فهو وإنْ أُوتِيَ في الدنيا ما أوتي مِنَ الملذاتِ إلا أنَّه غيرُ مرتاحٍ وغيرُ مطمئنٍ ولايتلذَّذُ بها وقد يصابُ بمرضٍ يُحْرِمُهُ من تناوُلِهَا ومن لذَّتِهَا، ولو سَلِمَ مِنَ المرضِ فإنَّ الموتَ سيهجمُ عليه وينقلُهُ منها إلى دار الآخرةِ، أما الجنةُ فإنَّها ليسَ فيها خوفٌ ﴿ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ﴿٣٥﴾ ﴾ فهم دائماً في سرورٍ وراحةٍ، واطمئنانِ بالٍ، وليسَ بينهم حسدٌ، وليس بينهم بغضاءُ، وليسَ بينهم تنافسٌ، بل هُمْ إخوانٌ على سُرُرٍ متقابلين، ليسَ بينهم ما بين أهلِ الدنيا مِنَ الحسدِ ومِنَ البغضاءِ ومِنَ النميمةِ ومِنَ الوشايةِ ومِنَ المغالباتِ، بل هُمْ أخوةٌ على سُرُرٍ متقابلين، نَزَعَ اللهُ الغلَّ والحقدَ مِنْ صدورِهِم، فَلَا أحدٌ منهم يجدُ على أخِيهِ شيئاً في نفسِه أو في قلبِه، وهذا من تمامِ السرورِ ومن تمامِ النعمةِ.

نسألُ اللهَ عزَّ وجلَّ أن يلحقَنا وإياكُم بِهِم على عملٍ صالحٍ وخاتمةٍ طيبةٍ ووفاةٍ على الإسلامِ، وصلَّى اللهُ وسلَّم على نبيِّنا محمدٍ وعلى آلِهِ وصحبِهِ أجمعين.

المجلسُ الرابعُ والعشرون
في فضلِ الدعاءِ

الحمدُ للهِ ربِّ العالمين، والصلاةُ والسلامُ على نبيِّنا محمدٍ وعلى آلِهِ وصحبِهِ وبعدُ:

فإنَّ الدعاءَ هو أفضلُ أنواعِ العبادَةِ، وقد جاءَ في الحديثِ «**الدعاءُ هو العبادةُ**» قالَ اللهُ سبحانه وتعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾﴾ [غافر: ٦٠]، أمرَ اللهُ سبحانه وتعالى بالدعاءِ، ووعدَ بالإجابةِ، وأخبرَ أنَّ الدعاءَ عبادةٌ ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي﴾ فسمّاه: عبادةَ ودلَّ الحديثُ على أنَّه أعظمُ أنواعِ العبادَةِ؛ لأنَّ العبادةَ لها أنواعٌ كثيرةٌ غيرَ الدعاءِ، ولكن لمَّا كان الدعاءُ أعظمها سُمِّي: عبادةً، مثل قوله ﷺ: «**الحجُّ عرفةُ**»[1] فالحجُّ له مناسكُ كثيرةٌ، منها الوقوفُ بعرفةَ، ولكن لمّا كانَ الوقوفُ بعرفةَ هو أعظمُ المناسِكِ، قال ﷺ: «**الحجُّ عرفةُ**» يعني: أعظمُ مناسِكِ الحجِّ: الوقوفُ بعرفةَ.

كذلك الدعاءُ، هو نوعٌ مِنْ أنواعِ العبادَةِ، ولكن لمّا كان هو أعظمَهَا سُمِّي

---

(١) فعن عبد الرحمن بن يعمر الديلي قال: شهدت رسول الله ﷺ وهو واقف بعرفة، وأتاه ناس من أهل نجد، فقالوا: يا رسول الله كيف الحج؟ قال: «الحج عرفة، فمن جاء قبل صلاة الفجر ليلة جمع فقد تم حجه. أيام منى ثلاثة، فمن عجل في يومين فلا إثم عليه ومن تأخر فلا إثم عليه». ثم أردف رجلا خلفه فجعل ينادي بهن.
أخرجه الحميدي (رقم ٨٩٩) وأبو داود (رقم ١٩٤٩) وابن ماجه (رقم ٣٠١٥) والترمذي (رقم ٨٨٩) وابن خزيمة (رقم ٢٨٢٢). وصححه الألباني في صحيح الجامع (رقم ٣١٧٢).

بالعبادةِ، مما يدلُّ على فضلِ الدعاءِ، وأنَّ المسلم مطلوبٌ منه أن يكثرَ مِنَ الدعاءِ، واللهُ أَمَرَه بذلك، وهذا من رحمةِ اللهِ سبحانه وتعالى، أنْ أمرَ عبادَه بالدعاءِ؛ لأنهم بحاجةٍ إليه، فإذا دعوه أجابَهُم، أما إذا أعرضوا عنه فإنَّ اللهَ سبحانه غنيٌّ عنهم، ويكون الضررُ عليهم هم، حيثُ يُحرمُونَ من إجابةِ اللهِ سبحانه وتعالى.

والدعاءُ له أوقاتٌ يتأكَّدُ فيها وتُرْجَى إجابَتُه فيها، منها: هذا الشهرُ، بل منها هذه العشرُ، بل منها ليلةُ القدرِ، وهذا الشهرُ كلُّهُ شهرُ دعاءٍ وعبادةٍ، ولكن في آخرِهِ في العشرِ الأواخرِ يتأكَّدُ فضلُ الدعاءِ، ويُرجَى فيها الإجابةُ أكثرُ مِنْ غيرِهَا، فينبغي للمسلمِ أنْ يجتهدَ في الدعاءِ في صلاتِهِ، في سجودِهِ، في ركوعِهِ، وفي سائرِ أحوالِهِ، يلحُّ على اللهِ بالدعاءِ، قال اللهُ تعالى: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾ ﴾ [البقرة: ١٨٦]، فاللهُ قريبٌ مجيبٌ، ولكنَّ الشأنَ في صدقِ العبدِ وإقبالِهِ على اللهِ سبحانه وتعالى.

وإجابةُ الدعاءِ لها شروطٌ، فليسَ الدعاءُ مجردَ ألفاظٍ تُقالُ، بَلْ والإجابةُ لها شروطٌ ولها موانعُ:

منها: الإخلاصُ للهِ سبحانه وتعالى، بأن يخلصَ في قلبِهِ للهِ عزَّ وجلَّ، ويستقيمُ ويبتعدُ عَنِ الشركِ، قَال تَعالى: ﴿ فَٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١٤﴾ ﴾ [غافر: ١٤]، فالتوحيدُ شرطٌ في قبولِهِ ودعائِهِ؛ لأنَّ التوحيدَ يقرِّبُه مِنَ اللهِ سبحانه وتعالى، ويكونُ وسيلةً لقبولِ دعائِهِ عندَ اللهِ عزَّ وجلَّ.

وكذلك مِنْ شروطِ قبولِ الدعاءِ: أنْ يدعو بقلبٍ حاضرٍ مُقْبِلٍ على اللهِ، يرجُو الإجابةَ، ولايدعُو بقلبٍ غافلٍ معرضٍ، فإنما يحركُ لسانَهَ فقط، وقلبُهُ

معرضٌ وغافلٌ، وهذا لا يستجابُ له الدعاءُ، قد جَاءَ في الحديثِ: أنَّ الدعاءَ لايُستجابُ من قلبٍ غافلٍ لاهٍ، وفي الحديث الآخر: «**ادعوا اللهَ وأنتم موقنون بالإجابةِ**»[1].

وكذلك من أسبابِ الإجابةِ: أن تدعو اللهَ بأسمائِهِ وصفاتِهِ سبحانه وتعالى، وتناديه بأسمائِه: يا رحمٰنُ، يا رحيمُ، يا اللهُ، يا ربُّ، قال الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠]، فقل: يا اللهُ، يا رحمٰنُ، يا رحيمُ، يا غفارُ، يا غفورُ، يا حيّ، يا قيومُ، يا ذا الجلالِ والإكرامِ، تناديه جلَّ وعلا بأسمائِهِ وصفاتِهِ، فإنَّ هذا من أسبابِ قبولِ الدعاءِ ﴿فَٱدْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَـٰٓئِهِۦ﴾.

ومن أسبابِ الإجابةِ: تحرِّي الأوقاتِ التي يُستجابُ فيها الدعاءُ، فمطلوبٌ مِنَ المسلمِ الدعاءُ دائماً وأبداً، لكن يتحرَّى أيضاً الأوقاتِ التي هي أقربُ للإجابةِ، مثل حالةِ السجودِ بين يدي الربِّ سبحانه وتعالى، ومثل آخرِ الليلِ، ومثل آخرِ ساعةٍ مِنْ يومِ الجمعةِ، ومثل هذا الشهرِ، وهذه الليالي العشرِ، فهذه أوقاتٌ يُرجى فيها إجابةُ الدعاءِ أكثرُ مِنْ غيرِهَا.

ومن موانعِ القبولِ ـ كما ذكرنا ـ: الغفلةُ والإعراضُ حَالَ الدعاءِ، بأن يدعو

---

(١) أخرجه الترمذي (رقم ٣٤٨٨) والحاكم في المستدرك ١/ ٤٩٣ وقال الترمذي هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه، سمعت عباساً العنبري يقول: اكتبوا عن عبدالله ابن معاوية الجمحي فإنه ثقة. وقال الحاكم: هذا حديث مستقيم الإسناد تفرد به صالح المري، وهو أحد زهاد أهل البصرة ولم يخرجاه. وتعقبه الذهبي بقوله: صالح متروك.
وللحديث شاهد عند أحمد ٢/ ١٧٧ عن ابن عمرو وحسن إسناده الهيثمي في مجمع الزوائد ١٠/ ١١٨ وكذا حسنه الألباني في صحيح الجامع (رقم ٢٤٥).

الإنسانُ وقلبُهُ غافِلٌ.

ومن أعظمِ موانعِ القبولِ: أكلُ الحرامِ، فالذي يأكلُ الحرامَ لايُستجابُ له، كما صحَّ في الحديثِ عَنِ النبيِّ ﷺ في: «**الرجلِ يطيلُ السفرَ أشعثَ أغبرَ، يمدُّ يديه، ياربِّ، ياربِّ، ومطعمُهُ حرامٌ، وملبسُهُ حرامٌ، ومشربُهُ حرامٌ، وغُذِّي بالحرامِ، فأنّىٰ يستجابُ لذلك**»[1]، فأكلُ الحرامِ يمنعُ مِنْ قبولِ الدعاءِ، وهو من أعظمِ الموانِعِ، فعلى المسلمِ أن يطيبَ مطعَمَه. ولمّا قَالَ سعدٌ رضي اللهُ عنه للرسول ﷺ: ادعُ اللهَ أنْ يجعلني مجابَ الدعوةِ، قال له: «**أَطِبْ مَطْعَمَكَ تجبْ دعوتُكَ**».

فالمسلمُ يبتعدُ عن أكلِ الحرامِ؛ لأنه يمنعُ مِنْ قبولِ الدعاءِ، ويحولُ بينه وبين ربِّه، وهذا أخطرُ مايكونُ على الناسِ، فقد يحملهم حبُّ المالِ أن يكتسبوا المالَ من وجوهٍ محرمةٍ، كالغشِّ والخديعةِ، والمكرِ في البيعِ والشراءِ، وأكلِ الربا، ـ والعياذُ باللهِ ـ وهو أشدُّ، وأكلُ الرشوةِ، وهي سحتٌ وحرامٌ شديدةُ التحريمِ، ملعونٌ مَنْ فَعَلَها، إلى غيرِ ذلك مِنَ المكاسِبِ المحرمة، وكذلك التغذِّي بالخبائِثِ كأكلِ الميتةِ ولحمِ الخنزيرِ، وشربِ الخمرِ فتغذيةُ الجسمِ بالمحرماتِ تمنعُ مِنْ قبولِ الدعاءِ، نسألُ اللهَ العافيةَ.

واللهُ تعالى أعلمُ، وصلَّى اللهُ وسلَّم على نبيِّنا محمدٍ.

* * *

---

(١) أخرجه مسلم (رقم ١٠١٥).

المجلسُ الخامسُ والعشرون
في النظرِ إلى وَجْهِ اللهِ الكريمِ، وبيانِ أسبابِ حصولِهِ

الحمدُ للهِ ربِّ العالمين، وصلَّى اللهُ وسلَّم على نبيِّنا محمدٍ وعلى آلِهِ وصحبِهِ، وبعدُ:

فأعظمُ نعيمٍ ينالُهُ أهلُ الجنةِ: رؤيةُ وَجْهِ ربِّهم الكريمِ، كما ثَبَتَ ذلك فِي القرآنِ الكريمِ وفي السنةِ المتواترةِ، وفي إجماعِ أهلِ السنةِ والجماعةِ، وذلك في قولِهِ تعالى: ﴿ ۞ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾ [يونس: ١٠]، والحسنى هي: الجنةُ، والزيادةُ هي: النظرُ إلى وَجْهِ اللهِ الكريمِ، وفي قوله تعالى ﴿ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا ﴾ يعني: الجنةَ ﴿ وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴿٣٥﴾ ﴾ والمزيدُ: النظرُ إلى وَجْهِ اللهِ.

وقال سبحانه وتعالى: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ ﴾ يعني: بهيةً حسنةً مِنَ النضرةِ ﴿ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ ﴾ أي: ترى ربَّها بالأبصارِ عَياناً إكراماً لها، وفي قوله تعالى عَنِ الكفارِ: ﴿ كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾ ﴾ فإذا كانَ الكفارُ محجوبين عن رؤيةِ ربِّهِم، فإنَّ المؤمنين غيرُ محجوبين.

فالنظرُ إلى وَجْهِ اللهِ الكريمِ لأهلِ الجنةِ ثابتٌ لاشَكَّ فِيهِ، وهو أَلذُّ نعيمٍ، وذلك جزاءٌ لهم؛ لأنَّهم آمنوا به في الدنيا بالغيبِ، آمنوا به ولم يَرَوْهُ، فأكرمَهُمُ اللهُ جلَّ وعلا بأن تجلَّى لهم في الدارِ الآخرةِ ليروه عَيَاناً، فهؤلاءِ الذين آمنوا به في الدنيا ولم يروه، كَانَ أعظمَ جَزَائِهِم: أنهم يرونه يومَ القيامَةِ ويتلذذون برؤيته.

وفي الحديثِ الصحيحِ المتفقِ عليه «**إنَّكُم سترون ربَّكم يومَ القيامَةِ كما**

تَرَوْنَ القمرَ ليلةَ البدرِ، وكما تَرَوْنَ الشمسَ صَحواً ليسَ دُونَها سحابةٌ»[١]، وذلك لأنَّ اللهَ جلَّ وعلا يُعْطِيهم في الآخرةِ قوةً يستطيعون بَها أن يَرَوْا ربَّهم، أما في هذه الدنيا فإنَّه لايُرى سبحانه وتعالى؛ لأنَّ الناسَ لايستطيعون رؤيته؛ لأنَّ الناسَ في هذه الدنيا ضعافُ الأجسامِ والمداركِ والحواسِ، فلا يستطيعون رؤيةَ ربِّهم عزَّ وجلَّ، وأيضاً لِيَتِمّ لهم الإيمانُ بالغيبِ، الذي هو أعلى درجاتِ الإيمانِ.

ولهذا لمّا سألَ موسى عليه السلامُ، وهو كليمُ اللهِ عزَّ وجلَّ الَّذي خصَّه اللهُ بأن كلَّمهَ تكليماً، وأسْمَعَه كلاماً بدون واسطةِ ملكٍ، بل كَلَّمَه سبحانه وتعالى مباشرةً، وسَمِعَ موسى كَلاَمَه وخَاطَبَه، مع هذه المرتبةِ التي نَالَها موسى عليه السلامُ، لمّا سأَلَ ربَّه ﴿قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ﴾ اشتاقَ إلى ربِّه حينما سَمِعَ كَلاَمَه وقال ﴿رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ﴾ قال اللهُ له: ﴿لَن تَرَىٰنِي﴾ يعني في الدنيا؛ لأنَّك لاتستطيعُ أنْ تراني، ثم إنَّ اللهَ أرادَ أن يُريه عجزَهُ عَنْ رؤيةِ اللهِ في هذه الدنيا، فقال: ﴿وَلَٰكِنِ ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ﴾ والجبلُ لاشَكَّ أنَّه أشدُّ وأقوىٰ مِنَ الإنسانِ وأصلبُ، ومع هذا لم يستطع الجبلُ أن يَبْقَى لما تجلَّى اللهُ له سبحانه وتعالى، ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلۡجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكّٗا﴾ جَعَلَهَ تُراباً منهالاً، اندكَّ الجبلُ وصارَ تراباً من عظمةِ اللهِ سبحانه وتعالى ﴿وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقٗاۚ﴾ أصابَتْهُ الغشيةُ، وغُشِيَ عليه من الهيبةِ والجلالَةِ والروعةِ، وسَقَطَ على الأرضِ مغشياً عليه، فلما أفاقَ وذهبَ عنه الروعُ والغشيُّ وعادتْ إليه صحتُهُ وإدراكُهُ، قال: ﴿سُبۡحَٰنَكَ تُبۡتُ إِلَيۡكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١٤٣﴾ [الأعراف: ١٤٣].

فدلَّ هذا على أنَّ اللهَ جلَّ وعلا لايراه أحدٌ في الدنيا مهما بلغَ مِنَ المرتبةِ

---

(١) أخرجه البخاري (رقم ٥٥٤، ٨٠٦، ٧٤٣٤) ومسلم (رقم ١٨٢).

والكرامة، حتَّى موسى عليه الصلاةُ والسلامُ، لم ير ربَّه في الدنيا، وكذلك محمدٌ ﷺ ليلةَ عُرِجَ بِهِ إلى السماءِ لم ير ربّه بعينيه على الصحيحِ، وهذا الذي عليه جمهورُ أهلِ السنةِ، أنه لم ير ربَّه بعينيه، وإنَّما رآه بقلبه، فلا أحدٌ يَرَى ربَّه في هذه الدينا، وإنما الرؤية يدّخِرُهَا اللهُ كرامةً لأوليائِهِ في الجنةِ يوم القيامةِ، فهم الذين يرونه، وتقرُّ أعينُهُم برؤيته، ويتنعمون ويتلذذون برؤيته الرب سبحانه وتعالى، هذا مادلَّت عليه الأدلةُ الثابتةُ مِنَ الكتابِ والسنةِ، وأجمع عليه علماءُ المسلمين مِنَ السلفِ الصالحِ وأتباعِهِم، وهو ثبوتُ رؤيةِ الرَّبِّ سبحانه وتعالى في الدارِ الآخرةِ لعبادِه المؤمنين، فلابُدَّ مِنَ الإيمانِ بذلك واعتقاده، ولذلك جَعَلَ العلماءُ الإيمانَ بالرؤيةِ مِنْ مسائِلِ وأصولِ الاعتقادِ، فيذكرونه في كتبِ العقائِدِ؛ لأجلِ أنْ يعتقدَه المسلمُ ويصدقَ بِهِ ويؤمنَ بِهِ، والذي يجحدُ رؤيةَ المؤمنين لربِّهم يَوْمَ القيامَةِ يكونُ كافراً ـ بعدَ معرفةِ الأدلَةِ على ثُبُوتِها ـ؛ لأنه مكذبٌ للهِ، ومكذبٌ لرسولِه ﷺ ، ومكذبٌ لإجماعِ المسلمين، نسألُ اللهَ العافيةَ.

وصلَّى اللهُ وسلَّم على نبيِّنا محمدٍ وعلى آلِهِ.

* * *

المجلسُ السادسُ والعشرون
في ذمِّ الإعجابِ بالدنيا، والانشغالِ بها عَنِ الآخرةِ

الحمدُ للهِ ربِّ العالمين، والصلاةُ والسلامُ على نبيِّنا محمدٍ وعلى آلِهِ وأصحابِهِ أجمعين.

حقيقةُ الدنيا نها دارٌ مؤقتة، ليستْ دارَ استقرارٍ وإقامةٍ، وإنما هي محطةٌ، فإنْ استعمَلَها الإنسانُ وأشغلَهَا بطاعةِ اللهِ صارتْ مزرعةً للآخرةِ، أمَّا إنْ شغلَتْهُ بشهواتِهَا وملذَّاتِهَا فإنَّه يخسرُ دنياه وآخرته، لا الدنيا تدومُ لَهُ، والآخرةُ لَمْ يقدِّمْ لها شيئاً، فهذا كما قَالَ اللهُ تعالى: ﴿خَسِرَ ٱلدُّنْيَا وَٱلْأَخِرَةَ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ﴿١١﴾﴾ [الحج: ١١].

أما الأولُ: الذي شَغلَ دنياه ولم تَشْغَلْهُ؛ بل شَغَلَها هو فيما ينفَعُهُ عندَ اللهِ سبحانه وتعالى، فهذا هو الذي يربحُ دنياه وآخرتَهُ، يربحُ دنياه؛ لأنه شَغَلَها بالخيرِ، ويربحُ آخرتَه؛ لأنَّه قدَّم لها عَمَلاً صالحاً.

واللهُ جلَّ وعلا في كثيرٍ مِنَ الآياتِ يقولُ: ﴿فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا﴾ [لمقان: ٣٣]، نَهَىَ سبحانه وتعالى عَنِ الاغترارِ بالحياةِ الدنيا، وذلك لأنَّ الذي يغترُّ بها ينخدعُ، ويضيعُ عليه وقتُهُ، ويفوتُ عليه عمرُهُ، وهو لهوٌ ولعبٌ، وغفلةٌ وإعراضٌ، وقد لايكونُ في لهوٍ وغفلةٍ؛ بل هو يَشْقَى بالليلِ والنهارِ للدنيا فقد، بجمعِ المالِ، وبتكديسِ الثرواتِ، أو بالصناعاتِ، كما هي حالُ كثيرٍ مِنَ الكفرة اليومَ، يشتغلونَ بالصناعاتِ والاختراعاتِ، ثم ماذا؟ ما هي النتيجةُ؟ أنّها لِغَيْرِهم، فهم أتعبوا أنفسَهُم، وأَفْنَوْا مدارِكَهُم، في شيءٍ لايَبْقَى لهم، وهو

لايَبْقُون له، وليس معنى هذا أنَّ الإنسانَ لايستفيدُ مِنْ منافِعِ الدنيا وصناعَاتِها؛ بل يستفيد منها بأنْ يستعينَ بها على طاعةِ اللهِ، فاللهُ جلَّ وعلا جعلَ الدنيا وما فيها لعبادِهِ المؤمنين: ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ ۚ قُلْ هِىَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾ [الأعراف: ٣٢]، ﴿ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ [الجاثية: ١٣] ﴿ خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ ﴾.

لكن ليس معناه أنَّك تشتغلُ بها وتنسىَ الآخرةَ؛ بل معناه أنَّك تشتغلُ بها ناوياً الاستعانةَ بها على طاعةِ اللهِ عزَّ وجلَّ، فالذي يستخدمُ الدنيا ويشغلُ الدنيا بمصالحِ دينِهِ ودنياه، هذا هو الرابحُ. والذي تشغلُهُ الدنيا وتكون همَّه، فهذا كما قالَ اللهُ جلَّ وعلا ﴿ وَفَرِحُوا۟ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا مَتَٰعٌ ﴿٢٦﴾ ﴾ [الرعد: ٢٦].

فهذا هو الفرقُ بينَ من يستفيدَ مِنَ الدنيا، ومن يخسرُ. فالدنيا لاتذمُّ لذاتِهَا، وإنما يذمُّ تصرُّفُ ابنِ آدمَ فيها، فمحلُّ الذمِّ والمدحِ هو تصرُّفُ الإنسانِ، أما الدنيا فإنَّها موادٌ مسخرةٌ يستعمِلُها الإنسانُ في الخيرِ، ويستعمِلُهَا في الشرِّ، السلاحُ مثلاً: يستعملُهُ المؤمنُ بالجهادِ في سبيلِ اللهِ، وإعلاءِ كلمةِ اللهِ، وكسرِ العدوِّ في الأرضِ، ويستعمِلُهُ الكافرُ للتسلُّطِ على الناسِ، والعدوانِ والظلمِ والبغْيِ، وهو سلاحٌ واحدٌ، لكنَّ العبرةَ بالاستعمالِ، كذلك بقيةُ أمورِ الدنيا، فالذي يُذَمَّ ويُمْدَحُ هو تصرُّفُ هذا الإنسانِ.

والجنةُ تُبْنَى بالذكرِ، بالتسبيحِ والتهليلِ والتكبيرِ، وتُغْرَسُ أشجارُهَا بالذكرِ، فهذا يدلُّ على أَنَّ هذه الدنيا مزرعةٌ للآخرةِ، كما يقولُ أهلُ العلمِ: «**الدنيا مزرعةٌ للآخرةِ**» وبعضُهُم يقولُ: الدنيا مطيةٌ للآخرةِ. والكلامُ صحيحٌ، هي مزرعةٌ، وهي مطيةٌ، فَمِنَ الناسِ من يزرعُ الشوكَ والأشياءَ الضارة

والحنظلَ، ومِنَ الناسِ من يزرعُ الثمراتِ الطيبةَ والنباتاتِ الطيبةَ، التي تنفعُهُ وتنفعُ غيرَهُ، هذا يزرعُ النخلَ الذي جعلَ اللهُ فيه الغذاءَ والقوتَ الطيبَ، ينفعُهُ وينفَعُ غيرَهُ، وهذا يزرعُ المخدراتِ التي تُدَمِّرُهُ وتُدَمِّرُ العالمَ، فالفرقَ هو تصرُّفُ الإنسانِ واستعمالُ الإنسانِ.

فالمسلمُ الموفقُ هو الذي يستغلُ دنياه لآخرتِهِ، والشقيُّ هو الذي تستغلُهُ دنياه ويصبحُ خادِماً لها، وفي النهايةِ: إمَّا أَنْ تذهبَ وتتركُهُ، وإمّا أنْ يَذْهَبَ هو ويترُكُهَا، ويكونُ له الشوكُ، ولغيرِهِ الثمرةُ.

فيجبُ على المسلمِ العاقلِ البصيرِ أن يتفكرَ في أمورِ دنياه، ولايكونُ كالبهيمةِ التي لاتَدْرِي ماذا يُرادُ بها؛ بل إنَّ البهيمةَ أحسنُ حالاً مِنَ الإنسانِ؛ لأنَّ البهيمةَ لايحصلُ منها ضررٌ على أحدٍ إلاّ آذاها وضَايَقَها، والبهيمةُ أيضاً ليسَ عليها حسابٌ، وليس لها جنةٌ ونارٌ، خُلِقَتْ لهذه الدنيا، وهي من مصالحِ الدنيا، يركبُهَا الإنسانُ ويحمِلُ عليها، ويأكُلُ مِنْ لحمِهَا، ويشربُ من لَبَنِهَا، ويلبسُ مِنْ صُوفِهَا وَوَبَرِهَا، فهي مخلوقةٌ للإنسانِ، وليسَ عليها تكليفٌ، فالإنسانُ هو الذي خُلِقَتْ له هذه الأشياءُ، فعليه أن يحسنَ التصرُّفَ، ويحسنَ الاستعمالَ؛ حتَّى تكونَ هذه الأشياءُ نافعةً له في الحاضِرِ والمستقبَلِ، وفّقَ اللهُ الجميعَ لما يحبُّ ويرضى.

* * *

المجلسُ السابعُ والعشرون
في فَضْلِ ليلةِ القدرِ

الحمدُ للهِ ربِّ العالمين، والصلاةُ والسلامُ على نبيِّنا محمدٍ وعلى آلِهِ وأصحابِهِ، وبعدُ:

فليلةُ القدرِ ليلةٌ عظيمةٌ، عظَّمَ اللهُ شَأْنَها في كتابِهِ الكريمِ، وَوَصَفَهَا بأوصافٍ عظيمةٍ، فهي ليلةُ القدرِ، والقدرُ معناه: المكانةُ والمنزلةُ، أو: الليلةُ التي تُقَدَّرُ فيها الآجالُ والأعمارُ والأقدارُ التي تجري فِي السنةِ؛ لقولِهِ تعالى: ﴿ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾، وعلى كلِّ حالٍ فهي ليلةٌ عظيمةٌ، وقد وَصَفَهَا اللهُ بأنها خيرٌ مِنْ ألفِ شهرٍ، أي: العبادةُ فيها أفضلُ مِنَ العبادَةِ فِي ألفِ شهرٍ ليس فيها ليلةُ القدرِ، فما ظنُّكم بليلةٍ تُعادِلُ ألفَ شهرٍ؟ يفنيها الإنسانُ في طاعةِ اللهِ سبحانه وتعالى، وذلك أنَّ اللهَ إذا وَفَّقَ هذا المسلمَ وصادَفَ ليلةَ القدرِ، واجتهدَ بالقيامِ والصلاةِ والعبادَةِ فيها، فإنَّ اللهَ يكتبُ له أجرَ قيامِ ألفِ شهرٍ زيادةً في حسنَاتِهِ.

وهذه الليلةُ في رمضانَ بلا شكٍّ؛ لأنَّ اللهَ سبحانه وتعالى أخبرَ أنه أنزلَ فيها القرآنَ، والقرآنُ أُنْزِلَ في شهرِ رمضانَ، كما قال تعالى: ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ ﴾ بمعنى: أنه بُدِىءَ فيه نزولُ القرآنِ، ثم تَوَالى بعدَ ذلك ينزلُ على النبيِّ ﷺ، حسبَ الوقائعِ والحوادِثِ، إلى أنْ تُوُفِّي رسولُ اللهِ ﷺ، وقد أكملَ اللهُ به الدينَ، وتكاملَ نزولُ القرآنِ الكريمِ، فبدايةُ تنزيلِ القرآنِ على هذا الرسولِ هو في هذه الليلةِ الشريفةِ، ولعظمةِ القرآنِ ومنزلةِ القرآنِ عظَّمَ اللهُ هذه الليلةَ التي ابتدأَ نزولُهُ على رسولِهِ فيها.

ومن **فضائلِ هذه الليلةِ**: أنها تنزلُ فيها الملائكةُ إلى الأرضِ: ﴿ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ ﴾ ملائكةٌ لايعلَمُ عددَهَمُ إلاّ اللهُ؛ لأجلِ إعانَةِ المسلمين على الطاعاتِ، فإنَّ الملائكةَ تنزلُ على المسلمين لإعانَتِهم على الطاعاتِ، كما تنزلُ عليهم لإعانَتِهم على الجهادِ في سبيلِ اللهِ عزَّ وجلَّ، فهي تنزلُ في هذه الليلةِ.

والروحُ، قِيل: هو جبريلُ عليه السلامُ، كما قَال تعالى: ﴿ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ ﴾ [الشعراء: ١٩٣، ١٩٤].

وقِيل: الروحُ: نوعٌ مِنَ الملائكةِ لايعلَمُهُ إلاّ اللهُ سبحانه وتعالى، والروحُ من معانِيه: القوةُ فالملائكةُ أقوياءُ، وينزلون لتقويةِ المؤمنين على الإيمانِ والطاعةِ.

ووصفَهَا بأنَّها سلامٌ حتَّى مطلعَ الفجرِ، فكُلُّها سلامٌ مِنَ الشرِّ ومِنَ الآفاتِ ومِنَ المحاذيرِ، فهي كلُّها ليلةٌ سالِمَةٌ، يسلَمُ أهلُهَا مِنَ الشرورِ والآفاتِ والبلايَا، حتى مطلعَ الفجرِ، حتّى يجيءَ طلوعُ الفجرِ.

وهذه الليلةُ ينبغي فيها أمران: الأمرُ الأولُ: صلاةُ التراويحِ، وصلاةُ التهجدِ، وغيرُ ذلك مِنْ صلاةِ النوافِلِ، فالبابُ مفتوحٌ لمن أرادَ أن يزدادَ مِنَ النوافِلِ ويصلِّي وَحْدَهُ، أو مَعَ جماعةٍ في بيتِه وفي المسجدِ، ولو صلَّى كُلَّ هذه الليلةِ فليسَ ذلك بكثيرٍ، قد كان النبيُّ ﷺ إذا دَخَلَ العشرُ فإنه يُحْيي ليلَهُ ويشدُّ مئزرَه[1]، وفي روايةٍ: «**لايذوقُ غمضاً**» عليه الصلاةُ والسلامُ، ولكن إذا قامَ المسلمُ مَعَ الإمامِ في التراويحِ والتهجُّدِ، فهذا خيرٌ كثيرٌ، وقد جاءَ في الحديثِ: «**مَنْ قَامَ مَعَ الإمامِ حتَّى ينصرِفَ كُتِبَ له قيامُ ليلةٍ**»[2]

---

(١) تقدم.

(٢) تقدم.

والأمرُ الثاني ـ في هذه الليلةِ ـ : الدعاءُ، فيكثرُ المسلمُ مِنَ الدعاءِ، سواءٌ في الصلاةِ أو خارجِ الصلاةِ، ودعاؤه في الصلاةِ أفضلُ، لاسيما دعاؤه وهو ساجدٌ، فإنَّ أقربَ ما يكونُ العبدُ مِنْ ربِّه وهو ساجدٌ، وقد حثَّ النبيُّ ﷺ على الإكثارِ مِنَ الدعاءِ في السجودِ، فإنَّهُ قَمِنٌ أَنْ يُستجابَ لَهُ، فَعلَى الإنسانِ أن يجتهدَ في الدعاءِ، ويتحرَّى الدعواتِ الجامعةَ الموافقةَ للكتابِ والسنةِ، مما وَرَدَ في الكتابِ والسنةِ، وكذلك يدعو بما يحتاجُ إليه؛ لأن حاجاتِ الناسِ تختلفُ، فَمِنَ الناسِ من هو مريضٌ يسألُ اللهَ الشفاءَ، وَمِنَ الناسِ من هو فقيرٌ يسألُ اللهَ أن يُغْنِيَه عَنِ الفقرِ، وكُلُّ الناسِ بحاجةٍ إلى المغفرةِ، وكلُّهم يستغفرونَ اللهَ ويطلبون مِنه المغفرةَ مِنَ الذنوبِ التي تَحَمَّلُوها، فيكثرُ مِنَ الاستغفارِ، وهو طلبُ المغفرةِ والرحمةِ، فإنَّ اللهَ غفورٌ رحيمٌ.

وَمِنَ الناسِ من هو في نقصٍ من دينه، وقد فَعَلَ شيئاً من المعاصِي والذنوبِ، فيكثرُ مِنَ الاستغفارِ والتوبَةِ الصادِقةِ في هذه الليلةِ، وفي هذه العشرِ يكثرُ مِنَ الدعاءِ، وفي آخرِ كُلِّ ليلةٍ مِنْ كُلِّ السنةِ.

فبابُ اللهِ مفتوحٌ دائماً وأبداً، ليلاً ونهاراً، وخصوصاً في آخرِ الليلِ، كُلَّ ليلةٍ وقتَ السحرِ، فاللهُ قد فَتَحَ لَكُمْ بَابَه، ويقولُ كُلَّ ليلةٍ حينَ يَبْقَى ثلثُ الليلِ الآخر: **«هَلْ مِنْ سائلٍ فَأُعْطِيَه؟ هل مِنْ مستغفرٍ فَأَغْفَرُ له؟ هل مِنْ تَائِبٍ فأتوبُ عليه؟»**[1].

ولكن في هذه العشرِ، وفي هذه الليلةِ بالذاتِ، يتأكَّدُ على المسلمِ أن يجتهدَ في الدعاءِ والاستغفارِ والتوبةِ، وسؤالِ اللهِ عزَّ وجلَّ، واللهُ جلَّ وعلا يفرحُ بتوبةِ

---

(١) تقدم .

عبدِه، وهو غَنِيٌّ عنه، لكن مِنْ رحمتِهِ به يفرحُ بتوبَتِهِ، يفرحُ له بالخيرِ، ويفرحُ له بالتوبةِ؛ لأنه يريدُ رحمَته، ويريدُ منفعته، وهذا من لطفهِ سبحانه وتعالَى، وإلاّ فهو غنيٌّ عَنْ عبادِه، لو كفروا كلُّهم ما نَقَصَ ذلك مِنْ ملكِهِ شيءٌ، ولو أسْلَمُوا كلُّهم مازَادَ ذلك في ملكِهِ سبحانه وتعالى، ولكنه من رحمَتِهِ وفضلِهِ وإحسانِهِ يحبُّ لعبادِهِ أن يتوبُوا وأنْ يستغفروا؛ ليغفرَ لهم، وليعطِيَهمُ حاجَاتِهِم، ويُغْنِي فَقْرَهُم، وليغفرْ لهم ذُنُوبَهُم.

فعلى الإنسانِ أنْ يجتهدَ في الدعاءِ، وأن يتجنبَ الدعاءَ على الناسِ بالعقوبةِ من غيرِ ظلمٍ جَرَى عليه منهم، وكونُه يصبرُ ويعفو أحسنَ، وإن أساؤوا إليه، أو أخطأَ عليه أحدٌ، فلايدعو على الناسِ، لكن يصبرُ، واللهُ جلَّ وعلا يعوِّضُه خيراً مما تَرَكَ ﴿ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ﴾، وإن كان الدعاءُ على الظالمِ جائزاً، ولكن كونه يصبرُ ويحتسبُ الأجرَ مِنَ اللهِ ويعفو، فهذا أفضلُ له، هذا إذا كان مظلوماً، فكيفَ إذا كان هو الظالمُ؟! يدعو على الناسِ بغيرِ حقٍّ، لا لشيءٍ إلاّ أنَّهم ما وافقوه على هواه، ولا وافقوا مَطْلَبَهُ.

لايدعو بإثمٍ، أو يدعو لحصولِ مَحرَّمٍ، أي أنْ يحصلَ على فعلِ معصيةٍ، أو يدعو بقطيعةِ رحمٍ، كأنْ يدعو على أقاربِهِ، ويدعو على أرحامِهِ، هذا ضِدُّ الصلةِ التي أمرَ اللهُ بها، حتَّى ولو ظلموه، لايدعو عليهم، بل يحسنُ إليهم، وما عندَ اللهِ خيرٌ وأبقى، فلا يدعو بإثمٍ ولا قطيعةِ رحمٍ، هذا مِنَ العدوانِ في الدعاءِ الذي نَهَى اللهُ سبحانه وتعالى عنه.

فعلى المسلمِ أنْ يتأدبَ بآدابِ الدعاءِ، وأن يوقنَ بالإجابةِ مِنَ اللهِ عزَّ وجلَّ، وأن يخلصَ للهِ فِي دعائِهِ، وأن يتجنبَ أَكْلَ الحرامِ، فإنَّ الحرامَ يمنعُ قبولَ الدعاءِ، وكذلك لايستعجلُ في الإجابةِ ويقنطُ مِنْ رحمةِ اللهِ، يقول: دعوتُ

ودعوتُ ولم يستجبْ لي، ثم يُمْسِكُ عَنِ الدعاءِ، ويقنطُ مِنْ رحمةِ اللهِ، بل يدعو ويلحُّ، واللهُ جلَّ وعلا أعلمُ، قد يكونُ في تأخيرِ الإجابَةِ مصلحةٌ للعبدِ مما لو عُجِّلَتْ له الإجابةُ، فَيَكِلُ الأمرَ إلى اللهِ سبحانه وتعالى، والدعاءُ عبادةٌ يؤجرُ عليها الإنسانُ حتَّى ولو لم تحصلْ له حاجتُهُ، فإنَّه يؤجرُ على دعائِهِ؛ لأنَّه عبادةٌ، واللهُ جلَّ وعلا أَمَرَ بعبادَتِهِ، وقد يصرفُ اللهُ عنه مِنَ السوءِ مِثْلَ ما طَلَبَ، وقد يُؤَخِّرُ إجابَتهَ؛ لأنَّ ذلك أصلحُ لَهُ وأحسنُ مِنَ التعجيلِ، فالعبدُ لايَدْرِي ما المصلحةُ، يَكِلُ الأمرَ إلى اللهِ سبحانه وتعالى.

والحاصلُ: أنَّ الدعاءَ خيرٌ كلُّه، وعبادَةٌ للهِ عزَّ وجلَّ، وهو في كُلِّ وقتٍ، ولكن يتأكَّدُ في أوقاتِ الإجابَةِ، مثل هذه الليلةِ وليالي هذا الشهرِ المباركةِ.

واللهُ وليُّ التوفيقِ، وصلَّى اللهُ وسلَّم على نبيِّنا محمدٍ.

* * *

المجلسُ الثامنُ والعشرون
في التخويفِ مِنْ عذابِ القبرِ

الحمدُ للهِ، والصلاةُ والسلامُ على رسولِ اللهِ وعلى آلِهِ وصحبِهِ، وبعدُ:

فعذابُ القبرِ ثابتٌ بالكتابِ والسنةِ المتواترةِ، وإجماعِ أهلِ العلمِ، وهو عذابُ البرزخِ، والقبرُ يسمَّى بالبرزخِ؛ لأنه فاصلٌ بينَ الدنيا وبينَ الآخرةِ، فهو منزلةٌ متوسطةٌ، حِينَ يموتُ الإنسانُ يُودَعُ بالبرزخِ، يعني في القبرِ، ثم يُبْعَثُ مِنَ القبرِ يَوْمَ القيامَةِ ويذهبُ إلى المحشرِ، ثم بَعْدَ ذلك إمَّا إلى الجنةِ وإمّا إلى النارِ، ويستقرُّ في دارِ القرارِ، دارُ الآخرةِ هي دارُ القرارِ.

فالدورُ ثلاثةٌ: دارُ الدنيا، ودارُ البرزخِ، ودارُ القرارِ، فدارُ البرزخِ هي الوسطُ بينَ الدارين، وهي القبرُ، والدنيا دارُ عملٍ ولا حسابَ فيها، ودارُ البرزخِ دارُ انتظارٍ ومحطةُ انتظارٍ، ثُمَّ ينتقلون إلى الدارِ الآخرةِ حينما يُبْعَثُون مِنْ قبورِهِم، ولكن هذا القبرَ وإنْ كانَ دارَ انتظارٍ ودارَ برزخٍ، إلاّ أنَّه يأتيه فيه ممّا له فِي الآخرةِ، إمَّا مِنَ النارِ، وإمَّا مِنَ الجنةِ، يأتيه مِنَ الآخرةِ، إمَّا نعيمٌ وإما عذابٌ، وهو في قَبْرِهِ، فالقبرُ إمَّا روضةٌ مِنْ رياضِ الجنةِ، وإمَّا حفرةٌ مِنْ حفرِ النارِ، والعياذُ باللهِ، وذلك بحسبِ أعمالِ بَنِي آدمَ.

فأولُ ما يُوضعُ الميتُ في قَبْرِه، ويسوَّى عليه القبرُ، وينتهي دفْنُهُ، يأتيه ملكان فِي قَبْرِهِ، فتعادُ روحُهُ في جَسَدِهِ، ثم يُجْلِسَانه، ثم يَسْألانه: مَنْ ربُّك؟ وما دينُك؟ ومن نبيُّك؟ فالمؤمنُ يقولُ: ربِّي اللهُ، والإسلامُ ديني، ونبيّي محمدٌ ﷺ، يثبته اللهُ، كما قال اللهُ تعالى: ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ

ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْآخِرَةِ﴾ [ابراهيم: ٢٧]، فإذا أجابَ بهذه الإجابةِ نادَى منادٍ مِنَ السماءِ: «**أنْ صَدَقَ عَبْدِي، فأفرشوه مِنَ الجنةِ، وافتحوا له باباً إلى الجنةِ**»[١] ثم يُوسَّعُ لَهُ في قَبْرِهِ مَدَّ بَصَرِه، فيأتيه من رَوْحِ الجنة ورِيحِهَا، وينظرُ إلى منزلته في الجنةِ، ويقول: يا ربي، أَقِمِ الساعةَ، حتَّى أرجعُ إلى أهلِي ومالِي، يعني: في الجنةِ.

وأما المنافقُ والمرتابُ: فإنه إذا سئِلَ: منْ ربُّك؟ وما دينُك؟ ومن نبيُّك؟ فإنه يَتَلَعْثَمُ ولايستطيعُ الجوابَ، فيقولُ: هاه هاه، لا أدري، سمعتُ الناسَ يقولون شيئاً فقلتُه، يعني: إنما كان في هذه الدنيا يقلِّدُ الناسَ ليعيشَ معهم، من غيرِ إيمانٍ ومن غير توحيدٍ، وإنما يَمْشي مَعَهُم من أجلِ مصالِحِه، وهذا هو المنافِقُ الذي يعملُ بالأعمالِ في الظاهِرِ، ولكنه في قلبِهِ كافرٌ ملحدٌ، فيحالُ بينه وبينَ الجوابِ في القبرِ، فلا يستطيعُ أن يقولَ مثلَ ما كَانَ يقولُ في الدنيا، لأنه كان يقولُ: أشهدُ أنْ لا إله إلاّ اللهُ، وأشهدُ أن محمداً رسولُ اللهِ، نفاقاً في الدنيا، لكن في القبرِ لايستطيعُ ذلك، بل يعجزُ ويتلجلجُ، فيقولُ: هاه هاه، لا أدري، سمعت الناسَ يقولون شيئاً فقتله، فينادي منادٍ: «**أنْ كَذَبَ عبدي، فَأَفْرِشُوه مِنَ النارِ، وافتحوا له باباً إلى النارِ**»[٢] ويضيّق عليه في قبرِهِ حتى تختلفَ أضلاعُهُ، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ۝٢٧﴾ فيكونَ في عذابٍ، وفي حفرةٍ من حفرِ النارِ.

ولهذا كان النبيُّ ﷺ يستعيذُ باللهِ من عذابِ القبرِ، ويأمرُ بالاستعاذَةِ منه دائماً، قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «**استعيذوا باللهِ من أربعٍ: مِنْ عذابِ جهنَّمَ، ومن**

---

(١) أخرجه أبو داود (رقم ٤٧٥٣) وأحمد في المسند (٤/ ٢٨٨).
(٢) انظر: تخريج الحديث السابق.

عذابِ القبرِ، ومن فتنةِ المحيا والمماتِ، ومن فتنةِ المسيحِ الدجالِ»[١]، أمرَ بذلِكَ فِي الصلاةِ في التشهدِ الأخيرِ قبلَ السلامِ، فينبغي للمسلمِ أنْ يحرصَ على هذا الدعاءِ في التشهدِ الأخيرِ، وألا يتركَهُ.

وكذلك، النبيُّ ﷺ كان يستعيذُ من عذابِ القبرِ، ويخبرُ أصحابَهُ بعذابِ القبرِ، ويقولُ: «**لو لا ألا تدافنوا لدعوتُ اللهَ أن يسمعَكُم من عذابِ القبرِ ما أَسْمَعُ**»[٢]، ومرَّ ﷺ على قبرين فقال: «**إنهما ليعذبانِ، وما يعذبانِ في كبيرٍ، بَلَى، إنه كبيرٌ، أما أحدُهُمَا فكان يمشي بالنميمةِ، وأما الآخرَ فكان لا يستبرىء مِنْ بَوْلِهِ**»[٣].

فعذابُ القبرِ لَهُ أسبابٌ، وهي المعاصِي والسيئاتُ، والغيبةُ والنميمةُ، وعدمُ الطهارةِ مِنَ النجاسة، وقد يكونُ عذاباً دائماً ـ والعياذُ باللهِ ـ إلى البعثِ، وقد يكونُ عذاباً مؤقتاً، فبعضُ المؤمنين يعذّبَون في قبورِهِم، ثم يرفَع عنهم العذابُ، إما بسببِ دعاءِ الصالحين لهم واستغفارِهِم لهم، وإما لنهايةِ عذابِهِم؛ لأنَّ المؤمنَ؛ وإنْ عُذّبَ؛ لايدومُ عليه العذابُ، فيعذبُ بقدرِ ذنوبهِ، ثم يرفعُ عنه العذابُ، أما الكافرُ والمنافقُ فإنه يعذبُ عذاباً دائماً.

وعذابُ القبرِ من أمورِ الآخرةِ التي لايعلمُها إلاّ اللهُ سبحانه وتعالى، وقد يطلعُ عليها رسولُ اللهِ ﷺ، فيعلمُ من ذلك ما علَّمه اللهُ، وقد يطلعُ بعَضُ الصالحين على عذابِ القبرِ؛ للعبرةِ والعظةِ، وقد ذكَرَ ابنُ رجبٍ ـ رحمه الله ـ في أهوالِ القبورِ أشياءَ مزعجةً مِنْ أحوالِ الموتى والمعذبين في القبورِ، قد يكون

---

(١) أخرجه الترمذي (رقم ٣٦١٣) وقال: هذا حديث حسن صحيح.
(٢) أخرجه مسلم (رقم ٢٨٦٨).
(٣) أخرجه البخاري (رقم ٢١٨) ومسلم (رقم ٢٩٢).

الميتُ في عذابٍ، وأنتَ لو فتحت عليه القبرَ ولمسته ما أحسستَ بشيءٍ، ولا رأيتَ عذاباً ولا رأيتَ شيئاً، لكن هو في عذابٍ ـ والعياذُ باللهِ ـ وأنتْ لاتدري، وقد يدفنُ الاثنانِ في قبرٍ واحدٍ، أحدهما في عذابٍ، والآخر في نعيمٍ، وبعضُهم إلى جانبِ بعضٍ، فلا يصلُ إلى هذا مِن عذابِ هذا، ولا إلى ها من نعيمِ هذا؛ لأن عذابَ القبرِ من أمورِ الآخرةِ التي لايعلمها إلاّ اللهُ.

وعذابُ القبرِ يصلُ إلى الميتِ سواءٌ دُفنَ أو لم يدفنْ، حتَّى لو أكلته الطيورُ، ولو ألقي في البحرِ، وحتَّى لو صُلِبَ على خشبٍ، فإنه يأتيه عذابُ القبرِ في أيِّ مكانٍ كان، واللهُ على كلِّ شيءٍ قديرٌ.

فالحاصلُ: أنَّ عذابَ القبرِ أمرٌ ثابتٌ، ولايُنكرهُ إلا أهلُ الضلالِ والمبتدعةِ، أما أهلُ الإيمانِ فإنَّهم يؤمنون به ويصدّقون به، ويستعيذون باللهِ من عذابِ القبرِ، ويتجنبون الأسبابَ التي تسببُ عذابَ القبرِ.

نسألُ اللهَ أنْ يُعيذَنا وإيَّاكُم مِنْ عذابِ القبرِ، ومن عذابِ النارِ، وصلَّى اللهُ وسلَّم على نبيِّنا محمدٍ.

* * *

المجلسُ التاسعُ والعشرون
فِي خِتَامِ الأعمالِ

الحمدُ للهِ والصلاةُ والسلامُ على رسولِ اللهِ وعلى آلِهِ وصحبِهِ.

لا شَكَّ أنَ ختامَ الأعمالِ له شأنٌ عظيمٌ، كان السلفُ ـ رحمهم اللهُ ـ يهتمون بختامِ الأعمالِ، وذلك اقتداءً بالنبيِّ ﷺ، وعملاً بقولِهِ تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾ ﴾ [المؤمنون: ٦٠]، وصفَ اللهُ سبحانه وتعالى عبادَه المؤمنين بأنه يؤتون ما آتوا مِنَ الأعمالِ الصالحةِ والطاعاتِ، والاجتهادِ في العباداتِ، ويخَافون من ربِّهم سبحانه وتعالى أشدَّ الخوفِ؛ لأنَّهم لايدرون: هل تُقُبِّلَتْ أعمالُهُم أوْ لا، فالإنسانُ لايُعجبُ بعملِهِ مهما كان عملُهُ، فإنَّه إذا لم يقبلهُ اللهُ فإنه لا فائدةَ فيه، ولو كثرُ ولو عظمُ، مادَامَ لم يقبلْ، فإنه يكونُ هباءً منثوراً، ويكون تعباً بلا فائدةٍ.

أما إذا تقبّله اللهُ، فإنه ولو كان قليلاً، فإنه جلَّ وعَلاَ يضاعِفُه، ويؤتِي من لدنه أجرًا عظيماً، كَما قَال تعَالَى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾ ﴾ [النساء: ٤٠]، لكنَّ العملَ سببٌ، وإلاّ فالمعولُ عليه القبولُ، فالذي من قبل العبدِ: بذلُ الأسبابِ، وأما ما كان من قبلِ اللهِ سبحانه وتعالى، فهو أعلم سبحانه بنيةِ العبدِ وإخلاصِهِ، ولكنْ يثقُ المؤمنُ أنَّ اللهَ لايضيعُ لديه أجرُ عاملٍ مهما قَلَّ، فعليه الإكثارُ مِنَ العملِ، وعليه الإخلاصُ، وعليه بحسنِ الرجاءِ باللهِ عز وجل، وعدمِ اليأسِ والقنوطِ، لكن مع ذلك لايعجبُ بعملِهِ أو يتكاثرُ عملَه؛ بل إنه يسألُ اللهَ القبولَ ويُتبعُ العملَ بالاستغفارِ؛ لأنَّ الإنسانَ عرضةٌ للخطأِ والخللِ، وربما يكون عملُهُ كثيراً، ولكنْ فيه خللٌ

وفيه نقصٌ، ويتطرقُ إليه شيءٌ مِنَ المفسداتِ والمنقصاتِ، فهو يرقعُ هذا الخللَ وهذا النقصَ بالاستغفارِ.

فيكثرُ الإنسانُ مِنَ الاستغفارِ في ختامِ الأعمالِ وختامِ العباداتِ، مثل ختامِ شهرِ رمضانَ، فالمسلمُ الذي وفّقه اللهُ لصيامِهِ، ووفّقه اللهُ لقيامِهِ، عليه أن يتبعَ ذلك بالاستغفارِ والانكسارِ بين يدي اللهِ سبحانه وتعالى، وألا يعتبر أنَّه أدّى العملَ على الوجْهِ المطلوبِ؛ لأنه لايدرِي: فقد يكونُ بعملِهِ خللٌ كثيرٌ، فعليه أن يكثرَ الاستغفارَ ويعتبرَ أن ما عَمله قليلٌ في حقِّ اللهِ سبحانه وتعالى.

والنبيُّ ﷺ مع كثرةِ عملِهِ وإخلاصِهِ واجتهادِهِ، يقولُ لربِّه «**لا أُحْصِي ثناءً عليك**»[1] اعترافاً منه ﷺ بالتقصيرِ في حقِّ ربِّه عزَّ وجلَّ، فيكيفَ بغيرِهِ؟ وهؤلاء الذين وصفهم اللهُ بأنهم ﴿يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾ أي: خائفةً، لايأمنون من مكرِ اللهِ، يقولون: صلينا وصمنا، وأدّينا ماعلينا، لايقولُ هذا مسلمٌ؛ لأنَّ هذا إعجابٌ بالعملِ، وتزكيةٌ للنفسِ، وتزكيةٌ للعملِ، فالمسلمُ مهما عملَ، فإنه يعتبرُ عملَهُ قليلاً في حقِّ اللهِ، ومهما عملَ فإنه لا يدري: هل هو صحيحٌ أو غيرُ صحيحٍ، ما أكثرُ ما يصدرُ مِن الإنسانِ مِنَ السيئاتِ بلسانِهِ وأفعالِهِ وبتصرفاتِه، فيصدرُ من الإنسانِ سيئاتٌ كثيرةٌ، رُبَّما أنها تقضي على عَمَلِه، أو تنقصه نقصاً ظاهراً.

فعلى المسلمِ أن يعدَّ سيئاتِه، ولايعدَّ حسناتِه، على المسلمِ أن يحاسبَ نفسَه، ويعدّ سيئاتِهِ وذنوبَه، ويستغفرُ ويتوبُ، ولا يعدَّ حسناتِه، ويقولُ: أنا عملتُ كذا وعملتُ كذا وعلمتُ كذا، هذا يكله للهِ عزَّ وجلَّ، اللهُ لايضيعُ لديه

---

(١) أخرجه مسلم (رقم ٤٨٦).

أجرُ عامِلٍ، عملُهُ محفوظٌ، إن كان منه شيءٌ صحيحٌ، فهو لا يخافُ مِنْ جانبِ اللهِ ضياعَ حسناتِهِ ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ ﴾ [البقرة: ١٤٣]، لكنْ يخافُ مِنْ جانبِ نفسِه بالأخطاءِ والذنوبِ والسيئاتِ المهلكةِ، عليه أن يحاسبَ نفسَه، وأن يتفكرَ في سيئاتِهِ التي صدرتْ منه، فيحدثُ لكلِّ ذنبٍ توبةً واستغفاراً، هذا هو الذي على العبدِ.

في ختامِ الشهرِ كانَ السلفُ الصالحُ يكثرون من الاستغفارِ، والتوبةِ إلى اللهِ عزَّ وجلَّ، والخوفِ من عدمِ القبولِ، كانوا يجتهدون فِي رمضانَ وفي غيره، ثم يقعُ عليهم الخوفُ ألاّ يقبلُ منهم شيءٌ، ويستغفرون اللهَ ويتوبون، حتَّى رُوِي أنهم كانوا يدعون اللهَ ستةَ أشهرٍ أن يبلغهم شهرَ رمضانَ، فإذا بلغهم أياه صاموا وقاموا بالليلِ، دعوا اللهَ ستةَ أشهرٍ أن يتقبلَ منهم شهرَ رمضانَ.

ومن **علاماتِ القبولِ**، في رمضانَ وفي غيرِه: اتباعُ الحسنةِ بالحسنةِ، فإذا كانت حالةُ المسلمِ بعدَ رمضانَ حالةً طيبةً، يكثرُ من الحسناتِ والأعمالِ الصالحةِ، فهذا دليلٌ على القبولِ، أما إن كان العكس، يتبع الحسناتِ السيئاتِ، فإذا خرجَ رمضانَ أتبعه بالسيئاتِ والغفلاتِ والإعراضِ عن طاعةِ اللهِ، فهذا دليلٌ على عدمِ القبولِ، وكُلُّ إنسانٍ يعرفُ نفسه من حالِه بعدَ رمضانَ، ينظر في حالِه، فإن كان حالُه أحسنَ فليحمدِ اللهَ، فهذا يدلُّ على القبولِ، وإن كانتْ حالُه أسوأُ فليتبْ إلى اللهِ وليستغفرِ اللهَ، فإن هذا دليلٌ على عدمِ القبولِ، ودليلٌ على الإهمالِ والتفريط.

وعلى العبدِ ألاّ يقنط مِنْ رحمةِ اللهِ، فيغلق البابَ بينه وبين اللهِ وييأس مِنْ رحمةِ اللهِ ﴿ ۞ قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [الزمر: ٥٣]، فعليه بالتوبةِ والاستغفارِ

والعودِ إلى اللهِ عزَّ وجلَّ. واللهُ جلَّ وعلا يتوبُ على من تابَ ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَعْفُواْ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾ [الشورى: ٢٥].

هذا وصلَّى اللهُ وسلَّم على نبيِّنا محمدٍ.

* * *

المجلسُ الثلاثون
في ختامِ الشهرِ بالتوحيدِ والاستغفارِ

الحمدُ للهِ، وصلَّى اللهُ وسلَّم على نبيِّنا محمدٍ، أما بعدُ:

فإنَّ التوحيدَ والاستغفارَ أمرهما عظيمٌ، فالتوحيدُ هو حقُّ اللهِ سبحانه وتعالى على عبادِه الذي خَلَقهم من أجله، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦﴾ [الذاريات: ٥٦]، والتوحيدُ أيضاً هو الذي تصحُّ معه الأعمالُ، فبدونِ التوحيدِ لاتصحُّ الأعمالُ جميعها، فهو الأساسُ الذي يقوم عليه دينُ الإسلامِ، وهو الأساسُ الذي تصحّ معه الأعمالُ، وتكونُ متقبلةً عندَ اللهِ سبحانه وتعالى، فيجبُ على المسلمِ أن يعتني بالتوحيدِ أولاً، فيصححُ عقيدتَه، والتوحيدُ هو معنى: لا إلٰه إلاّ اللهُ، فإن معنى: لا إلٰه إلاّ اللهُ: لامعبود بحقٍّ إلاّ الله، فالعبادةُ كلُّها حقٌّ للهِ، لا يجوزُ صرفُ شيءٍ منها لغيرِ الله، وبها بعثَ اللهُ جميعَ الرسلِ وأنزل جميعَ الكتبِ ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ۝٢٥﴾ [الأنبياء: ٢٥]، ﴿۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: ٢٣]، ﴿۞ وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾ [النساء: ٣٦].

فالتوحيدُ هو حقُّ اللهِ على عبادِهِ، والمغفرةُ حقُّ العبدِ على اللهِ، والاستغفارُ هو طلبُ المغفرةِ، وهو حاجةُ العبدِ، فالعبدُ محتاجٌ إلى الاستغفارِ؛ لأنَّ الاستغفارَ: طلبُ المغفرةِ عن خطأ وقَع مِنَ العبدِ في حقِّ الله سبحانه وتعالى، إمّا بتركِ واجبٍ، وإما بفعلِ محرمٍ، فالعبدُ يطلبُ من ربِّه أن يغفرَ له، وأن يتوبَ عليهِ وذلك بعد أن يعزمَ على تركِ الذنوبِ، وعلى أداء الواجباتِ، ويسأل ربّه أن يغفرَ

له ماسبق منه من خطأ فِي حقِّ اللهِ، مع الإصلاحِ في المستقبلِ، أما الذي يستغفرُ اللهَ وهو لايصلحُ في المستقبلِ، بل يبقى على ما هو عليه، فهذا استغفارٌ غيرُ صحيحٍ، إنما تستغفرُ اللهَ، إذا تبتَ وأصحلتَ في المستقبلِ، فتطلبُ مِنَ اللهِ أن يعفوَ عنك ماسبقَ، بهذا الشرطِ.

فالعبدُ بحاجةٍ إلى الاستغفارِ، ولذلك كان الاستغفارُ شعارَ الأنبياءِ عليهم الصلاةُ والسلامُ، من آدمَ إلى محمدٍ ﷺ، كلهم يستغفرون اللهَ عزَّ وجلَّ ويطلبون مِنَ اللهِ المغفرةَ؛ لأنهم بحاجةٍ إليها، فإذا كان الأنبياءُ بحاجةٍ إلى المغفرةِ ويستغفرون اللهَ، كما ذكرَ اللهُ عنهم في القرآنِ العظيمِ، وذكر كل نبيٍّ واستغفاره، فإنّ غيرَ الأنبياءِ أحوجُ إلى الاستغفارِ دائماً وأبداً، حتى في العباداتِ، الإنسانُ وهو يصلِّي ويصومُ ويتصدقُ ويحجُّ ويعتمرُ ويفعلُ الطاعاتِ، هو بحاجةٍ إلى الاستغفارِ، فكيفَ بالإنسانِ الذي يقارفُ الذنوبَ والمعاصِي والسيئاتِ؟

والاستغفارُ لا يكونُ باللسانِ فقط مع عدمِ الإصلاحِ لسدِّ الخللِ والنقصِ والخطأِ، بل يصححُ أخطاءَهُ، ويصححُ ما وَقَعَ فيه من خللٍ، ويتركُ الذنوبَ والمعاصِي، ويستغفرُه عمَّا سَبقَ، يطلبُ مِنَ اللهِ أن يسامِحَه، وأنْ لايؤاخذه فيما سَبَقَ، فالعبدُ بحاجةٍ إلى هذين الأمرين: التوحيدِ والاستغفارِ، ولهذا قال اللهُ تعالى: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ [محمد: ١٩]، فقوله: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ هذا التوحيدُ، وقوله: ﴿وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ﴾ هذا هوالاستغفارُ، فأمرَ اللهُ بالاثنين: التوحيدَ والاستغفار.

ولهذا فإن يونسَ عليه السلامُ لما وقعَ في الغمِّ والظلماتِ نادَى بالتوحيدِ والاستغفارِ: ﴿فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٨٧﴾ [الأنبياء: ٨٧]، فقوله: ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ﴾ هو

التوحيدُ، وقوله: ﴿إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٨٧﴾ هذا استغفارٌ واعترافٌ بذنبه، طلبَ مِنَ اللهِ أن يفرجَ له، ففرجَ اللهُ عنه.

وهذا دأبُ المؤمنين، لزومُ الاستغفارِ دائماً وأبداً، لاسيما في ختامِ الأعمالِ الصالحةِ، وفي ختامِ المجالِسِ، مجالسِ الذكرِ، ومجالسِ الاجتماعاتِ، قد يكونَ في المجالسِ شيءٌ مِنَ الغيبةِ والنميمةِ واللغوِ، فيكفِّرُون ذَلِكَ بالاستغفارِ وعند قيامِهِم، فالاستغفارُ أمره عظيمٌ وفائدته عظيمةٌ.

لكنْ يجبُ أن نعلمَ: ما معنى الاستغفارِ؟ وما المطلوب؟ وأن لايكونُ الاستغفارُ باللسانِ فقط، فإنه لايكفي، ولاينفعُ، إلا إذا صاحبَه القلبُ في الاعتقادِ وإصلاح العمل.

هذا واللهَ نسألُ أنْ يختمَ لنا ولكم هذا الشهرَ بالعتقِ مِنَ النارِ، والقبولِ، وأن يعيدَه علينا وعليكم بخيرٍ وعافيةٍ، وأن يجعلنا وإياكم ممن غنم أجرُه، وتابَ إلى اللهِ من ذنوبِهِ، وأن يستمرَ على عبادَةِ اللهِ بقيةَ حياتِهِ، ولايكونُ آخرُ عهده معَ اللهِ هذا الشهرَ فقط، وصلَّى اللهُ وسلَّم على نبيِّنا محمدٍ.

* * *

(٢)

إتحاف أهل الإيمان

بدروس شهر رمضان

وفي آخره أجوبة لبعض العلماء حول صلاة
التراويح والتهجد في العشر الأواخر
وحكم دعاء القنوت ودعاء الختم
ردًا على من شكك في هذه الأمور

تأليف
فضيلة الشيخ
الدكتور صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان
عضو اللجنة الدائمة للإفتاء وعضو هيئة كبار العلماء

طبعة مصححة ومنقحة

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

المقدّمة

الحمدُ للهِ الذي شرعَ لعبادِهِ صيامَ شهرِ رمضانَ وجعلَه أحدَ أركانِ الإسلامِ.

والصلاةُ والسلامُ على نبيِّنا محمدٍ أفضل من صلَّى وصامَ، وعلى آله وأصحابِهِ البررةِ الكرامِ، وبعدُ...

فهذه دروسٌ تتضمنُ التذكيرَ بفضائل هذ الشهرِ المباركِ والحثّ على الجدِّ والاجتهادِ فيه. واغتنامِ أيامِهِ ولياليه. مع الإشارةِ إلى بعضِ الأحكامِ الفقهيةِ المتعلقةِ بالصيامِ والقيامِ. قصدتُ بكتابَتِهَا تذكيرَ نفسي وإخواني سائلا اللهَ أن ينفعَ بها من كَتَبَهَا ومن قَرَأَها ومن سَمِعَهَا مِنَ المسلمين. وأن يغفرَ لي ما وقعَ فيها خطأً أو تقصيراً...

وصلّى اللهُ وسلَّم على نبيِّنا محمدٍ وآلِهِ وصحبِهِ...

صَالح بن فَوزَان بن عَبْدالله ٱلفَوْزَان

الدرسُ الأولُ
في بيانِ متى فُرِضَ صومِ شهرِ رمضانَ على الأمةِ؟

الحمدُ لله ذي الفضلِ والإنعامِ، شرعَ الصيامَ لتطهيرِ النفوسِ مِنَ الآثامِ، والصلاةُ والسلامُ على نبيِّنا محمدٍ. خيرِ من صلَّى وصامَ. وداوَمَ على الخيرِ واستقامَ، وعلى آلِه وأصحابِه ومَنِ اقتدَى به على الدوامِ. أما بعدُ:

قال اللهُ تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ ﴾ [البقرة: ١٨٣].

والآياتُ بعدَها، فقد ذكرَ اللهُ سبحانه في هذه الآياتِ الكريمةِ أنه كتبَ الصيامَ على هذه الأمةِ كما كتبَ على من قبلَها مِنَ الأممِ، و(كَتَبَ) بمعنى فرضَ فالصيامُ مفروضٌ على هذه الأمةِ وعلى الأممِ قبلها.

قال بعضُ العلماءِ في تفسيرِ هذه الآيةِ: عبادةُ الصيامِ مكتوبةٌ على الأنبياءِ وعلى أممِهم من آدمَ إلى آخرِ الدهرِ.

وقد ذكرَ اللهُ ذلك، لأنَّ الشيءَ الشاقَّ إذا عمَّ سَهُلَ فعلُهُ على النفوسِ. وكانتْ طمأنينتُهَا به أكثرَ.

فالصيامُ إذاً فريضةٌ على جميعِ الأممِ، وإنِ اختلفتْ كيفيتُهُ ووقتُهُ، قال سعيدُ ابنُ جبيرٍ: كان صومُ من قبلنا مِنَ العتمةِ إلى الليلةِ القابلةِ، كما كان في ابتداءِ الإسلامِ، وقال الحسنُ: كان صومُ رمضانَ واجباً على اليهودِ، لكنهم تركوه وصاموا يوماً في السنة زعموا أنه يومَ غرقَ فرعونُ وكذبوا في ذلك، فإن ذلك

اليوم يومُ عاشوراءَ[١]، وكان الصومُ أيضاً واجباً على النصارى لكنهم بعد أن صاموا زماناً طويلاً صادفوا فيه الحرَّ الشديدَ فكان يشقُّ عليهم في أسفارِهِم ومعايِشَهم، فاجتمعَ رأيُ علمائِهِم ورؤسائِهِم على أن يجعلوا صيامَهم في فصلٍ مِنَ السنةِ بينَ الشتاءِ والصيفِ فجعلوه في الربيعِ، وحولوه إلى وقتٍ لا يتغيرُ، ثم قالوا عندَ التحويلِ: زيدوا فيه عشرةَ أيامٍ كفارةً لما صنعوا، فصار أربعين، وقوله تعالى: ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾﴾ أي: بسببِ الصومِ، فالصومُ يسببُ التقوى لما فيه من قهر النفس وكسرِ الشهواتِ، وقوله تعالى: ﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۚ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ ۖ فَمَن﴾ قيل هي أيامٌ مِنْ غيرِ رمضانَ وكانت ثلاثةَ أيامٍ، وقيل: هي أيامُ رمضانَ، لأنه بيَّنها في الآيةِ التي بعدَها بقولِهِ: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ﴾.

قالوا وكانوا في أولِ الإسلام مخيَّرين بينَ الصوم والفديةِ لقولِهِ تعالى: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ ۖ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ ۚ وَأَن تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ﴾ [البقرة: ١٨٤]. ثُمَّ نُسِخَ التخييرُ بإيجابِ الصوم عيناً بقوله؛ ﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ۖ﴾ [البقرة: ١٨٥]. وحكمةُ ذلك التدرُّج في التشريعِ والرفقِ بالأمةِ لأنهم لما لم يألفوا الصومَ كان تعيينُه عليهم ابتداءً فيه مشقةٌ، فخيروا بينهَ وبين الفديةِ أولاً، ثم لما قَوِيَ يقينُهُم واطمأنتْ نفوسُهُم وألفوا الصومَ وجبَ عليهم الصومُ وحدَه، ولهذا نظائِرُ في شرائِعِ الإسلامِ الشاقةِ، فهي تشرعُ بالتدريجِ، لكن الصحيح أنَّ الآيةَ منسوخةٌ في حقِّ القادِرِ على الصيامِ، وأما في حقِّ العاجِزِ عَنِ الصيامِ لكبرٍ أو مرضٍ لا يرجى برؤُهُ. فالآيةُ لم

---

(١) يعني: ولا يجزىء صومُهُ عن الصومِ الذي فرضَ اللهُ.

تنسخْ في حقِّهم، فلهم أن يفطروا ويطعموا عن كلِّ يومٍ مسكيناً، وليس عليهم قضاءٌ.

أما غيرُهُم فالواجبُ عليهم الصومُ، فمن أفطرَ لمرضٍ عارضٍ أو سفرٍ فإنه يجبُ عليه القضاءُ لقولِهِ تعالى: ﴿ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ﴾ [البقرة: ١٨٥]. وقد فُرِضَ صيامُ شهرِ رمضانَ في السنةِ الثانيةِ مِنَ الهجرةِ وصامَ رسولُ اللهِ ﷺ، تسعةَ رمضانات وصارَ صومُ رمضانَ حَتْماً ورُكْناً مِنْ أركانِ الإسلامِ، من جحدَ وجوبه كَفَرَ، ومن أفطرَ من غيرِ عذرٍ وهو مقرٌّ بوجوبِهِ فقد فَعَلَ ذنباً عظيماً يجبُ تعزيرهُ وردْعُهُ وعليه التوبةُ إلى اللهِ، وقضاءُ ما أفطرَ[1].

هذا ـ وباللهِ التوفيقُ. وصلَّى اللهُ وسلَّم على نبيِّنا محمدٍ وآله وصحبه.

(١) وإن كان فطرُهُ بسببِ جماعٍ في نهارِ رمضانَ وجبَ عليه مَعَ القضاءِ الكفارةُ المغلظةُ كما يأتي بيانُ ذلك إنْ شاءَ ٱللهُ.

الدرسُ الثاني
في بيانِ ما يثبُتُ بِهِ دخولُ شهرِ رمضانَ المبارَكِ

الحمدُ للهِ الذي جعلَ الأهلةَ مواقيتَ للناسِ، والصلاةُ والسلامُ على نبيِّنا محمدٍ وآله وصحبه ومن تبعهم بإحسانٍ ـ أما بعدُ:

قال اللهُ تعالى: ﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ [البقرة: ١٨٥]. فقد أوجبَ اللهُ سبحانه في هذه الآيةِ على عبادِه صومَ شهرِ رمضانَ كلَّه من أولِهِ إلى آخِرِهِ. وأولُهُ يُعرفُ بأحدِ أمرين:

الأمرُ الأولُ:

رؤيةُ هلالِهِ ـ لما رواه الشيخان وغيرُهُمَا عن ابنِ عمرَ رضي اللهُ عنهما أن النبيَّ ﷺ، قالَ: «**إذا رأيتُمُ الهلالَ فصوموا، وإذا رأيتموه فأفطروا، فإن غُمّ عليكم فاقْدِرُوا له**»[1]، وروى الإمامُ أحمدُ والنسائيُّ عَنِ ابنِ عمرَ رضي اللهُ عنهما عَنْ رسولِ اللهِ ﷺ، أنه قال: «**لا تصوموا حتّى تروا الهلالَ ولا تفطروا حتَّى تروه**»[2]. وروى الطبرانيُّ عن طَلْقِ بنِ عليٍّ رضي الله عنه: «**إن اللهَ جعلَ هذه الأهلةَ مواقيتَ فإذا رأيتموه فصوموا وإذا رأيتموه فأفطروا**»[3]. وروى الحاكمُ عن ابنِ عمرَ رضي اللهُ عنهما: «**جعل اللهُ الأهلةَ مواقيتَ للناس، فصوموا**

---

(١) أخرجه البخاري (رقم ١٩٠٠) ومسلم (رقم ١٠٨٠/٨).

(٢) أخرجه البخاري (رقم ١٩٠٦) ومسلم (رقم ١٠٨٠/٣) واللفظ لهما وفيه عندهما زيادة وهي الجملة الأخيرة في الحديث السابق وهي قوله: «**فإن غم عليكم فاقدروا له**» كما في البخاري، «**فإن أغمى عليكم فاقدروا له**» وهي عند مسلم.

(٣) أخرجه الطبراني في معجمه الكبير (٨/ ٣٩٧ رقم ٨٢٣٧).

لرؤيته وأفطروا لرؤيته»[١]، ففي هذه الأحاديثِ الشريفةِ تعليقُ وجوبِ صومِ رمضانَ برؤيةِ هلالِهِ، والنهيُ عَنِ الصومِ بدونِ رؤيةِ الهلالِ، وأن الله جلَّ وعلاَ جعلَ الأهلةَ مواقيتَ للناسِ بها يعرفون أوقاتِ عبادتِهم ومعاملاتِهم، كما قالَ تعالى: ﴿ ۞ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ ۖ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ ﴾ [البقرة: ١٨٩].

وهذا من رحمةِ اللهِ بعبادِهِ وتيسيره لهم، حيثُ علَّق وجوبَ الصيامِ بأمرٍ واضحٍ وعلامةٍ بارزةٍ يرونَها بأعيُنِهم، وليسَ مِنْ شرطِ ذلك أن يَرَىَ الهلالَ كُلُّ الناسِ، بل إذا رآه بعضُهُم ولو كانَ شخصاً واحداً لَزِمَ الناسَ كلّهم الصيامُ.

قال ابنُ عباسٍ: جاء أعرابيٌّ إلى النبيِّ ﷺ، فقال: إني رأيتُ الهلالَ، يعني هلالَ رمضانَ ـ فقال النبيُّ ﷺ: «**أتشهدُ أنْ لا إله إلا الله**»، قال: نعم ـ قال: «**أتشهدُ أنَّ محمداً رسولُ اللهِ**»، قال: نعم، قال: «**يا بلالُ أذِّن في الناسِ أنْ يصوموا غداً**»[٢]. رواه أبو داودَ.

وروى أيضاً عن ابنِ عمرَ رضي اللهُ عنهما قال: (تراءى الناسُ الهلالَ فأخبرتُ رسولَ اللهِ ﷺ، أني رأيته فصامَ وأمرَ الناسَ بصيامِهِ)[٣].

الأمرُ الثاني:

مما يثبتُ به دخولُ شهرِ رمضانَ إذا لم يُرَ الهلالُ إكمالُ عدةَ شعبانَ ثلاثين يوماً، قال عليه الصلاةُ والسلامُ: «**فإن غُمَّ عليكم فاقدروا له**». متفق عليه، ومعنى: (غُمَّ عليكم) أي: إذا غَطَّى الهلالَ شيءٌ حالَ دُونَ رؤيته ليلةَ الثلاثين مِنْ

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك ١/٤٢٣ وأحمد في المسند ٤/٢٣ والدارقطني في سننه ٢/١٦٣ وقال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين. ووافقه الذهبي.
(٢) أخرجه أبو داود (رقم ٢٣٤٠، ٢٣٤١).
(٣) أخرجه أبوداود (رقم ٢٣٤٢).

شعبانَ ـ من غيم أو قَتَرٍ، فقدروا عددَ شهرِ شعبانَ تاماً، بأن تكملوه ثلاثين يوماً، كما يدلُّ على ذلك قولُهُ ﷺ في الحديثِ الآخر: «**فإنْ غمَّ عليكم فأكملوا العدةَ ثلاثين**»[1] متفق عليه، ومعنى هذا تحريمُ صومِ يوم الشَّكِّ وقد قالَ عمارُ بنُ ياسرٍ ـ رضي اللهُ عنه ـ: من صامَ اليومَ الذي يشكُّ فيه فقد عَصَى أبا القاسمِ ﷺ[2]، فالواجبُ على المسلمِ اتباعُ ما جاءَ عَنِ اللهِ ورسولِهِ في صيامِهِ وفي عبادَتِه كلِّها، وقد حدد اللهُ ورسولُهُ معرفةَ دخولِ شهرِ رمضانَ بإحدى علامتين ظاهرتين يعرفُهُمَا العاميُّ والمتعلمُ: رؤيةِ الهلالِ، أو إكمالِ عدةِ شعبانَ ثلاثين يوماً، فمن جاءَ بشيءٍ يزعُمُ أنه يجبُ به الصومَ غيرَ ما بيَّنه الشارعُ، فقد عَصَى اللهَ ورسولَه[3]، كالذي يقولُ إنه يجبُ العملُ بالحسابِ الفلكي في دخولِ شهرِ رمضان، هذا مع أنَّ الحسابَ عرضةٌ للخطأِ وهو أمرٌ خفيٌّ لا يعرفُهُ كُلُّ أحدٍ، قالَ شيخُ الإسلامِ ابنُ تيميةَ رحمه اللهُ: إنِّي رأيتُ الناسَ في شهرِ صومِهِم وفي غيرِهِ أيضاً منهم من يصغي إلى ما يقولُهُ بعضُ جهالِ أهلِ الحسابِ مْن أنَّ الهلالَ يُرى أو لا يُرى، ويبني على ذلك إما في باطنه وإما في باطنه وظاهره حتَّى بلغَنِي أنَّ مِنَ القضاةِ من كَانَ يردُّ شهادةَ العددِ مِنَ العدولِ لقولِ الحاسِبِ الجاهِلِ الكاذِبِ أنه يُرى أو لا يُرى، فيكون ممن كَذَّبَ بالحقِّ لمّا جاءَهُ ـ إلى أنْ قالَ: فإنَّا نعلمُ بالاضطرارِ مِنْ دينِ الإسلامِ أنَّ العملَ في رؤيةِ هلالِ الصومِ أو الحجِّ أو العدَّة أو الإيلاءِ أو غيرِ ذلك مِنَ الأحكامِ المعلقة بالهلالِ بخبرِ الحاسِبِ أنه يُرى أو

---

(١) أخرجه البخاري (رقم ١٩٠٧) ومسلم (رقم ١٠٨١).

(٢) أخرجه أبو داود (رقم ٢٣٣٤) والترمذي (رقم ٦٨٦) والنسائي (رقم ٢١٩٠) وابن ماجه (رقم ١٦٤٥) وقال أبو عيسى الترمذي: حسن صحيح.

(٣) وزادَ على ما شرعه اللهُ ورسولُهُ وابتدَعَ في الدينِ ما ليسَ منه (وكُلُّ بدعةٍ ضلالةٌ).

لا يُرى لا يجوزُ. والنصوصُ المستفيضةُ عَنِ النبيِّ ﷺ بذلك كثيرةٌ، وقد أجمعَ المسلمون عليه ولا يُعرفُ فيه خلافٌ قديمٌ أصلاً ولا خلافٌ حديث ـ انتهى[(١)].

وفي هذا مشقةٌ على الأمةِ وحرجٌ، وقد قال اللهُ تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [الحج: ٧٨]. فالواجبُ على المسلمين الاقتصارُ على ما شَرَعَه اللهُ ورسولُهُ، كما يجبُ على المسلمين الاقتصارُ على ما شَرَعَهُ اللهُ في غيرِ شأنِ الهلالِ، والتعاونُ على البرِّ والتَّقْوَى، واللهُ وليُّ التوفيقِ.

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام (٢٥/ ١٣١، ١٣٢).

الدرسُ الثالثُ
في فضائِلَ شهرِ رمضانَ وما ينبغي أنْ يُستقبلَ بِهِ

الحمدُ للهِ أهلَّ علينا شهرَ الصيامِ، والصلاةُ والسلامُ على نبيِّنا محمدٍ وعلى آله وصحبه، كانوا يفرحون بحلولِ شهرِ الصيامِ والقيامِ أما بعدُ:

فإنَّ اللهَ سبحانه وتعالى اختصَّ شهرَ رمضانَ من بينِ الشهورِ بفضائِلَ عظيمةٍ، وميَّزَهُ بميزاتٍ كثيرةٍ، قال تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ ۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ [البقرة: ١٨٥].

ففي هذه الآيةِ الكريمةِ ذكرَ اللهُ لشهرِ رمضانَ ميزتين عظيمتين:

الميزةُ الأولى:

إنزالُ القرآنِ فيه؛ لأجلِ هدايةِ الناسِ مِنَ الظلماتِ إلى النورِ، وتبصيرِهِم بالحقِّ مِنَ الباطِلِ بهذا الكتابِ العظيمِ؛ المتضمنِ لما فيه صلاحُ البشريةِ، وفلاحُهَا، وسعادَتُهَا في الدنيا والآخرةِ.

الميزة الثانيةُ:

إيجابُ صيامِهِ على الأمةِ المحمديةِ، حيثُ أمرَ اللهُ بذلك في قولِهِ: ﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ [البقرة: ١٨٥].

وصيامُ رمضانَ هو أحدُ أركانِ الإسلامِ[1]، وفرضٌ مِنْ فروضِ اللهِ، معلومٌ

---

(١) فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة والحج =

مِنَ الدينِ بالضرورةِ وإجماعِ المسلمين، من أنكره فقد كَفَرَ، فمن كان حاضراً صحيحاً وجبَ عليه صومُ الشهرِ أداءً، كما قالَ اللهُ تعالى: ﴿ **فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ** ﴾ [البقرة: ١٨٥]. ومن كان مسافراً أو مريضاً وجبَ عليه الصومُ قضاءً من شهرٍ آخر كما قال تعالى: ﴿ **وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ** ﴾ [البقرة: ١٨٥]. فتبيَّنَ أنه لا مناصَ من صيامِ الشهرِ، إمَّا أداءً وإمَّا قضاءً، إلا في حقِّ الكبيرِ الهرِمِ، والمريضِ المزمِنِ ـ اللذين لا يستطيعان الصيامَ قضاءً ولا أداءً، فلهما حكمٌ آخر سيأتي بيانُهُ إنْ شاءَ اللهُ.

ومن فضائِلَ هذا الشهرِ ما بينَّه النبيُّ ﷺ في الأحاديثِ الصحيحةِ كما جاءَ في الصحيحين عن أبي هريرةَ ـ رضي اللهُ عنه ـ أن النبيَّ ﷺ قال: «**إذا جاءَ رمضانُ فُتِّحتْ أبوابُ الجنةِ وغُلِّقَتْ أبوابُ النَّارِ وصُفِّدَتِ الشياطينُ**»[1].

فدلَّ هذا الحديثُ على مزايا عظيمةٍ لهذا الشهرِ المباركِ:

الأولى: أنه تفتحُ فيه أبوابُ الجنةِ، وذلك لكثرةِ الأعمالِ الصالِحَةِ التي تشرعُ فيه، والتي تسببُ دخولَ الجنةِ، كما قال تعالى: ﴿ **ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ** ﴿٣٢﴾ ﴾ [النحل: ٣٢].

الثانية: إغلاقُ أبوابِ النارِ في هذا الشهرِ، وذلك لقلةِ المعاصِي التي تسببُ دخولَها، كما قال تعالى: ﴿ **فَأَمَّا مَن طَغَىٰ** ﴿٣٧﴾ **وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا** ﴿٣٨﴾ **فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ** ﴿٣٩﴾ ﴾ [النازعات: ٣٧ـ ٣٩]. وقال تعالى: ﴿ **وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا** ﴿٢٣﴾ ﴾ [الجن: ٢٣].

الثالثةُ: أنه تصفَّدُ فيه الشياطينُ، أي: تُغَلُّ وتُوثَقُ؛ فلا تستطيعُ إغواءَ

= وصوم رمضان» أخرجه البخاري (رقم ٨) ومسلم (رقم ١٦).

(١) أخرجه البخاري (رقم ١٨٩٨، ١٨٩٩) ومسلم (رقم ١٠٧٩).

المسلمين وإغراءَهُم بالمعاصِي، وصرفَهُم عَنِ العملِ الصالِحِ، كما كانتْ تفعلُ في غيرِ هذا الشهرِ، ومنعها في هذا الشهرِ المباركِ من مزاوَلَةِ هذا العملِ الخبيثِ إنما هو رحمةٌ بالمسلمينِ لتُتَاحُ لهُمُ الفرصةُ لفعلِ الخيراتِ وتكفيرِ السيئاتِ.

ومن فضائِلَ هذا الشهرِ المبارَكِ؛ أنه تُضاعَفُ فيه الحسناتُ، فروي أنَّ النافلَةَ تعدِلُ فيه أجر الفريضةِ، والفريضةُ تعدِلُ فيه أجرَ سبعين فريضةٍ، ومن فطَّر فيه صائماً كان مغفرةً لذنوبهِ وعتقَ رقَبتِهِ مِنَ النارِ، وكان له مثلُ أجرِ ذلك الصائِمِ مِنْ غيرِ أن ينقصَ من أجرِهِ شيءٌ، وكلُّ هذه خيراتٌ وبركاتٌ ونفحاتٌ تحلُّ على المسلمين بحلولِ هذا الشهرِ المبارَكِ، فينبغي للمسلمِ أن يستقبلَ هذا الشهرَ بالفرحِ الغبطةِ والسرورِ ويحمدَ اللهَ على بلوغِهِ ويسألَهُ الإعانةَ على صيامِهِ وتقديمِ الأعمالِ الصالِحَةِ فيه، إنَّه شهرٌ عظيمٌ، وموسمٌ كريمٌ، ووافدٌ مباركٌ على الأمةِ الإسلاميةِ، نسألُ اللهَ أن يمنحنا مِنْ بركاتِهِ ونفحاتِهِ. .

إنه سميعٌ مجيبٌ، والحمدُ للهِ ربِّ العالمين. .

الدرسُ الرابـعُ
بيانُ ما ينبغي أنْ تُشغَلَ بهِ أوقاتُ رمضانَ المبارَكِ

الحمدُ للهِ على فضلِهِ وإحسانِهِ، تفضَّلَ علينا ببلوغ شهرِ رمضانَ، ومَكَّننا فيه مِنَ الأعمالِ الصالِحَةِ التي تقرِّبُنَا إليه، والصلاةُ والسلامُ على نبيِّنا محمدٍ كان أولَ سابِقٍ إلى الخيراتِ، وعلى آله وأصحابه الذين آمنوا به وعزَّروه ونصروه واتَّبعوا النورَ الذي أُنْزِلَ معه، أولئك هُمُ المفلحون. . . أما بعدُ:

فأوصيكم ونفسي في هذا الشهر المبارَكِ بتقوى اللهِ ـ وفي غيرِهِ مِنَ الشهورِ، ولكنَّ هذا الشهر له مزيةٌ خصَّه اللهُ بها، فهو موسمُ الخيرات، وقد روي أنه ﷺ كان يدعو اللهَ ببلوغِ رمضانَ، لكان يقولُ إذا دخلَ شهرُ رجب: «**اللَّهُمَّ بارِكْ لنَا في رَجَبَ وشعبانَ وبلِّغْنَا رمضانَ**»[(١)] وروي أنه ﷺ كان يبشرُ أصحابَه بقدومِهِ، ويبينُ لهم مزاياه، فيقول: «**أيُّها الناسُ قد أظلَّكم شهرٌ عظيمٌ مباركٌ**»[(٢)]. ويحثُّ أصحابَهُ على الاجتهادِ فيه بالأعمالِ الصالحةِ من فرائِضَ ونوافِلَ، من صلواتِ

---

(١) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٧/ ٣٩٨ رقم ٣٥٣٤) والبزار في مسنده (١/ ٢٩٤ـ ٢٩٥ رقم ٦١٦ ـ كشف الأستار) وأبو نعيم في الحلية (٦/ ٢٦٩) وابن عساكر كما في كنز العمال (رقم ١٨٠٤٩) وضعفه الألباني في ضعيف الجامع (رقم ٤٣٩٥) وكذا ضعفه محقق الشعب.

(٢) فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**أتاكم رمضان شهر مبارك، فرض الله عز وجل عليكم صيامه، تفتح فيه أبواب السماء وتغلق فيه أبواب الجحيم، وتغل فيه مردة الشياطين، لله فيه ليلة خير من ألف شهر، من حُرِم خيرها فقد حرم**». أخرجه أحمد ٢/ ٢٣٠، ٤٢٥ وعبد بن حميد في المنتخب (رقم ١٤٢٩) والنسائي ٤/ ١٢٩.

وصدقاتٍ، وبذلِ معروفٍ وإحسانٍ، وصبرٍ على طاعةِ اللهِ، وعمارةِ نهارِهِ بالصيامِ، وليلِهِ بالقيامِ، وساعاتِهِ بتلاوَةِ القرآنِ، وذكرِ اللهِ عزَّ وجلَّ، فلا تُضيِّعُوه بالغفلةِ والإعراضِ، كحالِ الأشقياءِ الذين نسوا اللهَ فأنساهُمْ أنفسَهُم، فلا يستفيدون مِنْ مرورِ مواسِمِ الخيرِ ولا يعرفون لها حرمةً. ولا يقدرون لها قيمةً، كثيرٌ مِنَ الناسِ لا يعرفون هذا الشهرَ إلا أنه شهرٌ لتنويعِ المآكِلِ والمشارِبِ، فيبالغون في إعطاءِ نفوسِهِم ما تشتهي، ويكثرون مِنْ شراءِ الكماليات مِنَ الأطعمةِ والأشربَةِ، ومعلومٌ أنَّ الإكثارَ مِنَ المآكِلِ والمشارِب يكسّلُ عن الطاعةِ، والمطلوبُ مِنَ المسلمِ أن يقللَ مِنَ الطعامِ والشرابِ حتَّى ينشطَ للطاعَةِ، وبعضٌ مِنَ الناسِ لا يعرفُ شهرَ رمضانَ إلا أنه شهرُ النومِ في النهارِ والسهرِ في الليلِ على ما لا فائدَةَ فيه أو ما فيه مضرةٌ، فيسهرُ معظمَ ليلِهِ أو كلَّه ثم ينامُ النهارَ حتَّى عَنِ الصلواتِ المفروضةِ فلا يُصلِّي مَعَ الجماعَةِ ولا في أوقاتِ الصلواتِ، وفئةٌ مِنَ الناسِ تجلسُ على مائدةِ الإفطارِ تتركُ صلاةَ المغربِ مَعَ الجماعةِ، هذه الفئاتُ مِنَ الناسِ لا تعرفُ لشهرِ رمضانَ قيمةً ولا تتورعُ عَنِ انتهاكِ حرمَتِهِ بالسهرِ الحرامِ، وتركِ الواجباتِ، وفعلِ المحرماتِ، وإلى جانبِ هؤلاءِ جماعةٌ لا يعرفون شهرَ رمضانَ إلا أنه موسمٌ للتجارةِ، وعرضُ السلعِ وطلبُ الدنيا العاجلةِ. فينشطون على البيعِ والشراءِ فيلازمون الأسواقَ ويهجرون المساجدَ، وإن ذهبوا إلى المساجدِ فهم على عجلٍ ومضضٍ لا يستقرون فيها، لأنَّ قرةَ أعيُنِهِمْ في الأسواقِ، وصنفٌ آخر مِنَ الناسِ لا يعرفُ شهرَ رمضانَ إلا أنه وقتٌ للتسولِ في المساجِدِ والشوارِعِ فيُمْضي معظمَ أوقاتِهِ بينَ ذهابٍ وإيابٍ وتجوالٍ هنا وهناك وانتقالٍ من بلدٍ إلى بَلَدٍ لجمعِ المالِ عن طريق السؤالِ، وإظهارِ نفسِهِ بمظهرِ المحتاجِ وهو غنيٌّ، وبمظهرِ المصابِ في

جسمِهِ وهو سليمٌ، يجحدُ نعمةَ اللهِ عليه بالغِنَى والصحةِ، ويأخذُ المالَ بغيرِ حقِّه، ويضيِّع وقتَه الغالِي فيما هو مضرةٌ عليه، فما بقيَ لرمضانَ من مزيةٍ عندَ هذه الفئاتِ.

عبادَ اللهِ لقد كانَ النبيُّ ﷺ يجتهدُ في هذا الشهرِ أكثرَ مما يجتهدُ في غيرِه، وإنْ كان عليه الصلاةُ والسلامُ مجِدًّا في العبادةِ في جميعِ أوقاتِهِ، فكان يتفرغُ في هذا الشهرِ من كثيرٍ مِنَ المشاغِلِ التي هي في الحقيقةِ عبادةٌ، لكنه يتفرغُ مِنَ العملِ الفاضلِ لما هو أفضلُ منه، وكان السلفُ الصالحُ يقتدون به في ذلك فيخصُّونَ هذا الشهرَ بمزيدِ اهتمامٍ، ويتفرَّغُونَ فيه للأعمالِ الصالحةِ، ويعمِّرُون ليلَهُ بالتهجُّدِ ونهارَه بالصيامِ والذكرِ وتلاوةِ القرآنِ، ويعمِّرُون المساجِدَ بذلك، فلنقارن بين حالِنا وحالِهِم وما هو مبلغُ شعورنا بهذا الشهرِ. ولنعلم أنه كما تُضَاعَفُ فيه الحسناتُ فإنها أيضاً تغلُظُ السيئاتُ فيه وتعظُمُ عقوبَتُها، فلنتقِ اللهَ سبحانه ونعظِّمْ حرماتِهِ ﴿وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ﴾ [الحج: ٣٠]. وفَّقَ اللهُ الجميعَ لصالِحِ القولِ والعملِ.

وصلَّى اللهُ على نبيِّنا محمدٍ وآله وصحبِهِ وسلّم...

الدرسُ الخامسُ
في بيانِ بدايةِ الصيامِ اليومِي ونهايَتِه

الحمدُ للهِ ربِّ العالمين، حدَّدَ للعباداتِ مواقيتَ زمانيةٍ ومكانيةٍ تُؤدَّى فيها، وقد بيَّنها لعبادِهِ أتمَّ بيانٍ، والصلاةُ والسلامُ على نبيِّنا محمدٍ وآلِهِ وصحبِهِ الذين تمسكوا بسنّتِهِ واهتدوا بِهَدْيِهِ. . . أما بعدُ:

فقد قالَ اللهُ تعالى: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ ۚ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ ۗ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْ ۖ فَٱلْـَٔـٰنَ بَـٰشِرُوهُنَّ وَٱبْتَغُوا۟ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۚ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ ۖ ثُمَّ أَتِمُّوا۟ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِ ۚ﴾ [البقرة: ١٨٧].

فقد حدَّدَ اللهُ سبحانه في هذه الآيةِ الكريمةِ بدايةَ الصومِ اليومِي ونهايتَهُ بحدودٍ واضحةٍ يعرفُها كُلُّ أحدٍ، فحدّ بدايَتِهِ بطلوعِ الفجر الثانِي ـ وحدُّ نهايتِهِ بغروبِ الشمسِ، كما حدّد بدايةَ صومِ الشهرِ بحدٍّ واضحٍ يعرفُهُ كُلُّ أحدٍ، وهو رؤيةُ الهلالِ، أو إكمالُ عدةِ شعبانَ ثلاثين يوماً، وهكذا دينُنا دينُ اليسرِ والسهولةِ ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ﴾ [الحج: ٧٨]، فللّهِ الحمدُ والمنةُ. وهذا تخفيفٌ مِنَ الله على عبادِه عَمَّا كان عليه الحالُ من قبلُ من تمديدِ الصيامِ فترةً أطولَ، فقد روى البخاريُّ عَنِ البراءِ قال: كان أصحابُ محمدٍ ﷺ إذا كانَ الرجلُ صائماً فحضرَ الإفطارُ فنامَ قبلَ أن يفطرَ لم يأكُلْ ليلَته ولا يومَه حتَّى يُمْسي، وأنَّ قيسَ بنَ صرمةَ الأنصاريَّ كان صائماً. وفي روايةٍ كانَ يعملُ في النخيلِ بالنهارِ وكان صائماً، فلما حضرَ الإفطارُ أتى امرأتَه فقالَ لها: أعندَكِ

طعامٌ، قالتْ لَهُ: لاَ وَلَكِنْ أنطلقُ فأطلبُ لك، وكان يومَه يعملُ، فغلبتْهُ عيناهُ فجاءتْهُ امرأتُهُ فلما رأته قَالَتْ: خيبةً لَكَ أنمتَ[1]، فلما انتصفَ النهارُ غُشِيَ عليه، فذُكِرَ ذلك للنبيِّ ﷺ، فنزلتْ هذه الآيةُ: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ﴾ [البقرة: ١٨٧]. ففرحوا فرحاً شديداً ونزلتْ: ﴿وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ﴾[2] [البقرة: ١٨٧].

وفي البخاريِّ أيضاً عَنِ البراءِ قال: لما نزلَ صومُ رمضانَ كانوا لا يقربون النساءَ رمضانَ كلَّه، وكانَ رجالٌ يختانون أنفسَهُم، فأنزلَ اللهُ تعالى: ﴿عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْ﴾[3] [البقرة: ١٨٧].

يُقَال: خَانَ واختانَ بمعنى، أي: تخونون أنفسَكُم بالمباشرةِ في ليالي الصومِ (فتاب عليكم) أي: قَبِلَ توبتَكُم مما حصل (وعفا عنكم) فلم يؤاخِذْكُم وسهَّل عليكم ويسَّر لكم فأباحَ لكُمُ النساءَ والطعامَ والشرابَ مِنْ غروبِ الشمسِ إلى طلوع الفجرِ الثاني، وعند ذلك يبدأُ الصائِمُ بالامتناعِ عَنْ هذه الأشياءِ وغيرِهَا مما لا يجوزُ للصائِمِ إلى غروبِ الشمسِ. لقوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَتِمُّواْ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِ﴾ [البقرة: ١٨٧]. و(إلى) غاية ـ إذا كان ما بعدَهَا ليسَ مِنْ جنسِ ما قَبْلَها فإنَّه لا يدخُلُ فيه، والليلُ ليس مِنْ جنسِ النهارِ، فالصومُ ينتهي عندَ بدايةِ الليلِ بغروبِ الشمسِ، كما قال النبيُّ ﷺ: «**إذا أقبلَ الليلُ من ههنا وأدبرَ من ههنا وغرُبَتِ الشمسُ فقد أفطرَ الصائِمُ**»[4].

---

(١) لأنَّه دخلَ في صومِ اليومِ الثاني ولم يَأْكُلْ.
(٢) أخرجه البخاري (رقم ١٩١٥).
(٣) أخرجه البخاري (رقم ٤٥٠٨).
(٤) أخرجه البخاري (رقم ١٩٥٤) ومسلم (رقم ١١٠٠).

وبعضُ الناسِ يخالفون الوَجْهَ الشرعيَّ في السحورِ والإفطارِ، فطائفةٌ مِنَ الناسِ أو كثيرٌ منهم يسهرون الليلَ، فإذا كان آخرُ الليلِ وأرادوا النومَ تسحروا قبلَ الفجرِ، ثم نامُوا وتركُوا صلاةَ الفجرِ في وقتِهَا مَعَ الجماعَةِ. فيرتكبون عدة أخطاءٍ:

أولاً: أنهم صاموا قبلَ وقتِ الصيامِ.

ثانياً: يتركون صلاةَ الفجرِ معَ الجماعةِ.

ثالثاً: يؤخِّرُون الصلاةَ عن وقتِهَا فلا يصلُّونَها إلاَّ بعدَمَا يستيقظون ولو عندَ الظهرِ؛ والمبتدعةُ يؤخرونَ الإفطارَ عَنْ غروبِ الشمسِ ولا يفطرونَ إلا عندَ اشتباكِ النجومِ.

وخيرُ الهدي هَدْيُ محمدٍ ﷺ، وشرُّ الأمورِ محدثاتُهَا وكُلُّ بدعةٍ ضلالةٌ.

نسألُ اللهَ أن يرزقَنَا التمسكَ بالسنةِ ومجانَبَةَ البدعَةِ وأهلِهَا. وصلَّى اللهُ على محمدٍ.

الدرسُ السادِسُ
في بيانِ حكمِ النيّةِ في الصّيامِ

الحمدُ لله المطلع على الضمائرِ والخفياتِ، والصلاةُ والسلامُ على نبيِّنا محمدٍ القائِلِ «**إنما الأعمالُ بالنياتِ**» وعلى آلِه وأصحابِهِ ذوي المناقِبِ والكراماتِ. . . أما بعدُ:

اعلموا أنَّ النيةَ فِي الصومِ لابُدَّ منها، وهي شرطٌ لصحتِهِ، كَمَا أنها شرطٌ لصحةِ كُلِّ العباداتِ لقولهِ ﷺ: «**إنَّمَا الأعمالُ بالنياتِ وإنَّما لكُلِّ امرىءٍ ما نَوَى**»[1]. وبها تتميزُ العباداتُ عَنِ العاداتِ، فإنْ كانَ الصومُ واجباً فلابُدَّ أن ينويَهُ مِنَ الليلِ. ويعيّنُ نوعيةَ الصومِ الذي يريدُهُ لقولِهِ ﷺ: «**وإنَّما لِكُلِّ امرىءٍ مَا نَوَى**». وذلك بأنْ يعتقدَ عندَ بدايَةِ الصومِ أنه يصومُ مِنْ رمضانَ أو مِنْ قَضَائِهِ أو أنَّه يصومُ نذراً أو كفارةً.

ووقتُ النيةِ لهذا الصومِ الواجبِ بأنواعِه مِنَ الليلِ سواءٌ كان من أولِهِ أو وَسَطِهِ أو آخِرِه. لما روى الدارقطنيُّ بإسنادِهِ عن عمرةَ عَنْ عائشةَ مرفوعاً: «**مَنْ لَمْ يُبَيِّتُ الصيامَ قَبْلَ طلوعِ الفجرِ فلا صِيَامَ لَهُ**»[2]. وقال: إسنادُه كُلُّهم ثقاتٌ.

وعَنِ ابنِ عمرَ عَنْ حفصةَ عَنِ النبيِّ ﷺ، أنه قَالَ: «**مَنْ لَمْ يُبَيِّتُ الصيامَ قَبْلَ الفجرِ فلا صِيَامَ لَهُ**». وفي لفظ: «**وَمَنْ لَمْ يَجْمَع**» ـ أي: يَعْزِمْ ـ «**الصيامَ مِنَ الليلِ**

---

(١) أخرجه البخاري (رقم ١) ومسلم (رقم ١٩٠٧).
(٢) أخرجه الدارقطني في سننه ٢/ ١٧٢ والبيهقي في سننه الكبرى ٤/ ٢٠٢.

فلاَ صِيَامَ لَهُ»[١]. ولأنَّ جميعَ النهارِ يجبُ فيه الصومُ، فإذا فاتَ جزءٌ مِنَ النهارِ لم توجدْ فيه النيةُ لم يصحّ صومُ جميعِ اليومِ لأنَّ النيةَ لا تنعطفُ على الماضي.

والنيةُ في جميعِ العباداتِ محلُّها القلبُ ولا يجوزُ التلفظُ بها، لأنَّ ذلك لم يَرِدْ عَنِ النبيِّ ﷺ، ولا عَنْ أصحابِهِ أنهم كانوا يقولون: نَوَيْتُ أَنْ أصومَ، نويتُ أَنْ أصلِّي وغير ذلك. فالتلفظُ بها بدعةٌ محدثةٌ، ويكفِي في النيةِ الأكلُ والشربُ بنيةِ الصومِ.

قال الشيخُ تقيُّ الدينِ ابنُ تيمية رحمه اللهُ: هو حين يتعشَّى يتعشَّى عشاءَ مَنْ يريدُ الصومَ ولهذا يفرقُ بينَ عشاءِ ليلةِ العيدِ وعشاءِ ليالي رمضانَ، وقال أيضاً كُلُّ من علمَ أن غداً مِنْ رمضانَ وهو يريدُ صومَهُ فقد نَوَى وهو فعلُ عامةِ المسلمين. . . انتهى.

وأما صومُ النفلِ فإنه يصحُّ بنيةٍ مِنَ النهارِ بشرطِ أَنْ لا يوجدُ منافٍ للصومِ فيما بينَ طلوعِ الفجرِ ونيتهِ مِن أكلٍ وغيرِهِ، لقولِ عائشةَ رضي اللهُ عنها: (دخلَ عليَّ النبيُّ ﷺ ذاتَ يومٍ فقال: «**هل عندكُمْ مِنْ شيءٍ؟**»، فقُلْنا: لا، قال: «**فإنِّي إذاً صائمٌ**»[٢] رواه الجماعةُ إلاَّ البخاريّ.

فدلَّ طلبُه للأكلِ على أنَّه لم يَكُنْ نَوىَ الصيامَ قبلَ ذلِكَ، ودلَّ قولُهُ: «**فإنِّي إذاً صائمٌ**». على ابتداءِ النيةِ مِنَ النهارِ، فدلَّ على صحةِ نيةِ صومِ النفلِ مِنَ النهارِ فيكون ذلك مخصصاً لحديثِ «**مَنْ لَمْ يُبيِّتْ الصيامَ قبلَ طلوعِ الفجرِ فلا صِيامَ لَهُ**». وما وردَ بمعناه بأنَّ ـ ذلك خاصٌّ بالفرضِ دُونَ النفلِ، وذلك بشرطِ أَنْ لا يفعل قبلَ النيةِ ما يُفْطرُهُ اقتصاراً على مقتضى الدليلِ.

---

(١) أخرجه أحمد في المسند ٦/ ٢٨٧ وأبوداود (رقم ٢٤٥٤) والترمذي (رقم ٧٣٠).
(٢) أخرجه مسلم (رقم ١١٥٤).

قال شيخُ الإسلامِ ابنُ تيميةَ رحمه اللهُ: وأما النفلُ فيجزىءُ بنيةٍ مِنَ النهارِ كَمَا دلَّ عليه قولُهُ ﷺ: «إنِّي إذاً صائمٌ». والتطوعُ أوسعُ مِنَ الفرضِ، كما أن الصلاةَ المكتوبةَ يجبُ فيها مِنَ الأركانِ كالقيامِ والاستقرارِ على الأرضِ[1] ما لا يجبُ في التطوعِ توسيعاً مِنَ اللهِ على عبادِهِ طُرُقَ التطوعِ، فإنَّ أنواعَ التطوعاتِ دائماً أوسعُ مِنْ أنواعِ المفروضاتِ وهذا أوسطُ الأقوالِ. . . انتهى.

وصحةُ نيةِ التطوعِ مِنَ النهارِ مرويةٌ عَنْ جماعةٍ مِنَ الصحابةِ منهم معاذٍ وابنِ مسعودٍ وحذيفةَ، وفعله أبو طلحةَ وأبو هريرةَ وابنُ عباسٍ وغيرهُمُ. . . واللهُ أعلمُ.

والحمدُ للهِ ربِّ العالمين. . . والصلاةُ والسلامُ على نبيِّنا محمدٍ وآلِهِ وصحبِهِ. . .

* * *

---

(١) بخلافِ النفلُ فإنّه يصحُّ على الراحلةِ ومِنَ الماشِي.

الدرسُ السابعُ
في بيانِ من يجبُ عليه صومُ رمضانَ

الحمدُ للهِ ربِّ العالمين شَرَعَ فيسَّرَ، والصلاةُ والسلامُ على نبيِّنا محمدٍ بَشَّرَ وأَنْذَرَ وعلى آلِهِ وأصحابِهِ السادةِ الغررِ. أما بعدُ:

اعلموا وفقني اللهُ وإياكم أنَّ صيامَ رمضانَ من أعظمِ فرائِضِ الإسلامِ، قال اللهُ تعالى: ﴿ يَتَأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ ﴾ [البقرة: ١٨٣]، إلى قوله: ﴿ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ﴾ [البقرة: ١٨٥]. وقال النبيُّ ﷺ: «**بُنِيَ الإسلامُ على خمسٍ، شهادةِ أنْ لا إله إلا اللهُ، وأنَّ محمداً رسولُ اللهِ، وإقامِ الصلاةِ، وإيتاءِ الزكاةِ، وصوم رمضانَ، وحجِّ البيتِ من استطاع إليه سبيلاً**»[1] متفقٌ عليه. فالآيةُ الكريمةُ تدلُّ على أنَّ الصيامَ فرضٌ، والحديثُ يدلُّ على أنه أحدُ أركانِ الإسلامِ.

وقد أجمعَ المسلمون على وجوبِ صيامِ رمضانَ إجماعاً قطعيًّا، فمن جَحدَ وجوبَهُ فهو مرتدٌّ عَنْ دينِ الإسلامِ، يستتابُ فإنْ تابَ وإلاَّ قُتِلَ، ويجبُ صومُ رمضانَ على كُلِّ مسلمٍ ومن أسلمَ في أثناءِ الشهرِ صَامَ ما بقي منه فقط، ولا يلزمه قضاءُ ما مَضَىَ مِنْ أولِ الشهرِ، ويجبُ الصومُ على البالِغِ، أما الصغيرُ المميزُ فلا يجبُ عليه الصيامُ ويصحُّ منه تطوعاً. وينبغي لوليِّ أمرِه أمْرُهُ به إذا كان يطيقُهُ ليعتادَهُ وينشأُ عليه، ولا يجبُ الصومُ على مجنونٍ حتَّى يفيقَ، لقولِهِ ﷺ: «**رُفِعَ**

---

(١) أخرجه البخاري (رقم ٨) ومسلم (رقم ١٦).

القلمُ عَنْ ثلاثةٍ»[1] وذكر منهم: المجنونَ حتَّى يفيقَ.

فالصومُ إذاً يجبُ على المسلِمِ البالِغِ العاقِلِ فإنْ كان صحيحاً مقيماً، وجبَ عليه أداءً، وإن كان مريضاً وجبَ عليه قضاءً، وكذا الحائضُ والنفساءُ يجبُ عليهما الصيامُ قضاءً... وإنْ كان صحيحاً مسافراً، خُيّر بينَ الصيامِ أداءً أو يفطرُ ويصومُ قضاءً. ومن صارَ في أثناء النهارِ أهلاً لوجوبِ الصيامِ، كما لو أسلمَ الكافرَ أو بلغَ الصبيُّ أو طَهُرَتِ الحائضُ أو النفساءُ، أو شُفِيَ المريضُ، أو قَدِمَ المسافرُ أو أَفَاقَ المجنونُ، أو قامتِ البينةُ على دخولِ الشهرِ في أثناءِ النهارِ، فإنَّ كُلاًّ من هؤلاءِ يلزمُهُ الإمساكُ بقيةَ اليومِ، ويقضونه، لأنه يومٌ مِنْ رمضانَ لم يأتوا فيه بصومٍ صحيحٍ تامٍّ فلزمَهُم قضاؤه، وإنّما أمروا بالإمساكِ في بقيةِ اليومِ احتراماً للوقتِ.

واعلموا أنه يجبُ على المسلمِ أن يهتمَّ بدينِهِ، وما يُصحِّحه، ولاسيما أركانُ الإسلامِ التي بُنِيَ عليها، ومنها الصيامُ. هذه العبادةُ العظيمةُ تتكررُ في حياةِ المسلمِ مرةً واحدةً كُلَّ عامٍ. لأنَّ هذه الأركانَ الخمسةَ للإسلامِ، منها ما يلزمُ العبدُ في كُلِّ لحظةٍ من حياتهِ لا يتخلَّى عنه أبداً، وهو الشهادتان: شهادةُ أنْ لا إله إلاّ اللهُ وأنَّ محمداً رسولُ اللهِ. ومنها ما يتكررُ في حياةِ المسلمِ كُلَّ يومٍ وليلةٍ خمسُ مراتٍ وهو الصلواتُ الخمسُ. ومنها ما يتكرر على المسلم كُلَّ سنةٍ وهو الزكاةُ والصيامُ، ومنها ما يلزمُ المسلمُ مرةً واحدةً في عمرِهِ وهو الحجُّ[2]، وإذاً

---

(١) أخرجه أبوداود (رقم ٤٣٩٨) وابن ماجه (رقم ٢٠٤١) والنسائي (رقم ٣٤٣٢) وأحمد (٦/ ١٠٠) والحاكم في المستدرك (٢/ ٥٩). وقال: صحيح على شرط مسلم. ووافقه الذهبي.

(٢) إذا استطاعَ إليه سبيلاً.

فالمسلمُ مرتبطٌ بهذه الأركانِ ارتباطاً وثيقاً، وتكررها عليه يوميًا وسنويًا حسبَ أهميتها وبحيثُ يستطيعُ أداءَهَا ولا تشقُّ عليه، ثم هذه الأركانُ العظيمةُ منها ما هو بدنيٌّ محضٌ، كالشهادتين والصلاةِ والصيامِ. ومنها ما هو ماليٌّ محضٌ، وهو الزكاةُ، ومنها ما هو بدنيٌّ وماليٌّ كالحجِّ، ولابُدَّ في جميعها من توفر النيةِ الخالصةِ للهِ، لقوله ﷺ: «**إنَّما الأعمالُ بالنياتِ وإنَّما لكُلِّ امرىءٍ ما نَوَى**»[1]. وأنْ تؤدَّى على الوجه المشروعِ المطابِقِ لما جاءَ به النبيُّ ﷺ كما في الحديثِ: «**مَنْ عَمِلَ عَمَلًا ليس عليه أَمْرُنَا فهو ردٌّ**»[2]. فواجبٌ على المسلمِ أن يهتمَّ بأركانِ الإسلامِ فيأتي بكلِّ ركنٍ منها في وقتِهِ المحددِ خالصاً للهِ صواباً على سنةِ رسولِ اللهِ.

وختاماً أسألُ اللهَ جلّ وعلا أن يجعلَ صيامَنَا وسَائِرَ أعمالِنَا خالصةً مقبولةً، وأن يعينَنَا على ذكرِهِ وشكرِهِ وحسنِ عبادَتِهِ... وصلَّى اللهُ وسلَّم على نبيِّنا محمدٍ...

---

(١) أخرجه البخاري (رقم ١) ومسلم (رقم (١٩٠٧).

(٢) أخرجه البخاري تعليقاً في كتاب البيوع، باب النجش ومن قال: لا يجوز ذلك البيع، ومسلم (رقم ١٧١٨) وأحمد ٦/ ١٤٦.

الدرسُ الثامنُ
في بيانِ مَنْ يعذرُ بتركِ الصيامِ في شهرِ رمضانَ؟ وما يجبُ عليه؟

الحمدُ للهِ ربِّ العالمين، شَرَعَ فَيَسَّرَ: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [الحج: ٧٨]. والصلاةُ والسلامُ على نبيِّنا محمدٍ وآلِهِ وصحبِهِ خيرِ القرون. ومن تبعَهُم بإحسانٍ. . . أما بعدُ:

فإننا نبينُ الذين يجوزُ لهم الإفطارُ في شهرِ رمضانَ وما يجبُ عليهم، قال اللهُ تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ۝١٨٣ أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى ٱلَّذِينَ﴾ [البقرة: ١٨٣، ١٨٤]. وقال تعالى: ﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ [البقرة: ١٨٥]. في هاتين الآيتين الكريمتين وجوبُ الصيامِ على كُلِّ مسلمٍ عاقلٍ، خالٍ مِنَ الموانعِ، أدركَ شهرَ رمضانَ. فليزمُهُ الصيامُ أداءً في شهرِ رمضانَ أو قضاءً إنْ لم يتمكنْ مِنَ الصيامِ أداءً لعذرٍ مِنَ الأعذارِ الشرعيةِ، وأصحابُ هذه الأعذارِ الذين يرخّصُ لهم في الإفطارِ هُمْ:

١ ـ المريضُ الذي يشقُّ عليه الصيامُ فيستحبُّ له أنْ يفطرَ أخذاً بالرخصةِ، وذلك إذا كان الصومُ يضرُّه أو يؤخرُ برءَهُ أو يضاعِفُ عليه المرضَ.

٢ ـ المسافرُ الذي حَلَّ عليه شهرُ رمضانَ وهو في سفرٍ أو أنشأَ سفراً في أثناءِ الشهرِ تبلغُ مسافتُهُ ثمانين كليو متراً فأكثرَ، وهي المسافةُ التي كان يقطعُها الناسُ

على الأقدامِ وسيرِ الأحمالِ في مدةِ يومين قاصدين، فهذا المسافرُ يستحبُّ له أن يفطرَ سواء شقَّ عليه الصيامُ أو لم يَشقّ، أخذاً بالرخصةِ، وسواء كان سفرُهُ طارئاً، أو مستمراً كسائقِ سيارةِ الأجرةِ الذي يكونُ غالبُ وقتِهِ في سفرٍ بين البلدان، فهذا يفطرُ في سفرِهِ ويصومُ في وقتِ إقامتِهِ، وإذا قدمَ المسافرُ إلى بلدِه أثناءَ النهارِ وجبَ عليه الإمساكُ بقيةَ اليومِ ويقضيه كما سبقَ، وإنْ نوى المسافرُ في أثناءِ سفرِهِ إقامةً تزيدُ على أربعةِ أيامٍ فإنَّه يلزمُهُ الصومُ وإتمامُ الصلاةِ كغيرِهِ مِنَ المقيمين، لانقطاعِ أحكامِ السفرِ في حقِّه، سواء كانتْ إقامتُهُ لدراسةٍ أو لتجارةٍ أو غيرِ ذلك، وإنْ نوى إقامةَ أربعةَ أيامٍ فأقلَّ، أو أقامَ لقضاءِ حاجةٍ لا يدري متى تنقضي فله الإفطارُ لعدمِ انقطاعِ السفرِ في حقِّه.

٣ ـ الحائضُ والنفساءُ ـ يحرُمُ عليهما الصيامُ مدةَ الحيض والنفاسِ، لما في الصحيحين عن عائشةَ رضي اللهُ عنها قالت: (كُنَّا نؤمرُ بقضاءِ الصومِ)[١] ويحرمُ على الحائضِ أن تصومَ في وقتِ الحيضِ بالإجماع.

قال شيخُ الإسلامِ ابنُ تيميةَ رحمه اللهُ: ثبتَ بالسنةِ وإجماعِ المسلمين أن الحيضَ ينافي الصومَ. فلا يحلُّ مَعَ الحيضِ أو النفاسِ.

ومن فعلته منهن حاله لم يصحّ منها ـ قال وهو وفقُ القياسِ، فإنَّ الشرعَ جاءَ بالعدلِ في كُلِّ شيءٍ، فصيامُها وقتَ خروجِ الدمِ يوجبُ نقصانَ بدنِهَا وضعفِهَا وخروج صومِهَا عَنِ الاعتدالِ، فأمرتْ أن تصومَ في غيرِ أوقاتِ الحيضِ فيكونُ صومُهَا ذلك صوماً معتدلاً، لا يخرجُ فيه الدمُ الذي يقوي البدنَ الذي هو مادتُهُ

---

(١) لما سألتها امرأةٌ فقالتْ: ما بَالُ الحائضُ تقضِي الصومَ ولا تقضِي الصلاةَ؟ فقالتْ عائشةُ: (كنا مؤمرُ بقضاءِ الصومِ ولا نؤمرُ بقضاءِ الصلاةِ). أخرجه البخاري (رقم٣٢١) ومسلم (رقم ٦٩/٣٣٥).

بخلافِ المستحاضة، ومن ذَرَعَهُ القيءُ مما ليس له وقتٌ يمكنُ الاحترازُ منه فلم يجعلْ منافياً للصوم.

٤ - والمريضُ مرضاً مزمناً لا يُرْجَى بُرْؤُهُ ويعجزُ معه عَنِ الصيامِ عجزاً مستمراً، فهذا يفطرُ ويطعمُ عن كُلِّ يومٍ مسكيناً بمقدارِ نصفِ صاعٍ مِنَ البرِّ وغيرِهِ وليسَ عليه قضاءٌ.

٥ - والكبيرُ والهرمُ الذي لا يستطيعُ الصومَ فهذا يفطرُ ويطعمُ عَنْ كُلِّ يومٍ مسكيناً ولا قضاءَ عليه[1].

٦ - والحاملُ والمرضعُ إذا خافتا على نفسيهما أو على ولديهما من ضررِ الصيامِ، فإنّ كُلاًّ منهما تفطرُ وتقضِي قدرَ الأيامِ التي أفطرتها، وإنْ كان إفطارُهَا خَوْفاً على ولدِهَا فقط أضافتْ مَعَ القضاءِ إطعامَ مسكينٍ عن كلِّ يومٍ، والدليلُ على إفطارِ المريضِ المزمنِ والكبيرِ الهرمِ والحامِلِ والمرضِعِ قولهُ تعالى: ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ﴾ [البقرة: ١٨٤]. كما فسَّرها ابنُ عباسٍ رضي اللهُ عنهما بذلك... واللهُ أعلمُ.

وصلَّى اللهُ وسلَّم على نبيِّنا محمدٍ

---

(١) إذا كان عقله باقياً - أما إذا لم يكن عنده عقل ولا فكر فلا شيء عليه.

الدرسُ التاسِعُ
في بيانِ فضائِلِ الصيامِ

الحمدُ للهِ على نِعَمِه الباطِنَةِ والظَاهِرَةِ، شَرَعَ لعبادِهِ ما يُصلحَهُم ويسعدَهُم في الدنيا والآخرةِ والصلاةُ والسلامُ على نبيِّنا محمدٍ وآلِهِ وصحبِه نجومِ الهُدَى الزَاهِرَةِ ومن اتبعَ هَدْيَه، وتمسَّكَ بسنّتِهِ الطاهِرَةِ.. أما بعدُ:

أيُّها المسلمونُ نذكركم بفضيلةِ هذا الشهرِ المباركِ، ونسألُ اللهَ أَنْ يوفقنا لاغتنامِ أوقاتِهِ بالعملِ الصالِحِ وأنْ يتقبلَ منا، ويغفرَ لنا خَطَايَانا ـ إنه سميعٌ مجيبٌ.

فقد روى الشيخان عن أبي هريرةَ رضي اللهُ عنه عَنِ النبيِّ ﷺ، قَالَ: «**كُلُّ عملِ ابنِ آدمَ له: الحسنةُ بعشرِ أمثالِهَا إلى سبعمائةِ ضعفٍ، قَالَ اللهُ تعالى: إلاَّ الصيامَ فإنَّه لي وأنَا أجزِي بِهِ، تركَ شهوتَه وطعامَهَ وشرابَهَ مِنْ أجْلِي. للصائِمِ فرحتان: فرحةٌ عندَ فطرِهِ وفرحةٌ عندَ لقاءِ ربِّه، ولخلوفُ فَمِ الصائِمِ عندَ اللهِ أطيبُ مِنْ رِيحِ المسكِ**»[1]. فهذا الحديثُ الشريفُ يدلُّ على جملةِ فضائِلِ ومزايا للصيامِ مِنْ بينِ سائِرِ الأعمالِ منها:

إنَّ مضاعفتَه تختلفُ عن مضاعفةِ الأعمالِ الأُخْرَى، فمضاعفةُ الصيامِ لا تنحصرُ بعددٍ. بينما الأعمالُ الأخرى تضاعفُ الحسنةُ بعشرِ أمثالِهَا إلى سبعمائةِ ضعفٍ.

ومنها: أنَّ الإخلاصَ في الصيامِ أكثرُ منه في غيرِهِ مِنَ الأعمالِ لقولِهِ: (**تركَ شهوَتَه وطعامَهَ وشرابَهَ مِنْ أَجْلِي**).

---

(١) أخرجه البخاري (رقم ١٨٩٤، ١٩٠٤) ومسلم (رقم ١١٥١).

ومنها: أن اللهَ اختصَّ الصيامَ لنفسهِ من بينِ سائرِ الأعمالِ، وهو الّذي يتولّى جزاءَ الصائمِ لقولِهِ: (**الصومُ لي وأنَا أَجْزِي بِهِ**).

ومنها: حصولُ الفرحِ للصائمِ في الدنيا والآخرةِ: فرحٌ عندَ فطرِهِ بما أباحَ اللهُ له. وفرحُ الآخرةِ بما أعدَّ اللهُ له مِنَ الثوابِ العظيمِ، وهذا مِنَ الفرحِ المحمودِ. لأنَّه فرحٌ بطاعةِ اللهِ. كما قال تعالى: ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟﴾ [يونس: ٨٥].

ومنها: ما يتركُهُ الصيامُ مِنْ آثارٍ محبوبةٍ عندَ اللهِ. وهي تغيرُ رائحةِ فَمِ الصائمِ بسببِ الصيامِ، وهي آثارٌ نشأتْ عَنِ الطاعَةِ فصارتْ محبوبةً عندَ اللهِ تعالى: «**ولخلوفُ فمِ الصائمِ أطيبُ عندَ اللهِ مِنْ ريحِ المسكِ**».

ومن فضائلِ الصيامِ: أَنَّ الله اختصَّ الصائمين ببابٍ مِنْ أبوابِ الجنةِ لا يدخلُ منه غيرُهُم إكراماً لهم، كما في الصحيحين عن سهلِ بن سعدٍ رضي اللهُ عنه أنَّ النبي ﷺ قَالَ: «**إنَّ في الجنةِ باباً يُقالُ له الريانُ يدخلُ منه الصائمون يومَ القيامةِ، لا يدخلُ منه أحدٌ غيرُهُم، يُقال: أينَ الصائمون؟ فيقومون فيدخلون، فإذا دخلوا أُغْلِقَ فلم يدخلْ منه أحدٌ**»[١].

ومن فضائلِ الصيامِ: أنه يَقِي صاحِبَه مِمّا يُؤْذيه مِنَ الآثامِ ويحمِيه مِنَ الشهواتِ الضارَّةِ. ومِنْ عذابِ النارِ كَمَا وَرَدَ في الأحاديثِ أَنَّ الصيامَ جُنَّةٌ ـ بضمِّ الجيمِ والنونِ المشددةِ المفتوحةِ ـ أي: سِترٌ حصينٌ مِنْ هذه الأخطارِ.

ومن فضائلِ الصيامِ: أَنَّ دعاءَ الصائمِ مستجابٌ، فقد أخرجَ ابنُ ماجه والحاكُم عن ابنِ عمرَ أَنَّه ﷺ قال: «**إن للصائمِ عندَ فطرِهِ دعوةً لا تُرَدُّ**»[٢]. وقد

---

(١) أخرجه البخاري (رقم ١٨٩٦) ومسلم (رقم ١١٥٢).

(٢) أخرجه ابن ماجه (رقم ١٧٥٣) والحاكم في المستدرك (١/ ٤٢٢).

قالَ اللهُ تعالى في أثناءِ آياتِ الصيامِ: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾ [البقرة: ١٨٦]. ليُرَغِّب الصائِمَ بكثرةِ الدُّعَاءِ.

ومن فضائِلِهِ: أنّه يجعلُ كلَّ أعمالِ الصائِمِ عبادةً، كما رَوَىَ أبو داود الطيالسيُّ والبيهقيُّ عَنِ ابنِ عمرَ مرفوعاً: «**صَمْتُ الصائِمِ تسبيحٌ ونومُهُ عبادةٌ، ودعاؤهُ مستجابٌ وعملُهُ مضاعَفٌ**»(١).

ومن فضائِلِ الصيامِ: أنه جزءٌ مِنَ الصبرِ، فقد أخرجَ الترمذيُّ وابنُ ماجه أنَّه ﷺ قال: «**الصيامُ نصفُ الصبرِ**»(٢). وقد أخبرَ اللهُ سبحانه وتعالى أنَّ الصابرين يوفون أجرَهُمْ بغيرِ حسابٍ.

ومن فضائِلِ الصومِ وفوائِدِه الطبيةِ أنَّه يسببُ صحةَ البدنِ، كَمَا رُوِيَ عَنِ النبيِّ ﷺ: «**صُومُوا تَصِحُّوا**»(٣) رواه ابنُ السُّنِّي وأبو نعيم، وذلك لأنَّ الصومَ يحفظُ الأعضاءَ الظاهِرَةَ والباطِنَةَ، ويحمِي مِنْ تخليطِ المطاعِمِ الجالِبِ للأمراضِ. هذا وللصيامِ فضائِلُ كثيرةٌ لا يمكنُنَا استيفاؤها، ولكنَّ الغَرضَ التنبيه على بعضِهَا. وفي هذا القدرِ كفايةٌ ـ إنْ شاءَ اللهُ.

وصلَّى اللهُ وسلَّم على نبيِّنا محمدٍ وآلِهِ وصحبِهِ. والحمدُ للهِ ربِّ العالمين.

---

(١) أخرجه الديلمي في مسند الفردوس (رقم ٣٥٧٦) والهندي في كنز العمال وعزاه إلى أبي زكريا بن منده في أماليه (رقم ٢٣٦٠٢).

(٢) أخرجه أحمد (٤/ ٢٦٠)، والبيهقي في شعب الإيمان (٧/ ١٧٧ رقم ٣٢٩٧)، وابن ماجه (رقم ١٧٤٥).

(٣) ذكره الهندي في كنز العمال (رقم ٢٣٦٠٥) وعزاه إلى ابن السني وأبي نعيم. وقال الحافظ العراقي في تخريج الإحياء ٣/ ٧٥. رواه الطبراني في الأوسط وأبو نعيم في الطب النبوي من حديث أبي هريرة بسند ضعيف.
وقال الصاغاني: موضوع.

الدرسُ العاشِرُ
في بيانِ فوائِدِ الصيامِ

الحمدُ للهِ ربِّ العالمين، والصلاةُ والسلامُ على نبيِّنا محمدٍ خاتمِ النبيين، وعلى آلهِ وصحبِه والتابعين لهم بإحسانٍ إلى يوم الدِّينِ. أما بعدُ:

فإنَّ الصيامَ من أنفعِ العباداتِ وأعظمِهَا آثاراً في تطهيرِ النفوسِ وتهذيبِ الأخلاق. وله فوائدُ عظيمةٌ ـ مِنْ أعظمِهَا:

أنَّه سببٌ لزرعِ تقوى اللهِ في القلوبِ وكفِّ الجوارِحِ عَنِ المحرماتِ، قَالَ اللهُ تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ ﴾ [البقرة: ١٨٣]. فبيَّن سبحانه في هذه الآيةِ أنَّه شرعَ الصيامَ لعبادِهِ ليوفِّرَ لهم التقوى. والتقوى كلمةٌ جامعةٌ لكلِّ خِصالِ الخيرِ. وقد علَّق اللهُ بالتقوى خيراتٍ كثيرةً وثمراتٍ عديدةً، وكرَّرَ ذكرَهَا في كتابِهِ لأهمَيتِها وقد فَسَّرَهَا أهلُ العلمِ بأنَّها: فعلُ أوامرِ اللهِ، وتركُ مناهِيه رجاءً لثوابِهِ وخوفاً مِنْ عقابِهِ، وقولُهُ تعالى: ﴿لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾﴾. قال الإمامُ القرطبيُّ رحمهُ اللهُ: (لعلَّ) ترجٍّ في حقِّهم، و(تتقون): تتركون المعاصِي، فإنَّه كُلَّما قَلَّ الأكلُ ضعُفَتِ الشهوةُ، وكُلَّما ضَعُفَتِ الشهوةُ قلَّت المعاصِي. وقِيلَ: هو على العمومِ، لأنَّ الصيامَ كَمَا قَالَ عليه الصلاةُ والسلامُ: «**الصيامُ جُنَّةٌ ووِجاءٌ**»[1]. وسببُ تقوىً لأنَّه يميتُ الشهواتِ. انتهى بمعناه.

---

(١) أخرجه أحمد (٢/٢٥٧، ٤٠٢)، (٤/٢٢) والنسائي (رقم ٢٢٢٧، ٢٢٢٩) وابن ماجه (رقم ١٦٣٩) والطبراني في الكبير (٨/ ١٥٧ـ ١٥٨ رقم ٧٦٠٨).

ومن فوائدِ الصيامِ: أنَّه يعوّدُ الإنسانَ الصبرَ والتحمُّلَ والجَلَدَ، لأنَّه يحملُهُ على تركِ مألوفِهِ ومفارقةِ شهواتِهِ عن طواعيةٍ واختيارٍ، وهو يعطي قوةً للعاصِي الذي أَلِفَ المعاصِي على تركِهَا والابتعادِ عنها. فهو يربِّيه تربيةً عمليةً على الصبرِ عنها ونسيانِهَا حتَّى يتركَهَا نهائياً، فمثلاً المدخنُ الذي سيطرتْ عليه عادةُ التدخينِ وصَعُبَ عليه تركُهَا يستطيعُ بواسطةِ الصيامِ تركَ هذه العادةِ السيئةِ والمادةِ الخبيثةِ بكلِّ سهولةٍ. وكذلك سائِرُ المعاصي.

ومن فوائدِ الصيامِ: أنه يمكّنُ الإنسانَ مِنَ التغلُّبِ على نفسِهِ الأمّارةِ بالسوءِ، فإنَّها كانتْ في وقتِ الإفطارِ تغالبُ صاحِبَهَا وتنزعُ إلى تناولِ الشهواتِ المحرمةِ. فلما جاءَ الصيامُ تمكن الإنسانُ من إمساكِ زمامِ نفسِهِ وقيادَتِهَا إلى الحقِّ.

ومن فوائدِ الصيامِ: أنه يُسَهّلُ على الصائِمِ فعلَ الطاعاتِ، وذلك ظاهرٌ من تسابُقِ الصائمين إلى فعلِ الطاعاتِ التي رُبَّما كانوا يتكاسلون عنها وتثقلُ عليهم في غيرِ وقتِ الصيامِ.

ومن فوائدِ الصيامِ: أنه يرقِقُ القلبَ ويلينُه لذِكرِ اللهِ عزَّ وجلَّ ويقطعُ عنه الشواغلَ.

ومن فوائدِ الصيامِ: أنه ربَّما يحدثُ في قلبِ العبدِ محبةً للطاعاتِ وبغضاً للمعاصِي بصفةٍ مستمرةٍ، فيكونُ منطلقاً إلى تصحيحِ مفاهِيمِ الإنسانِ وسلوكِهِ فِي الحياةِ.

والحمدُ للهِ ربِّ العالمين... وصلَّى اللهُ وسلَّم على نبيِّنا محمدٍ وعلى آلِهِ وصحبِهِ.

الدرسُ الحادي عشرَ
في بيانِ آدابِ الصيامِ

الحمدُ للهِ وحده، والصلاةُ والسلامُ على نبيِّنا محمدٍ الذي لا نبيَّ بعدَهُ، وعلى آلِهِ وصحبِهِ. . . أما بعدُ:

اعلموا أنَّ من آدابِ الصيامِ المهمةِ أن يصومَ المسلمُ في الوقتِ المحددِ للصومِ شرعاً. فلا يتقدَّمُ عليه ولا يتأخَّرُ عنه، فلا يصومُ قبلَ ثبوتِ بدايةِ الشهرِ ولا يصومُ بعدَ نهايته على أنَّه منه، قال ﷺ: «**إذا رأيتُمُ الهلالَ فصُومُوا وإذا رأيتمُوه فأفطروا**»(١) متفقٌ عليه. وقال عليه الصلاةُ والسلامُ: «**لا تصوموا حتَّى تَرَوْا الهلالَ، ولا تفطروا حَتَّى تَرَوْهُ**»(٢) رواه أحمدُ والنسائيُّ.

ففي الحديثِ الأولِ الأمرُ بالصيامِ عندَ رؤيتِهِ فِي البدايةِ والإفطارِ عندَ رؤيتِهِ فِي النهايةِ، ومعنى ذلك أنَّ محلَّ الصيامِ ما بينَ الهلالين فقط.

وفي الحديثِ الثاني: النهيُ عَنِ الصيامِ قبلَ رؤية الهلالِ، والنهي عَنِ الإفطارِ قبلَ رؤيته، وقد جاءَ النهيُ الصريحُ عن تقدمِ الشهرِ بصيامٍ على نيةِ أنَّه منه، لأنَّ ذلك زيادةٌ على ما شَرَعَه اللهُ عزَّ وجلَّ، فقد رَوَىَ الترمذيُّ والنسائِيُّ وابنُ ماجه وابنُ حبانَ عن ابنِ عباسٍ رضي اللهُ عنهما: «**لا تصوموا قبلَ رمضانَ**»(٣). وروى أبو داودَ عنه: «**لا تقدموا الشهرَ بصيامِ يومٍ ولا يومين**»(٤).

---

(١) أخرجه البخاري (رقم ١٩٠٠) ومسلم (رقم ١٠٨٠/٨).

(٢) أخرجه البخاري (رقم ١٩٠٦) ومسلم (رقم ١٠٨٠/٣).

(٣) أخرجه الترمذي (رقم ٦٨٧) وقال: حديث ابن عباس حديث حسن صحيح.

(٤) أخرجه أحمد (١/١٥٨، ٢٢٦) والدارمي (رقم ١٦٩٠) والترمذي (رقم ٦٨٨) وابن =

ولهذا وَرَدَ النهيُ عَنْ صومِ يومِ الشكِّ، وقال عمارٌ: «مَنْ صَامَ اليومَ الذي يُشَكّ فيه فقد عَصَى أبَا القاسِم ﷺ»[١]. رواه أبو داود والترمذيُّ وصحّحَه. وقَالَ: العملُ عليه عندَ أكثرِ أهلِ العلمِ.

وقالَ شيخُ الإسلامِ ابنُ تيميةَ رحمه اللهُ: لأنَّ الأصلَ والظاهرَ عدمُ الهلالِ فصومُهُ تقدمٌ لرمضانَ بيومٍ، وقد نَهَى النبيُّ ﷺ عنه.

وأصولُ الشريعةِ أدلُّ على هذا القولِ منها على غيرِهِ، فإنَّ المشكوكَ في وجوبِهِ لا يجبُ فعلُهُ ولا يستحبُّ، بل يستحبُّ تركُ فعلِهِ احتياطاً، فلم تحرمْ أصولُ الشريعةِ الاحتياطَ، ولم توجِبْهُ بمجردِ الشكِّ. . . انتهى.

ومن هذا نعلمُ بُطلانَ دعوةِ الذين يدعون إلى أن نعتمدَ على الحسابِ الفلكي في صومِنَا وإفطارِنَا، لأنَّهم بذلك يدعوننا إلى أنْ نصومَ ونفطرَ قبلَ رؤيةِ الهلالِ فنتقدمَ رمضانَ بيومٍ أو يومين ونصومَ يومَ الشكِّ إلى غيرِ ذلك مِنَ المحاذيرِ.

ومن آدابِ الصيامِ تأخيرُ السحورِ إنْ لم يَخْشَ طلوعَ الفجرِ الثاني لقولِ زيدِ بنِ ثابتٍ رضي اللهُ عنه: (تسحَّرنَا معَ النبيِّ ﷺ ثم قُمْنَا إلى الصلاةَ. قلتُ: كم كان بينهما. قال: قدرُ خمسين آية)[٢]. متفقٌ عليه، وفي حديث أبي ذرٍّ: «**لا تزالُ أمتي بخيرٍ ما أَخَّرُوا السحورَ وعجَّلُوا الفطورَ**»[٣]. ولأنَّ ذلك أقوى على الصيامِ، واللهُ تعالى يقولُ: ﴿ **وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ**

= خزيمة (رقم ١٩١٢).

(١) أخرجه أبوداود (رقم ٢٣٣٤) والترمذي (رقم ٦٨٦) والنسائي (رقم ٢١٩٠) وابن ماجه (رقم ١٦٤٥) وقال الترمذي: حسن صحيح.

(٢) أخرجه البخاري (رقم ١٩٢١) ومسلم (رقم ١٠٩٧).

(٣) أخرجه أحمد (٥/ ١٧٢)، والطحاوي في شرح معاني الآثار (١/ ١٤٠).

ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ﴾ [البقرة: ١٨٧]. والمرادُ به سوادُ الليلِ وبياضُ النهارِ، وبعضُ الناسِ اليومَ يسهرونَ معظمَ الليلِ. فإذا أرادوا النومَ تسحروا وناموا وتركوا صلاةَ الفجرِ، فهؤلاءِ صاموا قبلَ وقتِ الصيامِ وتركوا صلاةَ الفجرِ ولا يبالون بأوامرِ اللهِ، فأيُّ شعورٍ عندَ هؤلاءِ نحوَ دينهِم وصيامِهم وصلاتِهم إنَّهم لا يبالون ما دَامُوا يُعْطُون أنفسَهُم ما تَهْوى.

ومن آدابِ الصيامِ: تعجيلُ الفِطْرِ إذا تحقَّقَ غروبُ الشمسِ لقولِهِ ﷺ: «**لا يزالُ الناسُ بخيرٍ ما عجَّلُوا الفطرَ**»[1] متفقٌ عليه، أي: لا يزالُ أمرُ هذه الأمةِ معظماً وَهُمْ بخيرٍ ما داموا مُحَافِظِينَ على هذِهِ السنةِ.

ومن آدابِ الصيامِ: أنْ يفطرَ على رطبٍ، فإنْ لم يجدْ فعلى تمرٍ، لأنَّه ﷺ (كان يفطرُ على رطباتٍ قَبْلَ أنْ يُصلِّي، فإنْ لم تكُنْ فَعَلَىَ تمراتٍ، فإنْ لم تكُنْ تمراتٌ حَسَا حَسَوَاتٍ مِنْ ماءٍ)[2] رواه أبو داودَ والترمذيُّ، ولا ينبغي المبالغةُ بما يقدمُ عندَ الإفطارِ مِنْ أنواعِ الأطعمةِ والأشربةِ، لأنَّ هذا يخالفُ السنةَ، ويشغلُ عَنِ الصلاةِ مَعَ الجماعةِ.

وصلَّى اللهُ وسلَّم على نبيِّنا محمدٍ.

* * *

---

(١) أخرجه البخاري (رقم ١٩٥٧) ومسلم (رقم ١٠٩٨).

(٢) أخرجه أبوداود (رقم ٢٣٥٦) والترمذي (رقم ٥٤٣) وأحمد في المسند (٣/ ١٦٤) والحاكم في المستدرك (١/ ٤٣٢). وقال الحاكم: صحيح على شرط مسلم. وسكت عنه الذهبي.

الدرسُ الثانِي عشرَ
فِي بيانِ ما يحرمُ فِي حقِّ الصائِمِ

الحمدُ للهِ على فضلِهِ وإحسانِهِ، والصلاةُ والسلامُ على نبيِّنا محمدٍ الداعي إلى رضوانِهِ وَعَلى آلِهِ وصحبِهِ ومنِ اهتدَى بهداه وتمسَّك بسنَّتِهِ إلى يومِ الدِّينِ. . . أمَّا بعدُ:

اعلمُوا أنَّ للصومِ آداباً تجبُ مراعاتُهَا والتخلُّقُ بها، ليكونَ الصومُ متمشياً على الوجهِ المشروعِ لتترتبَ عليه فوائِدُهُ، ويحصلُ المقصودُ منه ولا يكونَ تعباً على صاحِبِهِ بدونِ فائدةٍ، كما قال النبي ﷺ: «**رُبَّ صائِمٍ ليسَ لَهُ مِنْ صيامِهِ إلاّ الجوعُ**»[1] فليسَ الصيامُ مجردَ تركِ الطعامِ والشرابِ فقطْ، ولكنّه مع ذلِكَ تركُ مَا لاَ ينبغِي مِنَ الأقوالِ والأفعالِ المحرمةِ أو المكروهَةِ.

قالَ بعضُ السلف: أهونُ الصيامِ تركُ الطعامِ والشرابِ، فإنَّه لا يتمُّ التقربُ إلى اللهِ بتركِ الشهواتِ المباحَةِ إلا بعدَ التقربِ إليه بتركِ ما حرَّمَ اللهُ عليه في كلِّ حالٍ. والمسلمُ وإنْ كان واجباً عليه تركُ الحرامِ في كلِّ وقتٍ إلاَّ أنَّه في وقتِ الصيامِ آكدُ. فالذي يفعل الحرامَ في غيرِ وقتِ الصيامِ يأثمُ ويستحقُّ العقوبةَ، وإذا فعلَهُ في وقتِ الصيامِ، فإنَّه مَعَ الإثمِ واستحقاقِ العقوبةِ يؤثِّرُ ذلِكَ على صيامِه بالنقصِ أو البطلانِ، الصائِمُ حقيقةً هو مَنْ صامَ بطنُهُ عنِ الشرابِ

---

(١) أخرجه ابن ماجه (رقم ١٦٩٠) والنسائي في سننه الكبرى (رقم ٣٢٤٩) وأحمد (٢/ ٣٧٣) والحاكم في المستدرك (١/ ٤٣١) والبيهقي في سننه الكبرى (٤/ ٢٧). وقال الحاكم: صحيح على شرط البخاري ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي.

والطعامِ، وصامتْ جوارِحُهُ عنِ الآثامِ. وصَامَ لسانُهُ عَنِ الفحشِ ورديءِ الكلامِ، وصامَ سمعُهُ عَنِ استماعِ الأغانِي والمعازِفِ والمزامِيرِ وكلامِ المغتابِ والنمامِ، وصامَ بصرُهُ عَنِ النظرِ إلى الحرامِ.

قال النبيُّ ﷺ: «**مَنْ لَمْ يَدَعْ قَوْل الزُّورِ والعملَ بِهِ فليسَ للهِ حاجةٌ فِي أَنْ يَدَعَ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ**»[١] رواه البُخَارِيُّ.

إنَّه يجبُ على الصائِمِ أنْ يجتنبَ الغيبةَ والنميمةَ والشتمَ، لِمَا رَوَى الشيخان عنْ أَبِي هريرةَ - رضي اللهُ عنه - أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «**إِذَا كانَ يومُ صومِ أحدِكُم فَلَا يَرْفُثْ وَلا يَجْهَلْ. فَإِنِ امرؤٌ قَاتَلَهُ أَوْ شَاتَمَهُ فليقُلْ إِنِّي صَائِمٌ**»[٢].

وفِي الصحيحين عَنْ أبي هريرةَ - رضي اللهُ عنه - مرفوعاً: «**الصيامُ جنةٌ فإذا كَانَ يَوْمُ صَوْمِ أحدِكُمْ فَلَا يَرْفُثْ وَلاَ يَفْسُقْ وَلاَ يَجْهَلْ، فإِنْ سَابَّهُ أحدٌ فليقُلْ إنِّي امرؤٌ صائِمٌ**»[٣].

والجُنَّةُ: بضمِّ الجيم - ما يسترُ صاحِبَهُ ويمنَعُهُ أنْ يصيبَهُ سلاحُ غيرِه. فالصيامُ يحفظُ صاحِبَهُ مِنَ الوقوعِ فِي المعاصِي الَّتِي عاقِبَتُهَا العذابُ العاجلُ والآجِلُ.

والرفثُ: هو الفحشُ ورديءُ الكلامِ، وروَى الإمامُ أحمدُ وغيرهُ مرفوعاً إلى النبيِّ ﷺ: «**إنَّ الصيامَ جنةٌ مَا لَمْ يَخرِقْهَا**» قِيل: بِمَ يَخْرِقُهَا؟ قال: «**بكذبٍ أو غيبةٍ**»[٤].

---

(١) أخرجه البخاري (رقم ١٩٠٣).
(٢) أخرجه البخاري (رقم ١٨٩٤)، ومسلم (رقم ١١٥١).
(٣) أخرجه البخاري (رقم ١٩٠٤) ومسلم (رقم ١١٥١/١٦٣).
(٤) أخرج الفقرة الأولى منه النسائي (٤/ ١٦٧ رقم ٢٢٣١)، وأحمد في المسند (١/ ١٩٥، ١٩٦) وأبو يعلى في المسند (٢/ ١٨١ رقم ٨٧٨) والبيهقي في الشعب (٧/ ١٧٣ رقم =

ففي هذا دليلٌ على أنَّ الغيبةَ تخرقُ الصيامَ، أي: تؤثرُ فيه، والجُنَّةُ إذا انخرقَتْ لم تنفعْ صاحِبَهَا، فكذلك الصيامُ إذا انخرقَ لم ينفعْ صاحِبَهُ.

والغيبةُ: كَما بيَّنَها الرسولُ ﷺ هي: «**ذِكْرُكَ أَخَاكَ بما يَكْرَهُ**»[1]. وَجَاءَ أَنَّها تفطرُ الصائِمُ كَمَا في مسندِ الإمامِ أحمدَ: (أنَّ امرأتين صَامَتا في عهدِ رسولِ اللهِ ﷺ، فَكَادَتا أَنْ تَمُوتَا مِنَ العطشِ، فذُكِرَ ذلِكَ للنبيِّ ﷺ فأَعرضَ عنهما، ثم ذَكَرَتا له فَدَعَاهُمَا فأمرَهُمَا أَنْ تستَقِيئَا، أي تستفرِغَا ما فِي بطونِهمَا، فَقاءَتا ملءَ قدحٍ قيحاً ودَماً صَدِيداً ولحماً عَبِيطاً، فَقَالَ النبيُّ ﷺ، «**إنَّ هاتين صَامَتا عَمَّا حَلَّ اللهُ لَهُمَا، وأفطرَتَا على ما حرَّمَ اللهُ عليهما، جلستْ إحداهُمَا إلى الأُخْرَى فجعلتا تَأْكُلانِ مِنْ لُحُومِ الناسِ**»[2]. وما حصلَ مِنْ هاتين المرأتين عندَ الرسولِ من تقيؤ هذه الموادِ الخبيثةِ الكريهةِ هو مما أجراهُ اللهُ على يدِ رسولِهِ مِنَ المعجزاتِ ليتبينَ للناسِ ما للغيبةِ مِنْ آثارٍ قبيحةٍ، وقد قالَ اللهُ تعالى: ﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًاۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا﴾ [الحجرات: ١٢].

وقد دلَّ الحديثُ على أنَّ الغيبةَ تفطّرُ الصائِمَ. وهو تفطيرٌ معنويٌ. معناه بُطلانُ الثوابِ عندَ الجمهورِ.

وصلَّى اللهُ على نبيِّنا محمدٍ وآلِهِ وصحبِهِ.

* * *

= ٣٢٩٤) (٧/ ٢٤٩ رقم ٣٣٧٠).

(١) أخرجه مسلم (رقم ٢٥٨٩) وأبو داود (رقم ٤٨٧٤) والترمذي (رقم ١٩٣٤).

(٢) أخرجه أحمد (٥/ ٤٣١).

الدرسُ الثالِثُ عشرَ
في بيانِ ما يُكرَهُ للصائِمِ

الحمدُ للهِ ربِّ العالمين اختصَّ الصيامَ لنفسِهِ من بين سائِرِ الأعمالِ، والصلاةُ والسلامُ على نبيِّنا محمدٍ وآلِهِ وصحبِهِ خير صحبٍ وآلٍ. . . أمَّا بعدُ:

اعلمُوا أنَّ الصائِمَ في عبادَةٍ عظيمةٍ لا يليقُ به أن يعكِّرَ صفوَهَا بما يُخلُّ بها مِنَ الأقوالِ والأفعالِ غيرِ المناسِبَةِ، لأنَّه فِي عبادَةٍ مادامَ صائِماً. حتَّى في حالَةِ نَوْمِهِ إِذَا قَصَدَ بِه التقوِّي على الصيامِ وصلاةِ الليلِ فإنَّ نومَهُ يكونُ عبادَةً. فلا ينبغِي لَهُ أنْ يتلبسَ بحالةٍ لا تتناسَبُ مَعَ هذه العبادَةِ. ولهذا كانَ السلفُ الصالِحُ إذا صَامُوا جلسُوا في المساجِدِ وقالوا: نحفظُ صَوْمَنَا ولا نغتابُ أحداً حِرْصاً مِنْهُم على صيانَةِ صيامِهِم. . .

والمسلمُ الصائِمُ لا يتعينُ عليه أن يكونَ دائماً في المسجدِ، لأنه يحتاجُ إلى مزاولةِ أعمالٍ يحتاجُ إليها في معيشَتِهِ، لكنْ يجبُ عليه المحافظةُ على حرمةِ صيامِهِ أينما كانَ فيحرمُ عليه التفوُّهُ بالرديءِ مِنَ الكلامِ كالسبِّ والشتمِ ولو سبَّه أحدٌ أو شَتَمَهُ لا يردَّ عليه بالمثل، لقولِهِ ﷺ فيما أخرجَهُ الشيخان عن أبي هريرة ـ رضي اللهُ عنه ـ قال: «**إذا كانَ يومُ صومِ أحدِكُمْ فَلَا يَرْفُثُ ولا يَجْهَلُ، فإنِ امرؤٌ قَاتَلَهُ أو شَاتَمَهُ فليقُلْ إنِّي صائِمٌ**»[1] وروى الحاكِمُ والبيهقيُّ عنه: «**ليسَ الصيامُ مِنَ الأكلِ والشربِ، إنَّما الصيامُ مِنَ اللغوِ والرفثِ، فإنْ سابَّكَ أحدٌ أو جَهِلَ**

---

(١) أخرجه البخاري (رقم ١٨٩٤، ١٩٠٤) ومسلم (رقم ١١٥١).

عليْكَ فَقُلْ: إنِّي صَائِمٌ»[1] فدلتْ هذه الأحاديثُ على أنَّ مما يتأكَّدُ على الصائِمِ الاعتناءُ بصيامِهِ والمحافظةُ عليه، وأنه لو تعدَّى عليه أحدٌ بالضربِ والشتمِ لم يَجُزْ لَهُ الردُّ عليه بالمثلِ ـ وإنْ كان القصاصُ جائزاً، لكنْ في حالةِ الصيامِ يمتنعُ من ذلِكَ ويقولُ: (إنِّي صائِمٌ). وإذا كَانَ ذلك لا يجوزُ قِصَاصاً فالابتداءُ بِهِ أشدُّ تحريماً وأعظمُ إثماً. لأنَّ الاعتداءَ يحرُمُ في كُلِّ وقتٍ كَمَا قَالَ تَعالىَ: ﴿وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ١٩٠﴾ [البقرة: ١٩٠].

والاعتداءُ في حالَةِ الصيامِ أشدُّ شناعةً وأعظمُ إثْماً، فيجبُ على الصائِمِ أنْ يكفَّ لسانَهُ عمَّا لا خيرَ فِيه مِنَ الكلامِ. كالكذبِ والنميمةِ والغيبةِ والمشاتمةِ وكلِّ كلامٍ قبيحٍ، وكذا كفّ نفسِهِ وبدنِهِ عن سائِرِ الشهواتِ والمحرماتِ، لعموم قوله ﷺ: **«مَنْ لَمْ يترُكْ قَوْلَ الزُّورِ والعملَ بِهِ فليسَ للهِ حاجةٌ في أنْ يَدَعَ طعامَهُ وشرابَهُ»**[2]. وقولِهِ ﷺ: **«فَلَا يَرْفُثُ ولا يَفْسُقُ»**. وسِرُّ الصومِ ومقصودُهُ كسرُ النفسِ عَنِ الهَوَى. والقوةُ على التحفُّظِ مِنَ الشيطانِ وأعوانِهِ، قال بعضُ العلماءِ: ينبغي له أنْ يصومَ بجميعِ جوارِحه ببشْرَتِهِ وبعينِهِ وبلسانِهِ وبقلبِهِ. فلا يغتبْ ولا يشتُم ولا يُخَاصِمْ ولاَ يكذبْ ولا يُضيِّعْ زمانَه بإنشادِ الأشعارِ، وروايةِ الأسمارِ. والمضحكاتِ والمدحِ والذّم بغيرِ حقٍّ، ولا يَمُدّ يَدَهُ إلى باطِلٍ ولا يَمْشِي برجْلِهِ إلى باطِلٍ. وقد قَالَ العلماءُ: إنَّ الغيبةَ كَمَا تكُونَ باللسانِ تكونُ بغيرِهِ كالغمزِ بالعينِ واليدِ والشفةِ.

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك (١/ ٤٣١) والبيهقي في سننه الكبرى (٤/ ٢٧٠) والديلمي في مسند الفردوس (رقم ٥٢٢٤). وقال الحاكم: صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي.

(٢) أخرجه البخاري (رقم ١٩٠٣).

والصومُ ينقصُ ثوابُهُ بالمعاصِي وإنْ لم يبطُلْ بِهَا، فقد لا يحصلُ الصائِمُ على ثوابٍ. مع تحمُّلِهِ التعبَ بالجوعِ والعطشِ، لأنَّه لم يَصُمِ الصومَ المطلوبَ شَرْعاً بتركِ المحرماتِ.

وأمرُ النبيِّ ﷺ للصائِمِ إذا شُتِمَ بأنْ يقولَ: «**إنِّي صَائِمٌ**». ظاهِرُهُ أنَّه يقولُ ذلِكَ بلسانِهِ إعلاناً مِنْهُ بما يَمْنَعُهُ مِنَ الرَّدِّ على الشاتِمِ وهو الصيامُ، وفي ذلِكَ قطعٌ للشرِّ وتذكيرٌ لنفسِهِ وللشاتِمِ بحرمَةِ الصيامِ لِيندَفِعَ عنه خصمُهُ بالِتي هِيَ أحسنُ. . .

هَذَا ونسألُ اللهَ عزَّ وجلَّ أنْ يعينَنَا على حِفْظِ صَوْمِنَا مِنَ المناقضَاتِ والمنقصاتِ، وأنْ يوفقنا لفعلِ الخيراتِ، وتركِ المنكراتِ. . .

والحمدُ للهِ ربِّ العالِمين وصلَّى اللهُ وسلَّم على نبيِّنا محمدٍ وآلِهِ وصحبِهِ.

* * *

الدرسُ الرابعُ عشرَ
في بيانِ النوعِ الأولِ مِنْ مفسداتِ الصَّوْمِ

الحمدُ للهِ ربِّ العالَمين، أَمَرَ بإصلاحِ العملِ، ونَهَىٰ عَنْ إبطَالِهِ فقَالَ تَعالىٰ: ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوٓاْ أَعْمَٰلَكُمْ ﴿٣٣﴾ ﴾ [محمد: ٣٣]. والصلاةُ والسلامُ على نبيِّنا محمدٍ وآلِه وصحبِهِ... وبعدُ:

اعلموا أنه يجبُ بيانُ مفسداتِ الصيامِ، ليعرِفَهَا المسلِمُ فيبتَعِد عنها، ويكونَ على حذرٍ مِنْهَا.

وهذه المفسداتُ على نَوْعَيْن:

النوعِ الأولِ: ما يبطلُ الصومُ ويلزمُ معه القضاءُ.

النوعِ الثانِي: ما يُفسدُ ثوابَ الصومِ ولا يلزمُ معه القضاءُ.

فالمفسداتُ الَّتي تبطلُ الصومَ وتوجبُ القضاءَ أنواعٌ:

النوعُ الأولُ: الجماعُ:

فمتى جَامَعَ الصائِمُ في نهارِ رمضانَ بَطُلَ صيامُهُ، وعليه الإمساكُ بقيةَ يومِهِ، وعليه التوبةُ إلى اللهِ والاستغفارُ، ويقضِي هذا اليومَ الَّذي جامَعَ فيه. وعليه الكفارةُ، وهي عتقُ رقبةٍ، فإنْ لَمْ يجدْ صَامَ شَهْرَيْنِ مُتَتابِعَيْنِ. فإنْ لَمْ يستطعْ أنْ يصومَ شهرين متتابعين، أطعمَ سِتِّين مِسْكِيناً لكلِّ مسكينٍ نصفُ صاعٍ من بُرٍّ أو غيرِهِ مِمَّا يكونُ طَعَاماً في عادَةِ أهلِ البلدِ، والَّذي لا يستطيعُ الصيامَ هو الَّذى لا يقدرُ عليه لمانِعٍ صحيحٍ، وليس معناه من يشقُّ عليه الصيامُ، والدليلُ على ذَلكَ ما ثَبَتَ فِي الصحيحين وغيرِهِمَا عَنْ أَبِي هريرةَ ـ رضي اللهُ عنه ـ قَالَ:

(جاءَ أعرابيٌّ إلي رسولِ الله ﷺ فقال: هلكتُ وأهلكتُ، قال: «**وما أهْلَكَكَ؟**» قَالَ: وقعتُ على امرأَتِي في رمضانَ، فقال: «**هل تَجِدُ ما تُعْتِقُ بِهِ رقبةً**». قَالَ: لاَ. قال: «**فهل تستطيعُ أنْ تصومَ شهرين متتابعين**»، قال: لاَ، قال: «**فَهَلْ تجدُ ما تُطْعِمُ سِتِّين مسكيناً**»، قَالَ: لاَ، ثُمَّ جَلَسَ فأُتِيَ النبيُّ ﷺ بعرقٍ[1] فِيهِ تمرٌ. قال: «**تَصَدَّقَ بِهَذَا**»، فَقَال: أَعَلَى أفقرَ مِنَّا؟ فَمَا بَيْنَ لابتيها أَهْلُ بيتٍ أحوجُ إليه مِنَّا، فضَحِكَ النبيُّ ﷺ حتَّى بدتْ نواجِذُهُ، قال: «**اذْهَبْ فأطْعِمْهُ أهْلَكَ**»[2].

وقد ذكرَ شيخُ الإسلامِ ابنُ تيميةَ رحمه اللهُ: أنَّ الجماعَ في حقِّ الصائِمِ فِيه شبهٌ بالحيضِ والحجامَةِ مِنْ ناحيةِ أنَّه استفراغٌ، وفيه شَبَهٌ بالأكلِ والشرب من ناحيةِ الشهوةِ، فقال رحمه اللهُ: وأمَّا الجماعُ فباعتبارِ أنه سببُ إنزالِ المنيِّ يَجْري مَجْرى الاستقاءة والحيض والاحتجام فإنَّه نوعٌ مِنَ الاستفراغِ، ومن جهةِ أنَّه إحدى الشهوتين، فَجَرىَ مَجْرَى الأكلِ والشربِ، وقد أخبرَ النبيُّ ﷺ عن ربِّه أنه قَالَ فِي الصائِمِ: «**يَدَعُ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ مِنْ أَجْلِي**»[3] فَتَرْك الإنسانِ ما يَشْتَهِيه للهِ هو عبادةٌ مقصودةٌ يُثابُ عَلَيْهَا.

والجماعُ من أعظمِ نعيمِ البدنِ وسرورِ النفسِ وانبساطِهَا، وهو يحركُ الشهوةَ والدمَ والبدنَ أكثرَ مِنَ الأكلِ. فإذَا كانَ الشيطانُ يَجْرِي مِن ابن آدمَ مَجْرَى الدمِ، والغذاءُ يبسطُ الدمَ فتنبسطُ نفسُهُ إلى الشهواتِ، فهذا المعنى فِي الجماع أبلغُ، فإنه يبسطُ إرادَةَ النفسِ للشهواتِ ويشغلُ إرادَتَها عَنِ العبادةِ، بَلِ الجماعُ هو غايةُ الشهواتِ وشهوتُهُ أعظمُ مِنْ شهوةِ الطعامِ والشرابِ، ولهذا أوجبَ على

---

(١) العرق ـ بفتح العين وسكون الراء ـ هو: الزنبيل.
(٢) أخرجه البخاري (رقم ١٩٣٦) ومسلم (رقم ١١١١).
(٣) أخرجه البخاري (رقم ١٨٩٤) ومسلم (رقم ١١٥١).

المجامِعِ كفارةَ الظهارِ فوجبَ عليه العتقُ أو ما يقومُ مقامَهُ بالسنةِ والإجماعِ، لأنَّ هذا أغلظُ. ودواعِيه أقوى، والمفسدةُ به أشدُّ: فهذا أعظمُ الحكمتين في تحريمِ الجماعِ، وأما كونُهُ يضعفُ البدنَ كالاستفراغِ، فهذه حكمةٌ أخْرَى، فصارَ فيها كالاستقاءَةِ والحيضِ، وهو في ذَلِكَ أبلغُ منهما، فكانَ إفسادُهُ الصومِ أبلغَ مِنْ إفسادِ الأكلِ والحيضِ. . . انتهى كلامُهُ رحمه اللهُ.

وصلَّى اللهُ وسلَّم على نبيِّنا محمدٍ وآلِهِ وصحبِهِ.

* * *

الدرسُ الخامسُ عشرَ
في بيانِ النوعِ الثانِي والثالثِ مِنْ مفسداتِ الصومِ

الحمدُ للهِ ربِّ العالمين، والصلاةُ والسلامُ على نبيِّنا محمدٍ خاتَمِ النبيين، وعلى آلِهِ وأصحابِهِ والتابعين لهم بإحسان إلى يومِ الدين. . . أما بعدُ:

اعلموا أنَّ اللهَ قد أباحَ للصائِمِ الاستمتاعَ بأهلِهِ في ليلِ الصيامِ، فقال سبحانه: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ﴾ [البقرة: ١٨٧]. والرفثُ كنايةٌ عَنِ الجماعِ، وقيل: الرفثُ كلمةٌ جامعةٌ لكلِّ ما يريدُ الرجلُ مِنَ امرأتِهِ؛ وعلى كُلٍّ فتخصيصُ ذلك بالليلِ دليلٌ على تحريمِهِ على الصائِمِ في نهارِ الصيامِ، وقد تقدَّمَ ما يترتبُ على من جامعَ في نهارِ الصيامِ مِنْ رمضانَ مِنَ الكفارةِ المغلظةِ، وهذا مما يؤكدُ على المسلمِ الابتعادَ عمَّا يوقعُ في المحذورِ ويخلُّ بصيامِهِ.

والنوعُ الثانِي:

مِنَ المفطراتِ المفسداتِ للصومِ: إنزالُ المنيِّ من غيرِ جماعٍ، بَلْ بسببِ تقبيلٍ أو مباشرةٍ أو استمناءٍ (وهو ما يُسمَّى بالعادةِ السريةِ). أو تكرارِ نظرٍ، فإذا أنزلَ الصائِمُ بسببٍ مِنْ هذه الأسبابِ فسدَ صومُهُ وعليه الإمساكُ بقيةَ يومِهِ ويقضِي هذا اليومَ الذي حصلَ فيه ذلك، ولا كفارةَ عليه، لكن عليه التوبةُ والندمُ والاستغفارُ والابتعادُ عن هذه الأشياءَ المثيرةِ للشهوةِ، لأنه في عبادَةٍ عظيمةٍ، مطلوبٌ منه أن يدَعَ شهوتَهُ وطعامَهُ وشرابَهُ من أجلِ ربِّه عزَّ وجلَّ، والنائِمُ إذا احتلَمَ فأنزلَ لم يؤثرُ ذلك على صيامِهِ وليس عليه شيءٌ لأن ذلك بغيرِ اختيارِهِ لكن

عليه الاغتسالُ كما هو معلومٌ.

النوعُ الثالثُ:

مِنْ مفسداتِ الصومِ: الأكلُ والشربُ متعمداً، لقولِهِ تَعالَى: ﴿وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ ۖ ثُمَّ أَتِمُّوا۟ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِ ۚ﴾ [البقرة: ١٨٧]. فاباحَ سبحانه وتعالى الأكلَ والشربَ إلى طلوعِ الفجرِ الثانِي، ثم أمرَ بإتمامِ الصيامِ إلى الليلِ، وهذا معناهُ تركُ الأكلِ والشربِ في هذه الفترةِ ما بينَ طلوعِ الفجرِ إلى الليلِ.

وقد أخبرَ النبيُّ ﷺ عن ربِّه عزَّ وجلَّ أنه قالَ في الصائِمِ: «**يَدَعُ طعامَهُ وشرابَه مِنْ أجلِي**». ومثلُ الأكلِ والشربِ إيصالُ شيءٍ مِنَ الطعامِ أوِ الشرابِ إلى الجَوْفِ من غيرِ طريقِ الفمِ.

وكذا إيصالُ كُلِّ شيءٍ مائعٍ أو جامِدٍ إلى جوفِهِ: كأخذِ الإبرِ المغذية ـ وتناولِ الأدويةِ وحقنِ الدمِ في الصائِمِ لإسعافِهِ به، كُلُّ هذه الأمورُ تفسدُ صومَهُ. لأنَّها إمَّا مغذيةٌ تقومُ مقامَ الطعامِ. وإمَّا أدويةٌ تصلُ إلى حلقِهِ وجوفِهِ فهي في حكمِ الطعامِ والشرابِ. كما نصَّ على ذلك كثيرٌ من الفقهاءِ رحمهُمُ اللهُ، أما الإبرُ غيرُ المغذيةِ، فإنْ كانتْ تؤخذُ عن طريقِ الوريدِ فالذي يظهرُ أنها تفطرُ الصائِمَ، لأنَّها تسيرُ مَعَ الدمِ وتنفذُ إلى الجوفِ. وإنْ كانتْ تؤخذُ عن طريقِ العضلِ فالأحوطُ تركُهَا، لقوله ﷺ: «**دَعْ مَا يَرِيبُك إلى ما لا يَرِيبُك**»[1]. وَمَنِ احتاجَ إلى تناولِ شيءٍ من هذه المذكورات لحالةٍ مرضيةٍ تستدعي ذلك ولا تقبلُ

---

(١) أخرجه النسائي (رقم ٥٧٢٧) وأحمد (١/ ٢٠٠) وابن عدي في الكامل (١/ ٢٠٣) والطبراني في الصغير (رقم ٣٢، ٢٨٥) والترمذي (رقم ٢٥١٨) وقال: حديث حسن صحيح. وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٤/ ٧٤): إسناد حسن.

التأجيلَ إلى الليلِ فإنَّه يتناولُ ويقضي ذلك اليومَ لأنّه مريضٌ، واللهُ تعالى رخَّصَ للمريضِ بالإفطارِ والقضاءِ مِنْ أيامٍ أُخَر، والاكتحالُ يعتبرُهُ بعضُ الفقهاءِ مِنَ المفطراتِ، لأنه ينفذُ إلى الحلقِ ويجدُ الصائِمُ طعمَ الكُحْلِ في حلقِهِ غالباً، فلا ينبغي للصائِمِ أن يكتحلَ في نهارِ الصيامِ، من بابِ الاحتياطِ وابتعاداً عَنِ الشبهةِ، واللهُ أعلمُ.

وصلَّى اللهُ وسلَّم على نبيِّنا محمدٍ

* * *

الدرسُ السادسُ عشرَ
في بيانِ النوعِ الرابعِ والخامِسِ مِنْ مفسداتِ الصومِ

الحمدُ للهِ ذي الفضلِ والإنعامِ، جعلَ الصيامَ جُنَّةً مِنَ الآثامِ والصلاةُ والسلامُ على محمدٍ وعلى آله وأصحابِهِ خيرِ الأنامِ. وسلّم تسليماً. . . أما بعدُ:

فالنوعُ الرابعُ مِنَ المفطراتِ:

استخراجُ الدمِ مِنَ الصائِمِ بحجامةٍ أو فصدٍ أو سحبٍ للتبرعِ به، أو لإسعافِ مريضٍ ونحوِ ذلك، والأصلُ في هذا قولُهُ ﷺ في الحجامةِ: «**أفطرَ الحاجمُ والمحجومُ**»[(١)] رواه أحمدُ والترمذيُّ. وقدوردتْ بمعناه أحاديثُ كثيرةٌ، قال ابنُ خزيمةَ: ثبتتِ الأخبارُ عَنْ رسولِ اللهِ ﷺ بذلك. . . وقالَ شيخُ الإسلامِ ابنُ تيميةَ رحمه اللهُ: والقولُ بأنّ الحجامةَ تفطرُ مذهبُ أكثرِ فقهاءِ الحديثِ كأحمدَ وإسحاقَ وابنِ خزيمةَ وابنِ المنذرِ، وأهلُ الحديثِ الفقهاءُ فيه العاملون به أخصُّ الناسِ باتباعِ محمدٍ ﷺ، وهو وفقُ الأصولِ والقياسِ، والذين لم يروه احتجُّوا بما في صحيحِ البخاريِّ: إنه حتجمَ ﷺ وهو صائِمٌ محرمٌ[(٢)]، وأحمدُ وغيرُهُ طعنوا في هذه الزيادة، وهي قولُهُ: (وهو صائِمٌ). وقالوا: الثابتُ أنه احتجمَ وهو محرمٌ، قال أحمدُ: (وهو صائِمٌ) ليسَ بصحيحٍ ـ إلى أن قالَ الشيخُ: وهذا

---

(١) أخرجه أبو داود (رقم ٢٣٦٧) والنسائي في سننه الكبرى (رقم ٣١٣٤) وابن ماجه (رقم ١٦٧٩ ـ ١٦٨١) وابن حبان في صحيحه (رقم ٣٥٣٢) والحاكم في المستدرك (٤٢٧/١)، وقال: صحيح على شرط الشيخين وأحمد في المسند (٢٧٦/٥).

(٢) أخرجه البخاري (رقم ١٩٣٨، ١٩٣٩) فعن عبدالله بن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ احتجم وهو محرم، واحتجم وهو صائم.

الذي ذكره أحمدُ هو الذي اتفق عليه الشيخان، ولهذا أعرضَ مسلمٌ عنه ولم يثبتْ إلاَّ حجامةَ المحرمِ. . . انتهى كلام الشيخِ رحمهُ اللهُ.

وأماخروجُ الدمِ بغيرِ قصدٍ مِنَ الصائِمِ كالرعافِ ودمِ الجراحةِ وخلعِ الضرسِ ونحوه فإنَّه لا يؤثرُ على الصيامِ، لأنه معذورٌ في خروجِهِ منه في هذه الحالاتِ(١).

النوعُ الخامسُ:

مِنَ المفطراتِ: التقيؤُ: وهو استخراجُ ما في المعدةِ مِنْ طعامٍ أو شرابٍ عَنْ طريقِ الفمِ متعمداً، لقوله ﷺ: **«مَنِ استقاءَ عمداً فليقضِ»**(٢) حسَّنه الترمذيُّ، وقالَ: العملُ عليه عندَ أهلِ العلمِ.

قال شيخُ الإسلامِ ابنُ تيمية رحمه اللهُ: فنهى عَنْ إخراجِ ما يُقَوِّيه ويغذِّيه مِنَ الطعامِ والشرابِ الذِي به يتغذّى، لما يوجبُ إخراجُهُ مِنْ نقصانِ بدنِهِ وضعفِه، فإنَّه إذا مكن منه ضرَّه وكان متعدياً في عبادَتِهِ لا عادِلاً فيها.

أما إذا غلبه القيءُ وخرجَ منه بغيرِ اختيارهِ فإنه لا يؤثرُ على صيامِهِ، لقولِه ﷺ: **«منَ ذَرَعه القيءُ فليسَ عليه قضاءٌ»**(٣) رواه الترمذيُّ. ومعنى ذرعَهُ القيءُ: غَلَبَهُ.

ومما ينهى عنه الصائِمُ المبالغةُ في المضمضةِ والاستنشاقِ، قال ﷺ: **«وبالغْ في الاستنشاقِ إلاّ أنْ تكونَ صائماً»**(٤).

---

(١) لكن يجبُ عليه الحذرُ من ابتلاع الدم الخارج مِنَ الضرسِ ونحوِهِ.

(٢) أخرجه الترمذي (رقم ٧٢٠) وأبوداود (رقم ٢٣٨٠) وابن ماجه (رقم ١٦٧٦)، وقال أبو عيسى: حديث حسن غريب.

(٣) انظر تخريج الحديث السابق.

(٤) أخرجه أبو داود (رقم ١٤٢، ١٤٣) وابن ماجه (رقم ٤٠٧) وابن خزيمة في صحيحه =

قال شيخُ الإسلامِ ابنُ تيميةَ رحمه اللهُ: وذلك لأنَّ نشقَ الماءِ بمنخريه ينزلُ الماءَ إلى حلقِهِ وإلى جَوْفِهِ فيحصلُ له ما يحصلُ للشاربِ بفمِهِ، ويغذّي بدَنه من ذلك ويزولُ العطشُ بشربِ الماءِ.

ويباحُ للصائِمِ التبرُّدُ بالماءِ بالاستحمامِ به على جميعِ بدنِهِ، ويحترزُ من دخولِ الماءِ إلى حلقِهِ، وَمَنْ أكلَ أو شربَ ناسياً فلا شيءَ عليه، لقولِه ﷺ: «**من نَسِيَ وهو صائِمٌ فأكلَ أو شربَ فليتمَّ صومَهُ، فإنَّما أطعمَهُ اللهُ وسَقَاه**»[1] . . . وهذا من لطفِ اللهِ بعبادِهِ وتيسيرِهِ عليهم، وقولُهُ: «**فليتمّ صومَهُ**» دليلٌ على أنَّ صومَهُ صحيحٌ وكذا لو طَارَ إلى حلقِهِ غبارٌ أو ذبابٌ لم يؤثِّرْ على صيامِهِ لعدمِ إمكانِ التحرُّزِ من ذلك.

واعلموا رحمكُمُ اللهُ أنّه يجبُ على المسلمِ التحفُّظُ على صيامِهِ عَمَّا يخلُّ بِهِ مِنَ المفطراتِ والمنقصاتِ. فإذا حصلَ شيءٌ من ذلِكَ عن طريقِ النسيانِ فلا حَرَجَ عليه لقولِهِ ﷺ: «**عُفِيَ لأمَّتِي عَنِ الخطأِ والنسيانِ وما استُكْرِهُوا عليه**»[2].

والحمدُ للهِ ربِّ العالمين وصلَّى اللهُ على نبيِّنا محمدٍ وآلِهِ وصحبِهِ.

* * *

= (رقم ١٥٠) وابن حبان في صحيحه (رقم ١٥٩) والحاكم (١/ ١٤٧ ـ ١٤٨) وأحمد (٤/ ٣٣)، وصححه الذهبي وابن حجر.

(١) أخرجه البخاري (رقم ١٩٣٣) ومسلم (رقم ١١٥٥).

(٢) أخرجه البيهقي في سننه الكبرى (٦/ ٨٤) عن ابن عمر بلفظ «**وضع عن أمتي**» وأخرجه الطبراني في معجمه الكبير (٢/ ٩٧ رقم ١٤٣٠) بلفظ «**إن الله تجاوز عن أمتي ثلاثة**» عن ثوبان.

الدرسُ السابعُ عشرَ
فِي بيانِ الأحكامِ المتعلقةِ بقضاءِ الصومِ

الحمدُ للهِ ربِّ العالمين، شَرَعَ فَيَسَّر ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [الحج: ٧٨]. والصلاةُ والسلامُ على نبيِّنا محمدٍ وعلى آلهِ وأصحابِهِ وأتباعِهِ إلى يومِ الدينِ... أما بعدُ:

فاعلموا أنه يجبُ عليكُمْ معرفةُ أحكامِ القضاءِ في حقِّ من أفطرَ في نهارِ رمضانَ لعذرٍ مِنَ الأعذارِ الشرعيةِ ـ قال اللهُ تعالى: ﴿وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ﴾ [البقرة: ١٨٥].

ففي آخرِ هذه الآيةِ الكريمةِ رخَّصَ اللهُ بالإفطارِ في رمضانَ للمريضِ والمسافِرِ، وأوجبَ عليهما القضاءَ إذا أخذا بالرخصةِ فأفطرَا بأن يصومَا عددَ الأيامِ التي أفطراها من شهرٍ آخر، وإنْ صامَا رمضانَ ولم يأخذَا بالرخصةِ فصومهما صحيحٌ ومجزي عندَ جمهورِ أهلِ العلمِ وهو الحقُّ، وبيَّن سبحانه الحكمةَ في هذه الرخصةِ، وهي أنَّه أرادَ التيسيرَ على عبادِهِ ولم يُرِدْ لهُمُ العسرَ والمشقةَ بتكليفِهِم بالصومِ في حالةِ السفرِ والمرضِ، وأنَّ الحكمةَ في إيجابِ القضاءِ هي إكمالُ عددِ الأيامِ التي أوجبَ اللهُ صومَها، ففي هذه الرخصةِ جمعٌ بين التيسيرِ واستكمالِ العددِ المطلوبِ صومُهُ. وهناك صنفٌ ثالثٌ ممن يرخِّص لهم بالإفطار، وهم الكبيرُ الهرِمُ والمريضُ المزمنُ، إذا لم يطِيقَا الصيامَ، قال تعالى: ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ﴾ [البقرة: ١٨٤]. ومعنى

يطيقونه: يكلّفونه ويشقّ عليهم، فعليهم بدلَ الصيامِ إطعامُ مسكين عن كُلِّ يومٍ، وهذا على ما ذَهَبَ إليه طائفةٌ مِنَ العلماءِ في تفسيرِ الآيةِ وأنَّها لم تنسخْ، وألحقَ بهؤلاءِ الحاملَ والمرضعَ إذا خافَتا على نَفْسَيْهِمَا أو على ولديهما مِنَ الصيامِ، كما رُوي عن ابنِ عباسٍ أنه قال لأمٍّ ولدٍ له حاملٍ أو مرضعةٍ: أنتِ بمنزلةِ الذين لا يُطيقُونَ الصيامَ. وعن ابنِ عمرَ أن إحدى بناتِه أرسلتْ تسأله عن صومِ رمضانَ وهي حاملٌ ـ قال: تفطرُ وتطعمُ عَنْ كُلِّ يومٍ مسكيناً، هؤلاءِ جميعاً يباحُ لهم الإفطارُ في نهارِ رمضانَ نظراً لأعذارِهِم الشرعيةِ ثُمَّ هُمْ ينقسمون إلى ثلاثةِ أقسامٍ:

١ ـ قسم يجبُ عليهم القضاءُ فقط ولا فديةَ عليهم، وهم: المريضُ والمسافرُ والحاملُ والمرضعُ إذا خافَتا على نفسيهما.

٢ ـ وقسمٍ يجبُ عليهم الفديةُ فقط ولا قضاءَ عليهم، وهم: العاجزون لهرمٍ أو مرضٍ لا يُرْجَى بُرْؤُهُ.

٣ ـ قسمٍ يجبُ عليه القضاءُ والفديةُ وهمُ الحاملُ والمرضعُ إذا خافتا على ولديهما فقط، والفديةُ هنا: إطعامُ مسكينٍ نصفَ صاعٍ من طعامِ البلدِ عَنْ كُلِّ يومٍ.

وهكذا دينُنَا يسرٌ وسماحةٌ يتمشَّى مَعَ ظروفِ الإنسانِ ولا يكلّفه ما لا يُطيقه أو يشقُّ عليه مشقةً شديدةً غيرَ محتملةٍ. يشرعُ للحضرِ أحكاماً مناسبةً، وللسفرِ أحكاماً مناسبةً، ويشرعُ للصحيحِ ما يناسِبُهُ وللمريضِ ما يناسبُهُ.

ومعنى هذا أن المسلمَ لا ينفكّ عن عبادةِ اللهِ في جميعِ أحوالِهِ. وأن الواجباتِ لا تسقطُ عنه سُقُوطاً نهائياً، ولكنها تتكيّفُ مع ظروفِهِ.

قال اللهُ تعالى: ﴿ وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ ۝٩٩ ﴾ [الحجر: ٩٩]، وقال

عِيسى عليه السلامُ فيما ذَكَرَهُ اللهُ عنه: ﴿وَأَوْصَٰنِي بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾﴾ [مريم: ٣١].

ومن الناسِ من يريدُ أن يستغلَ سماحةَ الإسلامِ استغلالاً سيئاً فيبيحُ لنفسِهِ فعلَ المحرماتِ وتركَ الواجباتِ، ويقولُ: الدينُ يسرٌ. نَعَمْ إنَّ الدينَ يسرٌ، ولكن ليسَ معنى ذلك أن ينفلتَ الإنسانُ من أحكامِهِ ويتبعَ هَوَى نفسِهِ، وإنما معنى سماحةِ الإسلامِ أنه ينتقلُ بالعبدِ مِنَ العبادةِ الشاقّةِ إلى العبادةِ السهلةِ التي يستطيعُ أداءَهَا في حالةِ العذرِ ـ ومِنْ ذلِك الانتقالُ بأصحابِ الأعذارِ الشرعيةِ مِنَ الصيامِ أداءً فِي رمضانَ إلى الصيامِ قَضَاءً فِي شهرٍ آخر عندما تزولُ أعذارُهُم أو الانتقالُ بهم مِنَ الصيامِ إلى الإطعامِ إذا كانوا لا يقدرون على القضاءِ. فَجَمَعَ لهُمْ بينَ أداءِ الواجِبِ وانتفاءِ المشقةِ والحرجِ ـ فللهِ الحمدُ والمنةُ.

وصلَّى اللهُ وسلَّم على نبيِّنا محمدٍ.

* * *

الدرسُ الثامنُ عشرَ
في بيانِ أحكامِ القضاءِ

الحمدُ للهِ القائِل: ﴿وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ [البقرة: ١٨٥]، والصلاةُ والسلامُ على نبيِّنا محمدٍ وآلِهِ وأصحابِهِ السادَةِ الغررِ. أما بعدُ:

فاعلموا أنَّ من أفطرَ في رمضانَ بسببٍ مباحٍ، كالأعذارِ الشرعيةِ التي تبيحُ الفطرَ، أو بسببٍ محرمٍ كمَنْ أبطلَ صومَهُ بجماعٍ أو غيرِهِ وجبَ عليه القضاءُ لقولِهِ تعالى: ﴿فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ [البقرة: ١٨٤]. ويستحبُّ له المبادرةُ بالقضاءِ لإبراءِ ذمَّتِهِ، ويستحبُّ أن يكونَ القضاءُ متتابعاً ـ لأنَّ القضاءَ يحكي الأداءَ، وإن لم يقضِ على الفورِ وجبَ العزمُ عليه، ويجوزُ له التأخيرُ لأنَّ وقتَهُ موسعٌ. وكُلُّ واجبٍ موسَّعٍ يجوزُ تأخيرُهُ مع العزمِ عليه، كما يجوزُ تفرقتُهُ بأنْ يصومَهُ متفرِّقاً ـ لكن إذا لم يبقَ مِنْ شعبانَ إلا قَدْرَ ما عليه فإنَّه يجبُ عليه التتابعُ إجماعاً لضيقِ الوقتِ ولا يجوزُ تأخيرُهُ إلى ما بعدَ رمضانَ الآخرَ لغيرِ عذرٍ. لقولِ عائشةَ رضي اللهُ عنها: «كانَ يكونُ عليَّ الصومُ مِنْ رمضانَ فما أستطيعُ أنْ أقضِيَهُ إلاَّ في شعبانَ لمكانِ رسولِ اللهِ ﷺ»[1] متفقٌ عليه.

فدلَّ هذا على أنَّ وقتَ القضاءِ موسعٌ إلى أن لا يَبْقَى مِنْ شعبانَ إلا قدرَ الأيامِ التي عليه فيجبُ عليه صيامُهَا قبلَ دخولِ رمضانَ الجديدِ، فإنْ أخَّر القضاءَ حتَّى أتى عليه رمضانُ الجديدُ فإنَّه يصومُ رمضانَ الحاضِرَ، ويقضي ما عليه

---

(١) أخرجه البخاري (رقم ١٩٥٠) ومسلم (رقم ١١٤٦).

بعدَهُ، ثم إنْ كانَ تأخيرُه لعذرٍ لم يتمكّن مَعَه مِنَ القضاءِ في تلك الفترةِ؛ فإنَّه ليسَ عليه إلا القضاءُ. وإن كان لغيرِ عذرٍ وجبَ عليه مع القضاءَ إطعامِ مسكين عن كُلِّ يومٍ نصفُ صاعٍ مِنْ قُوتِ البلدِ.

وإذا مَاتَ من عليه القضاءُ قبلَ دخولِ رمضانَ الجديدِ فلا شَيْءَ عليه، لأنَّ له تأخيرَهُ في تلكِ الفترةِ التي مَاتَ فيها، وإن ماتَ بعدَ رمضانَ الجديدِ فإنْ كانَ تأخيرُهُ القضاءَ لعذرٍ كالمرضِ والسفرِ حتَّى أدركَهُ رمضانُ الجديدُ فلا شيءَ عليه أيضاً، وإنْ كان تأخيرُهُ لغيرِ عذرٍ وجبتِ الكفارةُ في تركتِهِ بأنْ يخرجَ عنه إطعامُ مسكينٍ عَنْ كُلِّ يومٍ، وإنْ مَاتَ من عليه صومُ كفارةٍ، كصوم كفارةِ الظهارِ والصومِ الواجبِ عن دمِ المتعةِ في الحجِّ؛ فإنَّه يطعمُ عنه عَنْ كُلِّ يومٍ مسكيناً ولا يُصامُ عنه، ويكونُ الإطعامُ من تركته، لأنَّه صيامٌ لا تدخلُهُ النيابةُ فِي الحياةِ، فكذا بعدَ الموتِ، وهذا هو قولُ أكثرِ أهلِ العلمِ.

وإنْ ماتَ من عليه صومُ نذرٍ استُحبّ لوليه أن يصومَ عنه، لما ثبتَ في الصحيحين: (أنَّ امرأةً جاءتْ إلى النبيِّ ﷺ، فقالتْ: إنِّ أُمِّي ماتَتْ وعليها صيامُ نذرٍ، أفأصومُ عنها، قال: «نَعَم»)[1].

والوليُّ هو الوارثُ، قالَ الإمامُ ابنُ القيمِ رحمهُ اللهُ: يُصامُ عنه النذرُ دونَ الفرضِ الأصليِّ. وهذا مذهبُ أحمدَ وغيرِهِ، والمنصوصُ عنِ ابنِ عباسٍ وعائشةَ، وهو مقتضَى الدليلِ والقياسِ. لأنَّ النذرَ ليسَ واجباً بأصلِ الشرعِ، وإنَّما أوجبَه العبدُ على نفسِهِ فصارَ بمنزلةِ الدين، ولهذا شبَّهه النبيُّ ﷺ بالدينِ.

وأما الصومُ الذي فرضَهُ اللهُ عليه ابتداءً فهو أحدُ أركانِ الإسلامِ فلا تدخلُهُ

---

(١) أخرجه البخاري (رقم ١٩٥٣) ومسلم (١١٤٨).

النيابةُ بحالٍ، كما لا تدخلُ الصلاةَ والشهادتين. فإنَّ المقصودَ منهما طاعةُ العبدِ بنفسِهِ وقيامِهِ بحقِّ العبوديةِ التي خُلِقَ لَها وأُمِرَ بِهَا، وهذا لا يؤدِّيه عنه غيرُهُ ولا يصلِّي عنه غيرُهُ.

وقال شيخُ الإسلامِ ابنُ تيميةَ رحمهُ اللهُ: يُطْعَمُ عنه كلَّ يومٍ مسكينٌ. وبذلك أخذَ أحمدُ وإسحاقُ وغيرُهُمَا، وهو مقتضى النظرِ كما هو موجبُ الأثرِ، فإنَّ النذرَ كان ثابتاً في الذمةِ فيفعلُ بعدَ الموتِ، وأما صومُ رمضانَ فإنَّ الله لم يوجبه على العاجِزِ عنه، بل أمرَ العاجزَ بالفديةِ طعامِ مسكينٍ، والقضاءُ إنما على من قَدَرَ عليه لاَ عَلَى من عَجَزَ عنه، فلا يحتاجُ إلى أن يقضِيَ أحدٌ عن أحدٍ، وأما صومُ النذرِ وغيرِهِ مِنَ المنذوراتِ فيفعلُ عنه بلا خلافٍ للأحاديثِ الصحيحةِ.

وصلَّى اللهُ على نبيِّنا محمدٍ وعلى آلِهِ وصحبِهِ.

* * *

الدرسُ التاسِعُ عشرَ
في صلاةِ التراويحِ وأحكامِهَا

الحمدُ للهِ ربِّ العالمين، شرعَ لعبادِهِ في شهرِ رمضانَ أنواعَ الطاعاتِ وحثَّهم على اغتنامِ الأوقاتِ، والصلاةُ والسلامُ على نبيِّنا محمدٍ، أولِ سابِقٍ إلى الخيراتِ، وعلى آلِهِ وأصحابِهِ، ومن تبعَهُم بإحسانٍ. . . أما بعدُ:

اعلموا وفَّقني اللهُ وإيَّاكُم ـ أنَّ مما شَرَعَهُ لكم نبيُّ الهدىٰ محمدٌ ﷺ في هذا الشهرِ المبارَكِ صلاةَ التراويحِ وهي سنةٌ مؤكدةٌ، سُمِّيَتْ تراويحُ ـ لأنَّ الناسِ كانوا يستريحون فِيها بينَ كُلِّ أربعِ ركعاتٍ[١]، لأنَّهم كانوا يُطِيلُون الصلاةَ، وفِعلُها جماعةً في المسجدِ أفضلُ، فقد صلاَّها النبيُّ ﷺ بأصحابِهِ فِي المسجدِ ليالي ثُمّ تأخرَ عَنِ الصلاةِ بهم خَوْفاً من أن تُفْرَضَ عليهم، كما ثبتَ فِي الصحيحين عن عائشةَ رضي اللهُ عنها أن النبيَّ ﷺ (صلَّى في المسجدِ ذاتَ ليلةٍ، وصلَّى بصلاتِهِ ناسٌ ثم صلَّى مِنَ القابلةِ وكَثُرَ الناسُ، ثم اجتمعوا مِنَ الليلةِ الثالثةِ أو الرابعةِ فلم يخرجْ إليهم، فلما أصبحَ قال: «**قد رأيتُ الَّذِي صنَعْتُم، فلم يَمْنَعْنِي مِنَ الخروجِ إليكم إلاَّ أنِّي خشيتُ أن تفرضَ عليكُم**»[٢]، وذلِكَ في

---

(١) أي: بين كل تسليمتين، لأن التراويح مثنى مثنى، وصلاة التهجد كذلك ـ وقد يغلط بعض أئمة المساجد الذين لا فقه لديهم فلا يسلم بين كل ركعتين في التراويح أو التهجد، وهذا خلاف السنة، وقد نص العلماء على أن من قام إلى ثالثة في التراويح أو في التهجد فهو كمن قام إلى ثالثة في فجر، أي: تبطل صلاته. وسنذكر في آخر الكتاب إن شاء الله جواباً للشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله يرد على هؤلاء ويبين خطأهم.

(٢) أخرجه البخاري (رقم ١١٢٩) ومسلم (رقم ٧٦١).

رمضانَ وفَعَلَها صحابَتُهُ مِنْ بعدِهِ، وتلقتها أمتُهُ بالقبولِ، وقال ﷺ: **«مَنْ قَامَ مَعَ الإمامِ حتَّى ينصرفَ كُتِبَ له قيامُ ليلةٍ»**[(١)]. وقال عليه الصلاةُ والسلامُ: **«من قامَ رمضانَ إيماناً واحتساباً غُفِرَ له ما تقدَّمَ من ذنبِهِ»**[(٢)] متفقٌ عليه، فهي سنةٌ ثابتةٌ لا ينبغي للمسلمِ تركُهَا.

أما عددُ ركعاتِهَا فلم يثبتْ فِيهِ شيءٌ عَنِ النبيِّ ﷺ، والأمرُ في ذلك واسعٌ، قال شيخُ الإسلامِ ابنُ تيميةَ رحمه اللهُ: له أن يصلِّي عشرين ركعةً كما هو المشهورُ من مذهبِ أحمدَ والشافعيِّ، وله أن يصلِّي ستاً وثلاثين كما هو مذهبُ مالكٍ، وله أن يصلِّي إحدى عشرةَ ركعةً وثلاثَ عشرةَ ركعةً وكلٌّ حَسَنٌ، فيكونُ تكثيرُ الركعاتِ أو تقليلُها بحسبِ طولِ القيامِ وقصرِهِ.

وعمرُ رضي اللهُ عنه لما جَمَعَ الناسَ على أُبيٍّ صلَّى بهم عشرين ركعة، والصحابةُ رضي اللهُ عنهم منهم من يقلُّ ومنهم من يكثرُ ـ والحدُّ المحدودُ لا نصَّ عليه مِنَ الشارعِ صحيحٌ، وكثيرٌ مِنَ الأئمةِ ـ أي: أئمةِ المساجدِ ـ في التراويحِ يصلُّونَ صلاةً لا يعقِلُونها ولاَ يطمئنُون في الركوعِ ولا في السجودِ، والطمأنينةُ ركنٌ، والمطلوبُ في الصلاةِ حضورُ القلبِ بين يدي اللهِ تعالى واتعاظُهُ بكلامِ اللهِ إذا يُتْلَى، وهذا لا يحصلُ في العجلةِ المكروهَة، وصلاةُ عشرِ ركعاتٍ مع طولِ القراءَة والطمأنينةِ أولى من عشرين ركعةً مَعَ العجلةِ المكروهةِ، لأنَّ لبَّ الصلاةِ وروحَهَا هو إقبالُ القلبِ على اللهِ عزَّ وجلَّ ورُبَّ قليلٍ خيرٌ مِنْ كثيرٍ، وكذلك ترتيلُ القراءةِ أفضلُ مِنَ السرعةِ، والسرعةُ المباحةُ هي التي

---

(١) أخرجه أبو داود (رقم ١٣٧٥) وابن ماجه (رقم ١٣٢٧) والنسائي (رقم ١٣٦٥، ١٦٠٦) والترمذي (رقم ٨٠٦) وقال: هذا حديث حسن صحيح.

(٢) أخرجه البخاري (رقم ٢٠٠٩) ومسلم (رقم ٧٥٩).

لا يحصلُ معها إسقاطُ شيءٍ مِنَ الحروفِ، فإن أسقطَ بعضَ الحروفِ لأجلِ السرعةِ لم يَجُزْ ذلك ويُنْهَى عنه، وأما إذا قَرَأَ قراءةً بينةً ينتفعُ بها المصلون خلفه فحسنٌ. وقد ذمَّ اللهُ الذين يقرؤون القرآنَ بلا فهمِ معناه. فَقَالَ تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِىَّ﴾ [البقرة: ٧٨]. أي: تلاوةً بلا فَهْمٍ، والمرادُ مِنْ إنزالِ القرآنِ فهم مَعَانِيه والعملُ به لا مجردَ التلاوةِ.

انتهى كلامُهُ رحمهُ اللهُ.

وبعضُ أئمةِ المساجِد لا يصلُّونَ التراويحَ على الوجهِ المشروعِ، لأنهم يُسْرِعُونَ في القراءَةِ سرعةً تخلُّ بأداءِ القرآنِ على الوجه الصحيحِ، ولا يطمئنون فِي القيامِ والركوعِ والسجودِ، والطمأنينةُ ركنٌ مِنْ أركانِ الصلاةِ، ويأخذون بالعددِ الأقلِّ فِي الركعاتِ، فيجمعون بينَ تقليلِ الركعاتِ وتخفيف الصلاةِ وإساءةِ القراءةِ، وهذا تلاعبٌ بالعبادةِ[١]، فيجبُ عليهم أن يتقوا اللهَ ويحسنوا صلاتَهم، ولا يُحْرِمُوا أنفسَهُم وَمَنْ خلفهم مِنْ أداءِ التراويح على الوجهِ المشروعِ[٢].

---

(١) وبعضهم يخرج صوته بالقراءة خارج المسجد بواسطة الميكروفون فيشوش على من حوله من المساجد، وهذا لا يجوز ـ قال شيخ الإسلام ابن تيمية: من كان يقرأ القرآن والناس يصلون تطوعاً فليس له أن يجهر جهراً يشغلهم به، فإن النبي ﷺ خرج على أصحابه وهم يصلون في المسجد فقال: «**يا أيها الناس كلكم يناجي ربه فلا يجهر بعضكم على بعض في القراءة**» انتهى. مجموع الفتاوى (٢٣، ٦١، ٦٢، ٦٣، ٦٤).

(٢) وبعض أئمة المساجد يسرع في القراءة ويطيلها من أجل أن يختم القرآن في أول العشر الأواخر أو وسطها. فإذا ختمه ترك مسجده وسافر للعمرة وخلف مكانه من قد لا يصح للإمامة، وهذا خطأ عظيم ونقص كبير، وتضييع لما وكل إليه من القيام بإمامة المصلين إلى آخر الشهر. فقيامه بذلك واجب عليه والعمرة مستحبة، فكيف يترك واجباً عليه لفعل مستحب؟ وإن بقاءه في مسجده وإكماله لعمله أفضل له من العمرة ـ وبعضهم إذا ختم القرآن خفف الصلاة وقلل القراءة في بقية ليالي الشهر. التي هي ليالي الإعتاق =

وفّقَ اللهُ الجميعَ لما فِيهِ الصلاحُ والفلاحُ.

وصلَّى اللهُ وسلَّم على نبيِّنا محمدٍ وآلِهِ وصحبِهِ.

* * *

= من النار ـ وكأن هؤلاء يرون أن المقصود من التراويح والتهجد هو ختم القرآن لا إحياء هذه الليالي المباركة بالقيام اقتداءً بالنبي ﷺ، وطلباً لفضائلها وهذا جهل منهم وتلاعب بالعبادة ـ ونرجو الله أن يردهم إلى الصواب.

الدرسُ العشرون
في الحثِّ على تعلُّمِ القرآنِ وتلاوَتِهِ
لاسِيَّمَا فِي هذا الشهرِ المبارَكِ

الحمدُ للهِ ذِي الفضلِ والإحسانِ، أنعمَ علينا بنعمٍ لا تُحْصَى وأجلها نعمةُ القرآنِ، وصلَّى اللهُ على نبيِّنا محمدٍ وعلى آلِهِ وأصحابِهِ ومن تبعَهُم على طريقِ الإيمانِ. وسلَّم تسليماً كثيراً. . . أما بعدُ:

عبادَ الله ـ اتقوا اللهَ تعالى ـ واشكُرُوه على مَا منّ به عليكم مِنْ نعمةِ الإيمانِ. وخصَّكم به مِنْ إنزالِ القرآنِ. فهو القرآنُ العظيمُ، والذكرُ الحكيمُ، والصراطُ المستقيمُ. هو كلامُ اللهِ الذي لا يُشْبِهُهُ كلامٌ، ولا يأتيه الباطلُ من بين يديه ولا من خلفِهِ تنزيلٌ مِنْ حكيمٍ حميدٍ، تكفَّلَ اللهُ بحفظِهِ فلا يتطرَّقُ إليه نقصٌ ولا زيادةٌ، مكتوبٌ في اللوحِ المحفوظِ وفي المصاحفِ. محفوظٌ في الصدورِ. متلوٌّ بالألسُنِ، ميسرٌ للتعلُّم والتدبُّرِ ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ۝١٧﴾ [القمر: ١٧]. يستطيعُ حفظَه واستظهارَهُ الصغارُ والأعاجِمُ، لا تَكِلُّ الألسُنُ مِنْ تلاوتِهِ، ولا تَمَلُّ الأسماعُ من حلاوَتِهِ ولذَّتِهِ، ولا تشبعُ العلماءُ مِنْ تدبُّرِهِ والتفقُّه في معانِيهِ، ولا يستطيعُ الإنسُ والجنُّ أن يأتوا بمثلِ أقصرِ سورةٍ منه، لأنه المعجزةُ الخالدةُ، والحجةُ الباقيةُ، أمرَ اللهُ بتلاوَتِهِ وتدبُّرِهِ وجَعَلَهُ مباركاً، فقال تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ۝٢٩﴾ [صٓ: ٢٩].

وقال ﷺ: «مَنْ قَرَأَ حَرْفاً مِنْ كتابِ اللهِ فله حسنةٌ والحسنةُ بعشر أمثالِهَا.

لا أقولُ: ألم حرفٌ ـ ولكنْ ألفٌ حرفٌ ولامٌ حرفٌ، وميمٌ حرفٌ»[١]. رواه الترمذيُّ وقال: حديثٌ حسنٌ صحيحٌ. وقد جعلَ اللهُ ميزةً وفضيلةً لحملةِ القرآنِ العامِلين به على غيرِهِم مِنَ الناسِ، قال ﷺ: «خيرُكُم مَنْ تعلَّم القرآنَ وعلَّمه»[٢]. رواه البخاريُّ. وقال ﷺ: «مثلُ المؤمنِ الَّذي يقرأُ القرآنَ مثلُ الأُتْرُجّةِ ريحُها طيبٌ وطعمُها طيّبٌ، ومثلُ المؤمنِ الَّذي لا يقرأُ القرآنَ مثلُ التمرةِ لا رِيحَ لها وطعمُهَا طيبٌ حلوٌ، ومثلُ المنافِقِ الّذي يقرأُ القرآنَ مثلُ الريحانةِ ريحُها طيبٌ وطعمُهَا مرٌّ، ومثلُ المنافِقِ الّذى لا يقرأُ القرآنَ كمثلُ الحنظلةِ ليسَ لها رِيحٌ وطعمُهَا مرٌّ»[٣]. رواه البخاريُّ ومسلمُ. ففي هذه النصوصِ حثٌّ على تعلُّم القرآنِ أولاً ثُمَّ تلاوتُه وتدبُّره ثانياً. ثُمّ العملُ بِهِ ثالثاً. وقد انقسمَ الناسُ مع القرآنِ إلى أقسامٍ: فمنهم من يتلوه حقَّ تلاوتِهِ ويهتمُّ بدراسَتِه علماً وعملاً. وهؤلاءِ هُمُ السعداءُ. الذين هم أهلُ القرآنِ حقيقةً. ومنهم من أعرضَ عنه فلم يتعلمه ولم يلتفت إليه. وهؤلاءِ قد توعّدَهُم اللهُ بأشدِّ الوعيدِ، فقال تعالى: ﴿ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾ ﴾ [الزخرف، ٣٦].

وقال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾ ﴾ [طه: ١٢٤ـ ١٢٦]. ومِنَ الناسِ من تعلَّم القرآنَ ولكنه أهملَ تلاوَتَه. وهذا هجرانٌ للقرآنِ حرمانٌ للنفسِ مِنَ الأجرِ العظيمِ في تلاوَتِهِ وسببٍ لنسيانه، وقد يدخلُ في قولِهِ تعالى: ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى ﴾

---

(١) أخرجه الترمذي (رقم ٢٩١٠) وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه.
(٢) أخرجه البخاري (رقم ٥٠٢٧).
(٣) أخرجه البخاري (رقم ٥٤٢٧) ومسلم (رقم ٧٩٧).

[طه: ١٢٤]. فإنَّ الإعراضَ عن تلاوَةِ القرآنِ وتعريضَه للنسيانِ خسارةٌ كبيرةٌ، وسببٌ لتسلطِ الشيطانِ على العبدِ. وسببٌ لقسوةِ القلبِ ومِنَ الناسِ من يتلُو القرآن مجردَ تلاوةٍ من غير تدبُّرٍ ولا اعتبارٍ. وهذا لا يستفيدُ من تلاَوَتِهِ فائدةً كبيرةً. وقد ذمَّ اللهُ مَن اقتصرَ على التلاوةِ من غيرِ تفهُّمٍ فَقَالَ سبحانه في اليهودِ: ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٧٨﴾﴾ [البقرة: ٧٨]. أي: يتلونه تِلاوةً مجردَةً عن الفهمِ - فيجبُ على المسلمِ عندَ تلاوتِهِ للقرآنِ أن يحضرَ قلبَه لتفهُّمِهِ على قدرِ استطاعَتِهِ. ولا يكتَفِي بمجردِ سردِهِ وختمِهِ من غيرِ تفهُّمٍ وتأثُّرٍ. وفَّقَ اللهُ الجميعَ لما يحبّه ويرضَاه.

وصلَّى اللهُ وسلَّم على نبيِّنا محمدٍ.

* * *

الدرسُ الحادي والعشرون
في الزكاةِ وأحكامِها[1]

الحمدُ للهِ ربِّ العالمين، جعلَ في أموالِ الأغنياءِ حقًّا للفقراءِ والمساكين والمصارفَ التي بها صلاحُ الدنيا والدين، وصلَّى اللهُ على نبيِّنا محمدٍ وعلى آله وأصحابِهِ والتابعين لهم بإحسانٍ إلى يومِ الدين، وسلِّم تسليماً كثيراً. . . أما بعدُ:

اعلموا أن الزكاةَ هي الركنُ الثالثُ من أركانِ الإسلامِ، وهي المواليةُ للصلاةِ بين تلك الأركانِ، وقرينتُها في الذكرِ في كثيرٍ من آياتِ القرآنِ، حيثُ قرنها اللهُ سبحانه بالصلاةِ في نيِّفٍ وثلاثينَ آيةً ممايدلُّ على أهمِّيتِها، وعظيمِ مكانَتِها، وفيها مصالحُ عظيمةٌ أعظمُها شكرُ اللهِ تعالى وامتثالُ أمرِهِ بالإنفاق مما رزقَ، والحصولُ على وعدِهِ الكريمِ للمنفقين بالأجرِ، ومنها مواساةُ الأغنياءِ لإخوانِهِم الفقراءِ في سدِّ حاجاتِهِم ودفعِ الفاقةِ عنهم.

ومنها تطهيرُ المزكّي مِنَ البخلِ والشحِّ والأخلاقِ الذميمةِ وجعلِهِ في صفوفِ المحسنين الذين يحبُّهم اللهُ ويحبُّهم الناسُ، قَالَ تَعَالىَ: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾ [التوبة: ١٠٣]، وقَال تعالىَ: ﴿وَأَحْسِنُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ۝١٩٥﴾ [البقرة: ١٩٥]. ومنها أنها تسببُ نماءَ المالِ وحلولَ البركةِ فيه،

---

(١) وذلك بمناسبة أن كثيراً من الناس اعتادوا إخراج زكاة أموالهم في شهر رمضان لفضيلة الزمان. نسأل الله لنا ولهم القبول. وهذا إذا كان تمام حول المال يوافق شهر رمضان. أما إذا كان يتم الحول عليه قبل شهر رمضان فإنه يجب إخراج زكاته عند تمام الحول ولا يجوز تأخيرها إلى رمضان.

قال تعالى: ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَىْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٣٩﴾﴾ [سبأ: ٣٩].

وفي الحديثِ الصحيحِ (يقولُ اللهُ تعالى: «**يا ابنُ آدمُ أنفق أُنْفِقْ عليك**»).

ومنعُ الزكاةِ يسببُ أضراراً عظيمةً ـ منها الحرمانُ من هذه المصالحِ المترتبةِ على إخراجِهَا، ومنها تعريضُ المالِ للتلفِ والهلاكِ، ففي الحديث الذي رواه البزارُ عن عائشةَ رضي الله عنها: (ما خالطتِ الزكاةُ مالاً قطُّ إلا أفسدتْهُ)[1]. وأنتم ترون وتسمعون اليومَ ما يصيبُ الأموالَ مِنَ الكوارثِ التي تتلفُها من حريقٍ وغرقٍ ونهبٍ وسلبٍ وخسارةٍ وإفلاسٍ وما يصيبُ الثمارَ مِنَ الآفاتِ التي تقضي عليها أو تنقصُهَا نقصاً ظاهراً، وهذا من عقوباتِ منعِ الزكاةِ.

ومنها: منعُ القطرِ مِنَ السماءِ الذي به حياةُ الناسِ والبهائِم ونموِ الأشجارِ والثمارِ. وفي الحديثِ: «**وما منعَ قومٌ زكاةَ أموالِهِم إلا مُنِعُوا القطرَ مِنَ السماءِ**»[2] كما تشاهدون انحباسَ الأمطارِ عن كثيرٍ مِنَ البلاد وما نتجَ عن ذلك مِنَ الأضرارِ العظيمةِ ـ وهذه عقوباتٌ عاجلةٌ ـ وأما العقوباتُ الآجلةُ فهي أشدُّ من ذلك... قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِى نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ ۖ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [التوبة: ٣٤، ٣٥].

---

(١) أخرجه الحميدي في مسنده (رقم ٢٣٧) وابن عدي في الكامل (٦/ ٢٠٨) والبيهقي في سننه الكبرى (٤/ ١٥٩).

(٢) أخرجه ابن ماجه (رقم ٤٠١٩) والحاكم (٤/ ٥٤٠)، وأبو نعيم في الحلية (٣/ ٣٢٠، ٨/ ٣٣٣ـ ٣٣٤). وقال البوصيري في الزوائد: هذا حديث صالح للعمل به، وقد اختلفوا في ابن أبي مالك وأبيه. وقال الحاكم: صحيح الإسناد. ووافقه الذهبي.

وكلُّ مالٍ لا تُؤدَّى زكاتُهُ فهو كنزٌ يعذبُ به صاحبُهُ يومَ القيامةِ: ويوضحُ ذلك الحديثُ الصحيحُ عن النبيِّ ﷺ، أنه قال: «**ما مِنْ صاحبِ ذهبٍ ولا فضةٍ لا يؤدِّي حقَّها إلاَّ إذا كان يومَ القيامةِ صُفِّحت له صفائحُ مِنْ نارٍ فأحمي عليها في نارِ جهنمَ فيكوىٰ بها جنبُهُ وجبينُهُ وظهرُهُ، كلَّما بردتْ أُعيدتْ له في يومٍ كان مقدارُهُ خمسين ألفَ سنةٍ حتى يُقضى بينَ العبادِ فيرَى سبيلَه إما إلى الجنةِ وإما إلى النارِ**»[(١)].

وقال تعالى: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُم ۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ ۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا۟ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾.

يوضحُ ذلك الحديثُ الصحيحُ عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «**مَنْ أتاهُ اللهُ مالاً فلم يؤدّ زكاتَه مُثِّل له شُجاعاً أقرعَ** [أي: ثُعباناً عظيماً كَريه المنظر] **له زبيبتان يُطوَّقُه يومَ القيامةِ. ثم يأخذُ بلهزمَتَيْه** [يعني: شِدْقيه] **ثم يقولُ: أنا مالُكَ، أنا كنزُكَ**»[(٢)]. هذه عقوبةُ مانعِ الزكاةِ في الآخرةِ قد بيَّنها اللهُ ورسولُهُ، وهي أن المالَ غيرُ المزكَّى يجعلُ صفائحُ تُحمَى في نارِ جهنمَ يُكوى بها جَبْهتُه وجنبُه وظهُره. وجُعِلَ أيضاً ثعباناً عظيماً يُطوّقُ به عنقُهُ ويمسِكُ بِشدْقَيه ويلدغُه ويفرغُ فيه السمَّ الكثيرَ الذي يتألمُ منه جسمُه.

وليس هذا العذابُ يحصلُ في ساعةٍ وينقطعُ، بل يستمرُ خمسين ألفَ سنةٍ، نعوذُ باللهِ من ذلك.

ومانعُ الزكاةِ إذا عُرِفَ عنه ذلك فإنه لا يجوزُ تركُهُ، بل يجبُ الإنكارُ عليه

---

(١) أخرجه مسلم (رقم ٩٨٧).

(٢) أخرجه البخاري (رقم ١٤٠٣).

ونصحُهُ، فإن أصرَّ على منعِهَا وجبَ على وليِّ الأمرِ أن ينظرَ في شأنِهِ، فإنْ كان جاحداً لوجوبِهَا وجبَ أن يستتابَ، فإن تابَ وأدَّى الزكاةَ للهِ، وإلا وجبَ قتلُهُ مرتداً عن دينِ الإسلامِ، وإن كان مُقرًّا بوجوبِهَا ولكنه مَنَعَها بُخلاً، وجبَ تعزيرُهُ وأَخذُها منه قَهْراً، وإن لم يمكنْ أخذُها منه إلا بقتالٍ فإنه يقاتلُ ـ كما قاتلَ الصحابةُ بقيادَةِ أبي بكرٍ الصديقِ رضي اللهُ عنه مانِعِي الزكاةِ بعدَ وفاةِ رسولِ اللهِ ﷺ، حتى خضعوا لدفعِهَا والتزمُوا بحكمِهَا، والحمدُ للهِ ربِّ العالمين.

وصلَّى اللهُ وسلَّم على نبيِّنا محمدٍ وآله وصحبِهِ.

* * *

الدرسُ الثاني والعشرون
في بيانِ ما تجبُ فيه الزكاةُ وحدِّ القدرِ الواجِبِ

الحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ، والصلاةُ والسلامُ على نبيِّنا محمدٍ خاتَمِ النبيين. وعلى آله وأصحابِه والتابعين بإحسانٍ إلى يومِ الدين. . . أما بعد:

اعلموا عبادَ اللهِ أنَّ الأموالَ التي تجبُ فيها الزكاةُ أربعةُ أنواعٍ: نتكلمُ على نوعين منها:

النوعُ الأولُ:

النقدان: الذهبُ والفضةُ وما يقومُ مقامَهُمَا مِنَ الأوراقِ النقديةِ التي يتعاملُ بها الناسُ اليومَ، سواءٌ سُمِّيتْ دراهِمُ أو ريالاتٌ، أو دنانيرُ أو دولاراتُ، أو غيرُ ذلك مِنَ الأسماءِ، فمن كان عندَهُ نصابٌ مِنَ الذهبِ أو الفضةِ[١] أو ما يعادلُ النصابَ من تلك الأوراقِ النقديةِ أو أكثرِ من النصابِ، وحالَ عليه الحولُ فإنه يجبُ فيه الزكاةُ، ومقدارُها ربعُ العشرِ، أي: ريالان ونصفٌ مِنْ كلِّ مائةٍ، سواءٌ ادَّخرَها للتجارةِ أو للنفقةِ أو للزواجِ أو لشراءِ بيتٍ أو سيارةٍ أو غيرِ ذلكَ مِنْ حوائِجِه، وسواءٌ كانتْ هذه النقودُ لكبيرٍ أو لصغيرٍ أو لمجنونٍ فتجبُ الزكاةُ في أموالِ الأيتامِ والقُصَّارِ ويُخرجُها عنهم وليُّهم.

وربحُ الدراهِمِ حولُهُ حولُهَا، فيزكَّى الربحُ مَعَ رأسِ المالِ ولو لم يمضِ على

---

(١) والنصاب من الفضة ستة وخمسون ريالاً بالريال الفضي العربي السعودي، والنصاب من الذهب أحد عشر جنيهاً وثلاثة أسباع الجنيه السعودي. أو ما يعادل هذين المقدارين من الورق النقدي مما يبلغ صرفه قيمتها.

الربحِ إلاَّ مدةً يسيرةً أو لم يمضِ عليه شيءٌ.

والموظفُ الذي يدَّخرُ من مرتَّبِهِ كُلَّ شهرٍ مبلغاً، الأحوطُ له والأسهلُ عليه أن يجعلَ شهراً مِنَ السنةِ كشهرِ رمضانَ وقتاً لإخراجِ زكاةِ ما اجتمع لديه مِنَ النقودِ إلى مثل هذا الشهرِ مِنَ السنةِ القادمةِ ما تَمَّ حولُهُ وما لم يتمْ حولُهُ.

ومن كان له ديونٌ في ذممِ الناسِ سواءٌ كانت قُروضاً أو أثمانَ مبيعاتٍ مؤجلةٍ أو أجوراتٍ، فإنْ كانتْ هذه الديونُ على أناسٍ موسرين باذلين يستطيعُ الحصولَ عليها عندما يطلبُها منهم؛ فإنه يزكِّيها إذا تمَّ لها حولٌ من حينِ العقدِ، سواءٌ قبضَها منهم أو لم يقبضَها كما يزكِّي المالَ الذي بيدِه. وإن كانتْ هذه الديونُ على معسرين أو على مماطِلين ولا يدري هل يحصلُ عليها أم تذهبُ فإنه يزكِّيها إذا قبضها عن سنةٍ واحدةٍ فقط على الأصحِّ. وإذا كان على الإنسانِ ديونٌ للناسِ وعنده نقودٌ فالأصحُّ من قولي العلماءِ أنَّ الدينَ لا يمنعُ وجوبَ الزكاةِ فيما عندَه فيزكِّي ما عنده مِنَ النقودِ.

النوعُ الثاني مِنَ الأموالِ التي تجبُ فيها الزكاةُ:

عروضُ التجارةِ. وهي السلعُ المعروضةُ للبيعِ طلباً للربحِ كالأقمشةِ والسياراتِ والآلياتِ وقطعِ الغيارِ والأراضِي والعماراتِ المعدَّةِ للبيعِ ومحتوياتِ البقَّالاتِ من أنواعِ الأطعمةِ والأشربةِ والمعلباتِ ومحتوياتِ الصيدلياتِ مِنَ الأدويةِ الطبيةِ وأدواتِ البناءِ بأنواعِهَا، وما تحويه المكتباتُ التجاريةُ مِنَ الكتبِ وغيرها، فإنه عند تمامِ الحولِ عليها أو على ثمنِهَا الذي اشتُرِيَتْ به يُقوِّمُها بأن يقدِّرَ قيمتَهَا التي تساويها عند تمامَ الحولِ سواءٌ كانتْ قدر قيمتها التي اشترَاها بها أو أقلّ أو أكثرَ. ولا ينظرُ إلى ما اشتراها به، ثم يخرجُ ربعَ العشرِ مِنَ القيمةِ المقدرةِ. ولا يتركُ شيئاً مما أعدَّ للبيعِ كبيراً كان أو صغيراً

إلا ويقدِّر قيمتَهُ، بأن يجرِّد كلَّ ما عندَهُ ويقوّمه لإخراجِ زكاتِهِ، ولا زكاةَ فيما أعدَّ للتأجيرِ مِنَ العماراتِ، والسياراتِ والدكاكينِ والآلياتِ وغيرِهَا. فلا زكاةَ في نفسِ هذه الأشياء وإنما الزكاةُ في أجرَتِهَا إذا حالَ عليها الحولُ من حِينِ عَقْدِ الإجارَةِ.

ولا زكاةَ على الإنسانِ فيما أعدَّه للاستعمالِ كالمسكنِ والمتجرِ، أي: المحلّ الذي يجلسُ فيه للبيعِ والشراءِ. والسياراتُ التي يركُبها وغيرُ ذلك من مستعملاته، والذي عنده مصنعٌ أو ورشةٌ للحدادةِ أو لإصلاحِ السياراتِ، أو عندَه مطبعةٌ، لا زكاةَ عليه في الآلياتِ التي يستخدمُها للعملِ، وإنما الزكاةُ في الغلةِ التي يحصلُ عليها من ذلك المصنعِ أو الورشةِ أو المطبعةِ بأن يخرجَ ربعَ العشرِ مما حالَ عليه الحولُ مِنَ الدراهِمِ التي يحصلُ عليها من هذه الأشياءِ.

والأسهمُ التي للإنسانِ في الشركاتِ ـ إن كانتْ شركاتُ استثمارٍ كشركاتِ المصانعِ أو شركاتِ النقلِ وشركاتِ الكهرباءِ والأسمنتِ، فهذه تجبُ الزكاةُ في غلَّتها إذا حصلَ المساهِمُ على شيءٍ من غلةِ أسهُمِهِ في الشركةِ فإنه يزكيه ـ وأما الأسهمُ التي له في الأراضِي التجارية ـ فتجبُ عليه زكاةُ أسهُمِهِ منها بأن يقومَ تلك الأراضي عندَ تمامِ حولِهَا ويخرجُ ربعَ عشرِ قيمةِ نصِيبهِ منها.

واعلموا رحمكُمُ اللهُ أنه لابُدَّ مِنَ النيةِ عندَ دفعِ الزكاةِ لأنها عبادةٌ، والعبادةُ لا تصحُّ إلا بنيةٍ لقولِهِ، ﷺ: «**إنَّما الأعمالُ بالنياتِ وإنَّما لكلِّ امرىءٍ ما نَوىَ**»[1] فينوي عند دفعِهَا أنَّها زكاةٌ.

ولو دفعَ دراهِمَ وهو لم يَنْوِهَا زكاةً ثُمَّ نَوَى بعد ذلك لم تجزه، وعلى

---

(١) أخرجه البخاري (رقم ١) ومسلم (رقم ١٩٠٧).

المسلمِ أن يُحصِي ما لديه مِنَ المالِ الذي تجبُ فيه الزكاةُ إحصاءً دقيقاً لئلا يبقى من مالِهِ شيءٌ لم تخرجْ زكاتُهُ فيوجبُ ذلك محقَهُ وتلفَهُ.

ويجوزُ للإنسانِ أن يوكلَ من يحصي مالَهُ ويُخرجُ زكاتَه نيابةً عنه، ويجبُ على المزكِّي أن يخرجَ الزكاةَ طيبةً بها نفسُهُ غيرَ ممتنٍّ بها ولا مستكثرٍ لها ولا كارهٍ لإخراجِهَا، قالَ تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبۡطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلۡمَنِّ وَٱلۡأَذَىٰ﴾ [البقرة: ٢٦٤].

وقال تعالى في المنافقين: ﴿وَلَا يَأۡتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمۡ كُسَالَىٰ وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمۡ كَٰرِهُونَ ۝﴾ [التوبة: ٥٤]. ويستحبُّ أن يدعو عند إخراجِهَا فيقولُ: (اللَّهمَّ اجعلْهَا مغنَماً ولا تجعلْهَا مغرَماً). ويقولُ آخذُها: (آجَرك اللهُ فيمَا أعطيتَ وباركَ لَكَ فيمَا أبقيتَ، وجعلَه لَكَ طُهُوراً)..

فاتقوا اللهَ عبادَ اللهِ في أمورِ دينكِم عامةً وفي زكاةِ أموالِكم خاصةً.

عبادَ اللهِ: وينبغي للإنسانِ الاستكثارُ من صدقةِ التطوعِ أيضاً في هذا الشهرِ الكريمِ، والموسمِ العظيمِ، لحديث أنسٍ: (سُئل النبيُّ ﷺ: أيُّ الصدقَةِ أفضلُ؟ فقالَ: «صدقةٌ في رمضان»)[1] رواه الترمذيُّ وقال ﷺ: «من تصدَّقَ بعدلِ تمرةٍ من كسبٍ طيبٍ، ولا يصعدُ إلى اللهِ إلاَّ الطيبُ، فإنَّ اللهَ يقبلُها بيمينِهِ يُرَبِّيها لصاحِبِها حتَّى تكونَ مثلَ الجبلِ العظيمِ»[2] متفقٌ عليه.

عن أنسٍ مرفوعاً: «إن الصدقةَ لتطفيءُ غضبَ الربِّ، وتدفعُ ميتةَ السوءِ»[3]

---

(١) أخرجه الترمذي (رقم ٦٦٣) وقال: هذه حديث غريب وصدقة بن موسى ليس عندهم بذاك القوي.

(٢) أخرجه البخاري (رقم ١٤١٠) ومسلم (رقم ١٠١٤).

(٣) أخرجه الترمذي (رقم ٦٦٤) وقال: هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه.

والآياتُ والأحاديثُ في هذا كثيرةٌ معروفةٌ .

والصدقةُ في هذا الشهرِ فيها اقتداءً بالرسولِ ﷺ، فقد كان يتضاعفُ جودُهُ فيه أكثرُ من غيره .

نسألُ الله أن يوفقنا وإياكم لما يحبُّه ويرضاه، وأن يشملَنَا بعفوِهِ ومغفرتِهِ ورحمتِهِ .

وصلَّى اللهُ وسلَّم على نبيِّنا محمدٍ وآلِهِ وصحبِهِ أجمعين .

* * *

الدرسُ الثالثُ والعشرون
في أحكامِ الزكاةِ أيضاً

الحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ، لهُ الحمدُ في الآخرةِ والأولى. أغنَى وأقنىَ، ووعدَ من أعطَى واتَّقى وصدَّق بالحسنَى أن ييسره لليسرَى، وتوعّد مَنْ بخلَ واستغنىَ وكذَّبَ بالحسنَى أن ييسرَهُ للعسْرَى، وصلَّى اللهُ على محمدٍ وعلى آلهِ وأصحابِهِ الذين بذلُوا أنفسَهُم وأموالَهُم في سبيلِ اللهِ واستمسَكُوا مِنَ الإسلامِ بالعروةِ الوثقى، وسلَّم تسليماً كثيراً. . . أما بعدُ:

اتقوا اللهَ تعالى واعلموا أنَّ ما تخرجونه مِنَ الزكاةِ وغيرهَا مِنَ الصدقاتِ بنيةٍ خالصةٍ ومن كسبٍ حلالٍ أنه يكونَ قَرضاً حَسَناً تُقرضُونه ربّكم وتجدُونه مُدَّخَراً لكم ومُضَاعفاً أضعافاً كثيرةً. فهو الرصيدُ الباقي والتوفيرُ النافعُ والاستثمارُ المفيدُ. مع ما يُخْلِفُ اللهُ لكُم في الدنيا من نموِّ أموالِكم وحلولِ البركَةِ فيها، فلا تستكثروا مبالغَ الزكاةِ التي تدفعونها، فإن بعضَ الناسِ الذين يملكون الملايين الكثيرةَ قد يستكثرون زكاتَها، ولا ينظرون إلى فضلِ اللهِ عليهم حيثُ ملَّكَهُم هذه الملايين وأنه قادرٌ على أن يسلبها منهم ويحوّلهم إلى فقراء معوزين في أسرعِ لحظةٍ. أو يأخُذَهُم على غرةٍ فيتركونها لغيرهم، فيكون عليهم مسؤوليتها ولغيرِهِم منفعتُها.

ثم اعلموا أن اللهَ سبحانه عيَّنَ مصارفَ للزكاةِ لا يجوزُ ولا يجزىءُ دفعُها في غيرِهَا، قالَ تعالى: ﴿ ۞ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ۖ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ

﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۝٦٠﴾ [التوبة: ٦٠].

فمن كان يملك ما يكفيه ويكفي من يمونهم لمدةِ سنةٍ، أو له إيرادٌ من رواتبٍ أو غيرِهِ يكفيه فهو غنيٌّ لا يجوز ولا يجزيء صرفُ الزكاةِ إليه. ولا يجوز له هو أن يأخذها، وكذلك من كان عندهُ القدرةُ على الكسبِ الذي يكفيه[1]، فإنه لا يجوزُ ولا يجزيءُ دفعُ الزكاةِ إليه ولا يجوزُ له هو أخذها. فلا يجوزُ للمزكّي أن يدفع زكاتَه إلا لمن يغلبُ على الظنِّ أنه من أهلِ الزكاةِ، فقد جاءَ في الحديثِ أنَّ الزكاةَ لا تحلُّ لغنيٍّ ولا لقويٍّ مكتسبٍ. رواه أبو داودَ والنسائيُّ.

وكذا لا يجوزُ صرفُ الزكاةِ في المشاريع الخيريةِ كبناءِ المساجدِ والمدارِسِ وغيرِهَا، وإنما تمولُ هذه المشاريعُ من بيتِ المالِ. أو من التبرعاتِ. فالزكاةُ حقُّ اللهِ شَرَعَه لهذه المصارِفِ المعينةِ لا تجوزُ المحاباةُ بها لمن لا يستحقُّها، ولا أن يجلبَ بها لنفسِهِ نفعاً دنيوياً أو يدفعَ بها عنه ضرراً، ولا أن يقي بها مالَهُ بأن يجعلَها بدلاً من حقٍّ يجبُ عليه لأحدٍ، ولا يجوزُ أن يدفعَ بالزكاةِ عنه مذمَّةً، ولا يجوزُ دفعُهَا إلى أصولِهِ. ولا إلى فروعِهِ، ولا إلى زوجته أو إلى أحدٍ ممن تلزمُهُ نفقتُهُ.

فاتقوا اللهَ عبادَ اللهِ وليكُنْ إخراجُ الزكاةِ وصرفُها وسائِرُ عباداتِكم على مقتضى كتابِ اللهِ وسنةِ رسولِ اللهِ ﷺ.

واعلموا عبادَ اللهِ أن من لا يصرفُ الزكاةَ في مصارِفِهَا الشرعيةِ التي حددها اللهُ في كتابِهِ فإنَّها لا تجزئه ولا تبرأُ ذمتُهُ منها. لأن اللهَ سبحانه هو الذي حدَّد هذه المصارِفَ بنفسِهِ فقالَ: ﴿۞ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا

---

(١) وهناك فرص للكسب موجودة.

وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَـٰرِمِينَ وَفِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦٠﴾ ﴾ [التوبة: ٦٠]. وهذا تعبيرٌ يفيدُ الحصرَ، وهو قصرُ الحكمِ فيما ذُكِرَ ونفيُهُ عمَّا عداه ـ ولو صرَفَها في مصرفٍ واحدٍ من هذه المصارفِ الثمانيةِ أجزأَهُ ذلك ولا يتعينُ عليه استكمالها. بدليلِ أنَّ النبيَّ ﷺ قال لمعاذٍ رضي اللهُ عنه لما بعثَه إلى اليمنِ: «**فأعلِمْهمُ أنَّ اللهَ افترضَ عليهم صدقَةً تؤخذُ مِنْ أغنيائِهم فتردُّ إلى فقرائِهم**»[1] الحديثُ. حيثُ اقتصر على ذكرِ الفقراءِ فيه، فدلَّ على جوازِ الاقتصارِ عليهم وإجزائِهِ.

والحمدُ للهِ ربِّ العالمين وصلَّى اللهُ وسلَّم على نبيِّنا محمدٍ وآله وصحبِهِ أجمعين.

* * *

(١) أخرجه البخاري (رقم ١٤٥٨) ومسلم (رقم ١٩).

الدرسُ الرابعُ والعشرون
في الحثِّ على زيادَةِ الاجتهادِ في الأعمالِ الصالحةِ
في العشرِ الأخيرِ مِنْ رمضانَ

الحمدُ لله الذي فضَّل شهرَ رمضانَ على سائرِ الشهورِ. وخصَّ العشرَ الأواخرَ بعظيمِ الأجورِ. حثَّ على تخصيصِ العشرِ الأواخرِ بمزيد اجتهادٍ في العبادةِ، لأنها ختامُ الشهرِ والأعمالُ بالخواتيمِ. والصلاةُ والسلامُ على نبيِّنا محمدٍ وعلى آله وصحبه وكل من تبعه بإحسانٍ إلى يومِ الدينِ. . . أما بعدُ:

أيها المسلمون، إنكم في عشرٍ مباركةٍ هي العشرُ الأواخرُ من شهرِ رمضانَ، جعلهَا اللهُ موسماً للإعتاقِ مِنَ النارِ، وقد كان النبيُّ ﷺ يخصُّ هذه العشرَ بالاجتهادِ في العملِ أكثرَ من غيرِها كَمَا في صحيحِ مسلمٍ عن عائشةَ رضي اللهُ عنها أن النبيَّ ﷺ كان يجتهدُ في العشرِ الأواخِرِ ما لم يجتهد في غيرها[1]، وفي الصحيحين عنها قالت: كان النبيُّ ﷺ إذا دخلَ العشرُ شدّ مئزَرَه، وأحيَا ليلَهُ، وأيقظَ أهلَهُ[2]، وهذا شاملٌ للاجتهادِ في القراءَةِ والصلاةِ والذكرِ والصدقةِ وغيرِ ذلك. وكان عليه الصلاةُ والسلامُ يتفرغُ في هذه العشرِ لتلك الأعمالِ. فينبغي لك أيُّها المسلمُ الاقتداءُ بنبيِّك فتتفرغُ من أعمالِ الدنيا أو تخففُ منها لتوفِّر وقتاً للاشتغالِ بالطاعةِ في هذه العشرِ المبارَكَة.

---

(١) فعن عائشة رضي الله عنها قالت: «كان رسول الله ﷺ إذا دخل العشر أحيا الليل وأيقظ أهله وجدَّ وشدَّ المئزر» أخرجه مسلم (رقم ١١٧٤). وقالت أيضاً: «كان رسول الله ﷺ يجتهد في العشر الأواخر ما لا يجتهد في غيرها». أخرجه مسلم (رقم ١١٧٥).

(٢) أخرجه البخاري (رقم ٢٠٢٤) ومسلم (رقم ١١٧٤).

ومن خصائِصِ هذه العشرِ الاجتهادُ في قيامِ الليلِ وتطويلِ الصلاةِ بتمديدِ القيامِ والركوعِ والسجودِ وتطويلِ القراءَةِ وإيقاظِ الأهلِ والأولادِ ليشاركوا المسلمين في إظهار هذه الشعيرةِ ويشتركوا في الأجرِ ويتربوا على العبادةِ، وقد غفلَ كثيرٌ مِنَ الناسِ عَنْ أَولادِهِم، فتركوهم يهيمون في الشوارِعِ، ويسهرون للعبِ والسفَهِ، ولا يحترمون هذه الليالي ولا تكونُ لها منزلةٌ في نفوسِهِم. وهذا من سوءِ التربيةِ. وإنه لمن الحرمانِ الواضحِ والخسرانِ المبينِ أن تأتي هذه الليالي وتنتهي وكثيرٌ مِنَ الناسِ في غفلةٍ معرضون. لا يهتمون لها ولا يستفيدون منها، يسهرون الليل كلَّه أو معظمه فيما لا فائدةَ فيه أو فيه فائدةٌ محدودةٌ يمكنُ حصولُهُم عليها في وقتٍ آخر، ويعطلون هذه الليالي عمَّا خُصِّصت له، فإذا جاء وقتُ القيامِ ناموا وفوَّتوا على أنفسِهِم خيراً كثيراً، لعلَّهم لا يدركونه في عامٍ آخر، وقد حمَّلوا أنفسَهُم وأهليهم وأولادَهم أوزاراً ثقيلةً لم يفكروا في سوءِ عاقبَتِها. وقد يقولُ بعضُهُم: إنَّ هذا القيامَ نافلةٌ، وأنا يكفيني المحافظةُ على الفرائِضِ. وقد قالتْ أُمُّ المؤمنين عائشةُ رضي الله عنها لأمثالِ هؤلاءِ: بلغني عن قومٍ يقولون: إن أدَّينا الفرائضَ لم نبالِ أنْ نزدادَ، ولعمري لا يسألهُمُ اللهُ إلاّ عمَّا افترضَ عليهم، ولكنَّهم قومٌ يخطئون بالليلِ والنهارِ، وما أنتم إلاّ من نبيِّكم وما نبيُّكم إلا منكم، واللهِ ما تَرَكَ رسولُ اللهِ ﷺ قيامَ الليلِ.

ومن خصائِصِ هذه العشرِ المبارَكَةِ أنها يُرْجَى فِيها مصادفةُ ليلةِ القدرِ التي قال اللهُ فيها: ﴿لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ۝٣﴾ [القدر: ٣]. وفي الصحيحين عن أبي هريرةَ رضي اللهُ عنه عنِ النبيِّ ﷺ قال: «**مَنْ قامَ ليلةَ القدرِ إيماناً واحتساباً**

غُفِرَ له ما تقدَّم من ذنْبِهِ»[١]. ولا يظفرُ المسلمُ بهذه الليلةِ العظيمةِ إلاَّ إذا قامَ ليالي الشهرَ كلَّها لأنَّها لم تحدد في ليلةٍ معينةٍ منها، وهذا من حكمةِ اللهِ سبحانه لأجلِ أن يكثرَ اجتهادُ العبادِ في تحرِّيها ويقوموا ليالِيَ الشهرِ كلَّها لطلبِهَا فتحصلُ لهم كثرةُ العملِ وكثرةُ الأجرِ، فاجتهدوا رَحمَكُمُ اللهُ في هذه العشرِ التي هي ختامُ الشهرِ، وهي ليالي العتقِ مِنَ النارِ، رُوِيَ عَنِ النبيِّ ﷺ أنه قَالَ عَنْ شهرِ رمضانَ: «**شَهْرٌ أَوَّلُهُ رحمةٌ. وأوسطُهُ مغفرةٌ. وآخرهُ عتقٌ مِنَ النارِ**» فالمسلمُ الذي تمرُّ عليه مواسمُ الرحمةِ والمغفرةِ والعتقِ مِنَ النارِ في هذا الشهرِ وقد بذلَ مجهودَهُ وحفظَ وقتَهُ والتمسَ رِضَى ربِّه، إنَّ هذا المسلمَ حريٌّ أنْ يحوزَ كُلَّ خيراتِ هذا الشهرِ وبركاتِهِ ويفوزَ بنفحاتِهِ، فينالَ الدرجاتِ العاليةَ بما أسلَفَهُ في الأيامِ الخاليةِ. هَذَا ويجبُ التنبيهُ على أنَّ بعضَ أئمةِ المساجدِ هداهُمُ اللهُ يخالفون السنةَ وهديَ السلفِ حيثُ إن السنةَ هي زيادةُ الاجتهاد في هذه العشرِ بجعلِ صلاةِ التراويحَ قسمين، فيصلِّي عشرَ ركعاتٍ في أول الليلِ وعشرَ ركعاتٍ تهجُّداً في آخرِ الليلِ، وتختمُ بالوترِ. لكن بعضَ الأئمةِ في هذا الزمانِ يلغي صلاةَ أولِ الليلِ ويقتصرُ على صلاةِ التهجدِ عشرَ ركعاتٍ أو ثمانِ ركعاتٍ أو يلغي صلاةَ التهجدِ ويقتصر على صلاةِ التراويحِ في أولِ الليلِ ومعنى هذا أنهم لا يزيدُ اجتهادُهُم كما كان النبي ﷺ، يزيدُ اجتهادَه في هذه العشرِ ويحيي ليالهَا بزيادةِ الصلاةِ وتطويلِهَا. وما ذكرناه هو في حقِّ من يصلِّي عشرين ركعةً في كلِّ الشهرِ. أما من يصلِّي في أولِ الشهرِ عشرَ ركعاتٍ فإنه يضيفُ إليها عشراً أخرى في العشرِ الأواخِرِ يتهجَّدُ فيها آخرَ الليلِ.

---

(١) أخرجه البخاري (رقم ١٩٠١) ومسلم (رقم ٧٦٠).

وللشيخِ العلامةِ أبي بطين رسالةٌ في الردِّ على مثلِ هؤلاءِ تَجِدُها في الدررِ السنيةِ (٣/ ١٨١ ـ ١٨٥). وسننقلُها في آخرِ الكتابِ.

نسألُ اللهَ التوفيقَ والقبولَ والعفوَ عنِ التقصيرِ والحمدُ للهِ ربِّ العالمينِ.

وصلّى اللهُ وسلَّم على نبيِّنا محمدٍ وآلِهِ وصحبِهِ.

* * *

الدرسُ الخامسُ والعشرون
في بيانِ أحكامِ الاعتكافِ

الحمدُ للهِ وحدَه، والصلاةُ على نبيِّنا محمدٍ الَّذي لا نبيَّ بعدَهُ، وعلى آلِهِ وصحبِهِ. . أما بعدُ:

اعلموا أن هناكَ عبادةً عظيمةً تتعلَّقُ بالصيامِ وبالعشرِ الأواخِرِ وهي: عبادةُ الاعتكافِ، وقد ختمَ اللهُ به آياتِ الصيامِ حيثُ قال سبحانه: ﴿ وَلَا تُبَٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَٰكِفُونَ فِى ٱلْمَسَٰجِدِ ﴾ [البقرة: ١٨٧].

والاعتكافُ لغةً: لزومُ الشيءِ والمكثُ عندَهُ.

واصطلاحاً: لزومُ المسجدِ لطاعةِ اللهِ، ويُسمَّى جواراً، وهو سنةٌ وقربةٌ بالكتابِ والسنةِ والإجماعِ، وهو مِنَ الشرائعِ القديمةِ، وفيه تقرُّبٌ إلى اللهِ تعالى بالمكثِ في بيتٍ من بيوتِهِ وحبسٌ للنفسِ على عبادَةِ اللهِ، وقطعٌ للعلائِقِ عَنِ الخلائِقِ للاتصالِ بالخالِقِ، وإخلاءٌ للقلبِ مِنَ الشواغِلِ عن ذكرِ اللهِ، والتفرغُ لعبادَةِ اللهِ بالتفكرِ والذكرِ وقراءةِ القرآنِ والصلاةِ والدعاءِ والتوبةِ والاستغفارِ، والاعتكافُ مسنونٌ كلَّ وقتٍ ولكنه في رمضانَ آكدُ. لفعلِهِ عليه الصلاةُ والسلامُ ومداومَتِهِ عليه، ففي الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها: (كانَ رسولُ اللهِ ﷺ يعتكفُ العشرَ الأواخرَ مِنْ رمضانَ حتَّى توفَّاه اللهُ)(١). وقد اعتكفَ أزواجُهُ رضي اللهُ عنهن مَعَه وبعده، ففي الصحيحين عن عائشةَ رضي اللهُ عنها قالتْ: ثم اعتكفَ أزواجُهُ مِنْ بعدِهِ واعتكفْنَ معه واستترْنَ بالأخبيةِ، وأفضلُ الاعتكافِ في

---

(١) أخرجه البخاري (رقم ٢٠٢٦) ومسلم (رقم ١١٧٢).

رمضانَ الاعتكافُ في العشرِ الأواخِرِ، لأنَّه ﷺ داومَ عليه إلى وفاتِهِ، لقولِ عائشةَ رضي اللهُ عنها: (كان يعتكفُ العشرَ الأواخِرَ مِنْ رمضانَ حتَّى توفَّاه اللهُ). ولأنَّ العشرَ الأواخرِ أرجَى لتحرِّي ليلةَ القدرِ.

والاعتكافُ عملٌ وعبادةٌ لا يصحُّ إلاَّ بشروطٍ:

الأول: النيةُ لقولِهِ ﷺ: «**إنَّما الأعمالُ بالنياتِ**»(١).

الثاني: أن يكونَ في مسجدٍ، لقوله تعالى: ﴿ **وَأَنتُمْ عَٰكِفُونَ فِى ٱلْمَسَٰجِدِ** ﴾ [البقرة: ١٨٧]. فوصفَ المعتكفَ بكونِهِ في المسجِدِ، فلو صحَّ في غيرِهِ لم يختصّ تحريمُ المباشَرَةِ فيه، إذْ هِيَ محرمةٌ في الاعتكافِ مطلقاً، ولأنَّه ﷺ كان يعتكفُ في مسجِدِهِ وفعلُهُ خرجَ بياناً للمشروعِ.

الثالث: أن يكون المسجدُ الذي اعتكفَ فيهُ تقامُ فيه صلاةُ الجماعةِ لما رَوَىَ أبو داودَ عن عائشةَ: «**ولا اعتكافَ إلاَّ في مسجدِ جماعةٍ**»(٢) ولأنَّ الاعتكافَ في غيرِ المسجدِ الَّذي تُقامُ فيه الجماعةُ يؤدِّي إما إلى تركِ الجماعَةِ وإما إلى تكررِ خروجِ المعتكفِ كثيراً مَعَ إمكانِ التحرُّزِ من ذلك وهو منافٍ للاعتكافِ، ولا يجوزُ للمعتكفِ الخروجُ من معتكِفِه إلاَّ لِمَا لابُدَّ منه، وكان ﷺ لا يدخلُ البيتَ إلا لحاجةِ الإنسانِ، ولا يعودُ مريضاً ولا يشهدُ جنازةً إلا إنْ كان قَدِ اشترطَ ذلك في ابتداءِ اعتكافِهِ.

ويحرمُ على المعتكفِ مباشرةُ زوجتِهِ لقولِهِ تعالى: ﴿ **وَلَا تُبَٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَٰكِفُونَ فِى ٱلْمَسَٰجِدِ** ﴾ [البقرة: ١٨٧].

أي: ما دُمْتُم عاكفين، ويستحبُّ اشتغالُهُ بذكرِ اللهِ مِنْ صلاةٍ وقراءَةٍ وذكرٍ،

---

(١) أخرجه البخاري (رقم ١) ومسلم (رقم ١٩٠٧).

(٢) أخرجه أبو داود (رقم ٢٤٧٣) والبيهقي في السنن الكبرى (٤/ ٣١٥).

واجتنابِ ما لا يعنِيه لقولِهِ ﷺ: «**مِنْ حُسنِ إسلامِ المرءِ تركُهُ مَالا يعنِيه**»[١]. وله أن يتحدثَ مع من يأتِيَهُ ما لم يكثرْ، ولا بأسَ أن يتنظفَ ويتطيبَ، وله الخروجُ لما لابُدَّ منه، وكان النبيُّ لا يدخلُ البيتَ إلا لحاجةِ الإنسانِ ـ متفقٌ عليه ـ فله أن يخرجَ لقضاءِ الحاجةِ والطهارةِ الواجبةِ وإحضارِ الطعامِ والشرابِ إذا لم يكُنْ له من يأتِيَ بهما. هذا هو الاعتكافُ المشروعُ، وهذه بعضُ أحكامِهِ. ونسألُ اللهَ لنا ولجميعِ المسلمين التوفيقَ للعلمِ النافعِ والعملِ الصالحِ (إنه قريبٌ مجيبٌ).

والحمدُ للهِ ربِّ العالمين وصلَّى اللهُ وسلَّم على نبينا محمدٍ وآلِهِ وصحبه.

* * *

---

(١) أخرجه الترمذي (رقم ٢٣١٧) وابن ماجه (رقم ٣٩٧٦)، وأحمد في المسند (١/ ٢٠١)، والحاكم في التاريخ (٢/ ٢٣٧)، والطبراني في الأوسط (رقم ٢٩٠٢) وفي الكبير (٣/ ١٣٨ رقم ٢٨٨٦).

الدرسُ السادسُ والعشرون
في بيانِ فضلِ ليلة القدرِ والحثِّ على الاجتهادِ فيها

الحمدُ للهِ فضَّلَ شهرَ رمضانَ على غيرِهِ مِنَ الشهورِ، وخصَّه بليلةِ القدرِ، التي هي خيرٌ مِنْ ألفِ شهرٍ، والصلاةُ والسلامُ على نبيِّنا محمدٍ وآلِهِ وصحبِهِ. أما بعدُ:

قالَ اللهُ تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ ۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ﴿٣﴾ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴿٤﴾﴾ [الدخان: ٣، ٤]. وقال تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴿١﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ﴿٢﴾ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴿٣﴾ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ﴿٤﴾ سَلَٰمٌ هِىَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ ﴿٥﴾﴾ [القدر: ١ ـ ٥].

وهي في شهرِ رمضانَ المباركِ لقولِه تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ﴾ [البقرة: ١٨٥]. وتُرجَى في العشرِ الأواخِرِ منه لقولِ النبيِّ ﷺ: «**تحرّوا ليلةَ القدرِ في العشرِ الأواخِرِ مِنْ رمضانَ**»[١] متفقٌ عليه، فينبغي الاجتهادُ في كلِّ ليالي العشرِ طلباً لهذه الليلةِ، فقد قالَ النبيُّ ﷺ: «**من قامَ ليلةَ القدرِ إيماناً واحتساباً غُفِرَ له ما تقدَّم من ذنبِهِ**».

وأخبرَ تعالى أنها خيرٌ مِنْ ألفِ شهرٍ وسُمِّيتْ ليلةُ القدرِ لأنه يُقَدَّرُ فيها ما يكونُ في تلك السنةِ لقولِهِ تعالى: ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴿٤﴾﴾ [الدخان: ٤]. وهو التقديرُ السنوي، وهو التقديرُ الخاصُّ، أما التقديرُ العامُّ فهو متقدَّمٌ عل خلقِ السمواتِ والأرضِ بخمسين ألف سنةٍ، كما صحَّت بذلك الأحاديثُ، وقيلَ:

---

(١) أخرجه البخاري (رقم ٢٠٢٠) ومسلم (رقم ١١٦٩).

سُمِّيت ليلةُ القدرِ لِعظَمِ قدرِهَا وشرفِهَا ومعنى قولِه تعالى: ﴿خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ۝٣﴾ [القدر: ٤]، أي: قيامُها والعملُ فيها خيرٌ مِنَ العملِ في ألفِ شهرٍ خالية منها. وطلبُهَا في أوتارِ العشر آكدُ، لقولِ النبيِّ ﷺ: «**اطلبوها في العشرِ الأواخِرِ في ثلاثٍ يَبْقينَ أو سَبْعٍ يبقين أو تِسْعٍ يَبْقِينَ**»[1]. وليلةُ سبعٍ وعشرين أرجاها لقولِ كثيرٍ مِنَ الصحابةِ: إنها ليلةُ سبعٍ وعشرين، منهم ابنِ عباسٍ وأبي بنِ كعبٍ وغيرِهِمَا ـ وحكمةُ إخفائِهَا ليجتهدَ المسلمون في العبادةِ في جميعِ ليالي العشرِ، كما أخفيت ساعةُ الإجابةِ من يومِ الجمعةِ ليجتهدَ المسلمُ في جميعِ اليومِ. ويستحبُّ للمسلمِ أن يكثرَ فِيهَا مِنَ الدعاءِ. لأنَّ الدعاءَ فيها مستجابٌ ويدعو بما وَرَدَ عن عائشةَ رضي اللهُ عنها قالت: يا رسولَ الله، إن وافقتها فبمَ أدعو؟ قال: «قولي: **اللَّهمَّ إنك عفوٌّ تحبُّ العفوَ فاعفُ عنِّي**»[2]. رواه أحمدُ وابنُ ماجه.

فيأيُّها المسلمون: اجتهدوا في هذه الليلةِ المباركةِ بالصلاةِ والدعاءِ والاستغفارِ والأعمالِ الصالحةِ فإنها فرصةُ العمرِ، والفرصُ لا تدومُ، فإنَّ الله سبحانه أخبر أنها خيرٌ من ألفِ شهرٍ، وألفُ الشهرِ تزيدُ على ثمانين عاماً، وهي عمرٌ طويلٌ لو قضاه الإنسانُ كلَّه في طاعةِ اللهِ. فليلةٌ واحدةٌ وهي ليلةُ القدرِ خيرٌ منه، وهذا فضلٌ عظيمٌ، وهذه الليلةُ في رمضانَ قطعاً وفي العشرِ الأخيرِ منه آكدُ، وإذا اجتهدَ المسلمُ في كلِّ ليالي رمضانَ فقد صادف ليلةَ القدرِ قطعاً وَرُجِي له الحصولُ على خَيْرِهَا.

---

(١) أخرجه البخاري (رقم ٢٠٢١، ٢٠٢٢) بلفظ قريب.

(٢) أخرجه الترمذي (رقم ٣٥١٣) وابن ماجه (رقم ٣٨٥٠)، والحاكم (١/ ٥٣٠)، وقال: صحيح على شرط الشيخين. ووافقه الذهبي.

فأيُّ فضلٍ أعظمُ من هذا الفضلِ لمن وفّقه اللهُ. فاحرصوا رحمكم اللهُ على طلب هذه الليلةِ، واجتهدوا بالأعمالِ الصالحةِ لتفوزوا بثوابِهَا، فإن المحرومَ من حُرِمَ الثوابَ. ومن تمرُّ عليه مواسمُ المغفرةِ ويبقَى مُحَمَّلاً بذنوبِهِ بسببِ غفلتِه وإعراضِهِ وعدمِ مبالاته فإنه محرومٌ. أيُّها العاصِي تُبْ إلى ربِّكَ واسأله المغفرةَ فقد فَتحَ لك بابَ التوبةِ، ودعاك إليها وجعلَ لك مواسمَ للخيرِ تُضاعفُ فيها الحسناتُ وتُمْحَى فيها السيئاتُ فَخُذْ لنفسِكَ بأسبابِ النجاةِ.

والحمدُ للهِ ربِّ العالمين، وصلَّى اللهُ وسلَّم على نبيِّنا محمدٍ وآلِهِ وصحبه.

* * *

الدرسُ السابعُ والعشرون
في بيانِ ما يُشْرَعُ في ختامِ الشهرِ

الحمدُ للهِ الذي تتم بنعمته الصالحاتُ، جعلَ لكلِّ موجودٍ في هذه الدنيا زوالاً، ولكلِّ مقيمٍ انتقالاً، ليعتبرَ بذلك أهلُ الإيمانِ، فيبادروا بالأعمالِ ما داموا في زمنِ الإمهالِ، ولا يغتروا بطولِ الآمالِ. وصلَّى اللهُ على نبيِّنا محمدٍ وأصحابه خيرَ صحبٍ وآلٍ، وسلَّم تسليماً كثيراً. . . أما بعدُ:

عبادَ الله تفكروا في سرعةِ مرورِ الليالي والأيامِ، واعلموا أنَّها تنقصُ بمرورها أعمارُكُم، وتطوى بها صحائِفُ أعمالِكم، فبادروا بالتوبةِ والأعمالِ الصالحةِ قبلَ انقضاءِ الفرصةِ السانحةِ.

عبادَ اللهِ: كنتم بالأمسِ القريبِ تستقبلون شهرَ رمضانَ المباركَ، واليومَ تودّعُونه مرتحلاً عنكم بما أودعتموه، شاهداً عليكُم بما عملتمُوه، فهنيئاً لمن كان شاهداً له عندَ اللهِ بالخيرِ، شافعاً له بدخولِ الجنةِ والعتقِ مِنَ النارِ، وويلٌ لمن كَانَ شاهداً عليه بسوءِ صنيعِه. شاكياً إلى ربِّه من تفريطِهِ فيه وتضييعه، فودعوا شهرَ الصيامِ والقيامِ بخيرِ ختامٍ. فإنَّ الأعمالَ بالخواتِيمِ، فمَنْ كان مُحْسناً في شهرِهِ فعليه الإتمامُ، ومن كان مسيئاً فعليه بالتوبةِ والعملِ الصالِحِ فيما بَقِيَ له مِنَ الأيامِ، فربّما لا يعودُ عليه رمضانُ بعدَ هذا العامِ، فاختمُوه بخيرٍ واستمروا على مواصلةِ الأعمالِ الصالحةِ التي كنتم تؤدّونها فيه في بقيةِ الشهورِ، فإنَّ ربَّ الشهورِ واحدٌ وهو مُطَّلِعٌ عليكم وشاهِدٌ. وقد أمركُم بطاعَتِهِ مَدَى الحياةِ، ومن كان يعبدُ شهرَ رمضانَ فإنَّ شهرَ رمضانَ قد انقضىَ وفات، ومن كان

يعبدُ اللهَ فإنَّ الله حيٌّ لا يموتُ، فليستمرْ على عبادَتِهِ في جميعِ الأوقاتِ، فإن بعضَ الناسِ يتعبدون في شهرِ رمضانَ خاصةً، فيحافِظونَ فيه على الصلواتِ في المساجدِ ويُكثِرُونَ من تلاوةِ القرآنِ ويتصدَّقون من أموالِهِم، فإذا انتهى رمضانُ تكاسَلُوا عَنِ الطاعةِ، وربما تركُوا الجمعةَ والجماعةَ فهدَّموا ما بَنَوْه، ونَقَضَوا ما أَبْرمُوه، وكأنهم يظنون أنَّ اجتهادَهُم في رمضانَ يُكَفِّرُ عنهم ما يَجْرِي منهم في السنةِ مِنَ القبائحِ والموبقاتِ، وتركِ الواجباتِ، وفعلِ المحرماتِ، ولم يعلموا أنَّ تكفيرَ رمضانَ وغيرَه للسيئاتِ مقيدٌ باجتنابِ الكبائرِ والموبقاتِ، قال تعالى: ﴿ إِن تَجْتَنِبُوا كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾ [النساء: ٣١].

وقال النبيُّ ﷺ: «**الصلواتُ الخمسُ، والجمعةُ إلى الجمعةِ، ورمضانُ إلى رمضانَ كفارةٌ لما بينهُنّ إذا اجتُنِبَتِ الكبائرُ**»(١).

وأيُّ كبيرةٍ عدا الشرك أعظمُ مِنْ إضاعةِ الصلاةِ، وقد صارتْ إضاعَتُها عادةً مألوفةً عندَ بعضِ الناسِ.

إنَّ اجتهادَ هؤلاءِ في رمضانَ لا ينفعُهُم شيئاً عندَ اللهِ إذا هم أتْبَعُوه بالمعاصِي من تركِ الواجباتِ وفعلِ المحرماتِ.

قد سُئِلَ بعضُ السلفِ عن قومٍ يجتهدون في شهرِ رمضانَ، فإذا انقضى ضَيَّعُوا وأساءوا، فقالَ: بِئْسَ القومِ لا يعرفون اللهَ إلاّ في رمضانَ. نعم لأنَّ من عرفَ اللهَ خافَهُ في كُلِّ الزمانِ.

وبعضُ الناسِ قد يصومُ رمضانَ ويُصلِّي فيه ويُظهرُ الخيرَ ويتركُ المعاصي لا إيماناً واحتساباً، وإنما يفعلُ ذلك من بابِ المجاملةِ والمجاراةِ للمجتمعِ،

---

(١) أخرجه مسلم (١٦/٢٣٣).

لأنه يعتبرُ هذا مِنَ التقاليدِ الاجتماعيةِ، وهذا هو النفاقُ الأكبرُ فإنَّ المنافقين كانوا يُراءون الناسَ فيما يتظاهرون به مِنَ العبادةِ.

وهذا يعتبرُ شهرَ رمضانَ سِجْناً زَمَنياً ينتظرُ انقضاءَه لينقضَّ على المعاصِي والمحرماتِ، يفرحُ بانقضاءِ رمضانَ لأجلِ الإفراجِ عنه من سِجْنِهِ.

روىَ ابنُ خزيمةَ في صحيحهِ عن أبي هريرةَ رضي اللهُ عنه عن رسولِ اللهِ ﷺ قال: «**أظلّكم شهرُكُم هذا بمحلوفِ رسولِ اللهِ ﷺ، ما مرَّ بالمسلمين شهرٌ خيرٌ لهم منه، ولا مرَّ بالمنافقين شهرٌ شرٌّ لهم منه، بمحلوفِ رسولِ اللهِ ﷺ، إن اللهَ ليكتبَ أجرَهُ ونوافِلَهُ قبلَ أنْ يدخله، ويكتبَ وزرَهُ وشقاءَهُ قبلَ أنْ يدخله، وذلك أنَّ المؤمنَ يُعِدُ فيه القوتَ والنفقةَ لعبادَةِ اللهِ، ويعدُّ فيه المنافقُ اتِّباعَ غفلاتِ المؤمنين واتّباع عوراتِهم فغنم يغنمه المؤمنُ**»[1] الحديثُ.

والمؤمنُ يفرحُ بانتهاءِ الشهرِ لأنه استعملَهُ في العبادَةِ والطاعةِ فهو يرجو أجرَهُ وفضائِلَهُ، والمنافقُ يفرحُ بانتهاءِ الشهرِ لينطلقَ إلى المعاصِي والشهواتِ التي كان مَسْجُوناً عنها في رمضانَ، ولذلك فإنَّ المؤمنَ يتبعَ شهرَ رمضانَ بالاستغفارِ والتكبيرِ والعبادَةِ.

والمنافقُ يتبعه بالمعاصِي واللهوِ وحفلاتِ الغناءِ والمعازِفِ والطبولِ فَرَحاً بفراقِهِ. فاتَّقوا اللهَ عبادَ اللهِ وودِّعُوا شهرَكُم بالتوبةِ والاستغفارِ.

وصلَّى اللهُ على نبيِّنا محمدٍ.

---

(١) أخرجه ابن خزيمة في صحيحه (رقم ١٨٨٤) وأحمد في المسند (٢/ ٥٢٤) والبيهقي في سننه الكبرى (٤/ ٣٠٤) وشعب الإيمان (٧/ ٢١٤ ـ ٢١٥ رقم ٣٣٣٥).

الدرسُ الثامنُ والعشرون
في بيانِ ما يُشْرَعُ في ختامِ الشهرِ

الحمدُ للهِ الَّذي منَّ علينَا بإكمالِ شهرِ الصيامِ، ووفَّق من شاءَ فيه لاغتنامِ ما فيه مِنَ الخيراتِ العظامِ. وصلَّى اللهُ على نبيِّنا محمدٍ وعلى آله وأصحابِهِ البررةِ الكرامِ، وسلَّم تسليماً كثيراً.

عبادَ اللهِ: اتقوا اللهَ تعالى في سائِرِ الليالي والأيامِ، فإنه رقيبٌ لا يغفل قيومٌ لا ينامُ.

عبادَ اللهِ: مما شرعَهُ اللهُ لكُمْ فِي ختامِ هذا الشهرِ المباركِ صلاةَ العيدِ شُكْراً للهِ تعالى على أداءِ فريضةِ الصيامِ، كما شرعَ اللهُ صلاةَ عيدِ الأضحى شُكْراً له على أداءِ فريضةِ الحجِّ. فهُمَا عِيدَا أهلِ الإسلامِ، فقد صحَّ عنِ النبيِّ ﷺ أنه لما قَدِمَ المدينةَ كان لأهلِهَا يومان يلعبون فيهما قال ﷺ: «**قد أبدلَكُم اللهُ بهما خيراً منهما: يومَ النحرِ ويومَ الفطرِ**»[1]. فلا يجوزُ الزيادةُ على هذين العيدين بإحداثِ أعيادٍ أخرى: كأعيادِ الموالِدِ والأعيادِ الوطنيةِ والقوميةِ؛ لأنها أعيادٌ جاهليةٌ سواءٌ سُمِّيت أعياداً أو ذكرياتٍ أو أياماً أو أسابيعَ أو أعواماً. وَسُمِّي العيدُ في الإسلام عيداً لأنه يعودُ ويتكررُ كُلَّ عامٍ بالفرحِ والسرورِ بما يسّرَ اللهُ مِنْ عبادَةِ الصيامِ والحجِّ اللذين هما ركنانِ مِنْ أركانِ الإسلامِ.

---

(١) أخرجه أبو داود (رقم ١١٣٤) وأبو يعلى في مسنده (٦/ ٤٥٢ رقم ٣٨٤١) والبغوي في شرح السنة (٤/ ٢٩٢ رقم ١٠٩٨)، وأحمد (٣/ ١٧٨، ٢٥٠)، والحاكم في المستدرك (١/ ٢٩٤) والبيهقي في السنن الكبرى (٣/ ٢٧٧).

ولأنَّ اللهَ سبحانه يعودُ فيهما على عبادِهِ بالإحسانِ والعتقِ مِنَ النيران، وقد أمرَ النبيُّ ﷺ بالخروجِ العامّ لصلاةِ العيدِ حتَّى النساء فيُسَنُّ للنساءِ حضورُهَا غيرِ متطيباتٍ ولا لابساتٍ لثيابِ زينةٍ وشهرةٍ، ولا يختلطن بالرجالِ، والحائضُ تخرجُ لحضورِ دعوةِ المسلمين وتعتزلُ المصلَّى، قالت أمُّ عطيةَ رضي اللهُ عنها: (كُنَّا نؤمرُ أن نخرجَ يومَ العيدِ حتَّى تخرجَ البكرُ من خدرِهَا وحتَّى تخرجَ الحُيَّضُ، فيكُنَّ خلفَ النساءِ فيكبرنّ بتكبيرهم ويدعون بدعائهم، يرجون خيرَ ذلك اليومِ وطُهْرَتَهُ).

والخروجُ لصلاةِ العيدِ إظهارٌ لشعائِرَ الإسلامِ وعَلَمٌ مِنْ أعلامِهِ الظاهِرَةِ، فاحرصوا على حضورِهَا رحِمَكُمُ اللهُ فإنه مِنْ مُكمِّلاتِ أحكامِ هذا الشهرِ المباركِ. واحرصوا على الخشوعِ وغضِّ البصرِ وعدمِ إسبالِ الثيابِ على حفظِ اللسانِ مِنَ اللغوِ والرفثِ وقولِ الزورِ، وحفظِ السمعِ مِنَ استماعِ القِيلِ والقالِ والأغانِي والمعازِفِ والمزاميرِ وحضورِ حفلاتِ السمرِ واللهوِ واللعبِ التي يُقيمُها بعضُ الجهالِ، فإنَّ الطاعةَ تتبعُ بالطاعةِ لا بضدِّها. ولهذا شَرَعَ النبيُّ ﷺ لأمَّتِهِ اتباعَ صومِ شهرِ رمضانَ بصومِ ستةِ أيامٍ مِنْ شوالٍ، فقد روىَ الإمامُ مسلمٌ عنِ النبيِّ ﷺ أنه قال: «**مَنْ صَامَ رَمَضانَ وأَتْبَعَهُ بستٍّ مِنْ شوالٍ فكأنَّما صامَ الدهرَ**»[1] يعني: في الأجرِ والثوابِ والمضاعفةِ، لأنَّ الحسنةَ بعشرِ أمثالِهَا، فرمضانُ عَنْ عشرةِ أشهرٍ وستةُ الأيامِ مِنْ شوالٍ عنْ شهرين. وهذه أشهرُ السنةِ كأنَّما صَامَهَا المسلمُ كلَّها إذا صامَ رمضانَ وأتبعَه ستًّا مِنْ شوالٍ. فاحرِصُوا رحمَكُمُ اللهُ على صيامِ هذه الأيامِ الستةِ لتحظَوا بهذا الثوابِ العظيمِ.

وصلَّى اللهُ على نبيِّنا محمَّدٍ وآلِهِ وصحبِهِ أجمعين.

---

(١) أخرجه مسلم (رقم ١١٦٤) وأبو داود (رقم ٢٤٣٣)، والترمذي (رقم ٧٥٩) وابن ماجه (رقم ١٧١٦).

الدرسُ التاسِعُ والعشرون
في بيانِ أحكامِ صدقةِ الفطرِ

الحمدُ للهِ الَّذي بنعمتِهِ تتمُّ الصالحاتُ، والصلاةُ والسلامُ على نبيِّنا محمَّدٍ أوَّلِ سابقٍ إلى الخيراتِ، وعلى آلِهِ وأصحابِهِ ومن تمسَّك بسنَّتِهِ إلى يومِ الدينِ.

اعلموا أنَّ صدقةَ الفطرِ قَدْ جَعَلَها اللهُ ختامَ الصيامِ، ونحمدُ اللهَ على التوفيقِ للتمامِ. ونسألُهُ القبولَ وأنْ يجعلَنَا مِنَ العُتقاءِ مِنَ النارِ فِي الختامِ.

أيُّها المسلمون:

لقدْ شرعَ اللهُ لكُمْ فِي ختامِ هذا الشهرِ العظيمِ عباداتٍ تُزِيدُكُم مِنَ اللهِ قُرْباً، فشرعَ لكُم صدقةَ الفطرِ طُهْرَةً للصائمين مِنَ اللغوِ والإثمِ، فَرَضَها رسولُ اللهِ ﷺ على الصغيرِ والكبيرِ والذكرِ والأنثى والحرِّ والعبدِ. وهي زكاةٌ للبدنِ وطُعْمَةٌ للمسكينِ ومواساةٌ للفقيرِ، يخرجُهَا المسلمُ عن نفسِهِ وعمّن تلزمُه مؤنَـتُه مِنْ زوجةٍ وأولادٍ وسائرِ من تلزمه نفقتُهُم، ويُستحَبُّ إخراجُها عَنِ الحملِ ـ ومحلُّ إخراجِها البلدُ الَّذي يُوافِيه تمامُ الشهرِ وهو فِيهِ[1] وإنْ كان من يلزمُه أن يخرجَ عنهم في بلدٍ آخرٍ غيرِ بلدِه الَّذي هو فيه أخرَج فطرتَهُم مَعَ فطرتِه فِي ذلك البلدِ. ويجوزُ أن يعمدهم ليخرجوا عنه وعنهم في بلدِهِم. ووقتُ إخراجِهَا يبدأُ بغروبِ الشمسِ ليلةَ العيدِ ويستمرُّ إلى صلاةِ العيدِ. ويجوزُ تعجيلُها قبلَ العيدِ بيومٍ أو

---

(١) ولا يجوز نقلها إلى بلد آخر مادام في بلده مستحق لها، فإن لم يكن في بلده مستحق نقلها إلى فقراء أقرب بلد إليه، وفقراء البلد هم من كان مستوطناً فيه أو جاء إليه من بلد آخر.

يومين.

وتأخيرُ إخراجِهَا إلى صباحِ العيدِ قبلَ صلاةَ العيدِ أفضلُ، وإنْ أَخَّرَ إخراجَهُا عن صلاةِ العيدِ مِنْ غيرِ عذرٍ، أخرَجَها في بقيةِ اليومِ، فإنْ لم يخرِجْهَا في يومِ العيدِ لزمه إخراجَها بعدَه قضاءً، فتبينَ بذلك أنه لابُدَّ من إخراجِ صدقةِ الفطرِ في حقِّ المستطيعِ، وأنَّ وقتَ الإخراجِ ينقسمُ إلى وقتِ جوازٍ وهو ما قَبْلَ العيدِ بيومٍ أو يومين.

ووقتِ فضيلةٍ وهو ما بَيْنَ غروبِ الشمسِ ليلةَ العيدِ إلى صلاةِ العيدِ.

ووقتِ إجزاءٍ، وهو ما بَعْدَ صلاةِ العيدِ إلى آخرِ اليومِ.

ووقتِ قضاءٍ مَعَ الإثمِ وهو ما بَعْدَ يومِ العيدِ.

والمستحقُّ لزكاةِ الفطرِ هو المستحقُّ لزكاةِ المالِ مِنَ الفقراءِ والمساكين ونحوهم، فيدفعها إلى المستحقِّ في وقتِ الإخراجِ أو إلى وكيلِهِ، ولا يكفي أن يُودِعَها عندَ شخصٍ ليسَ وكيلاً للمستحقِّ، ومقدارُ صدقَةِ الفطرِ: صاعٌ مِنَ البرِّ أو الشعيرِ أو التمرِ أو الزبيبِ أو الأقطِ، أو ما يقومُ مقامَ هذه الأشياءِ مما يقتاتُ في البلدِ كالأرزِ والذرةِ والدخنِ وكُلِّ ما يقتاتُ في البلدِ، ومقدارُ الصاعِ بالكيلو: ثلاثُ كليوات تقريباً.

ولا يجزيءُ دفعُ القيمةِ بدلَ الطعامِ[1] لأنَّه خلافَ المنصوصِ، والنقودُ

---

(١) ولا يجزي دفع دراهم ليشتري بها طعام في بلد آخر كما يفعل بعض الناس اليوم، لأن هذا خلاف السنة. وقد صدرت فتوى من هيئة كبار العلماء بمنع ذلك والحمد لله. وهذا ممنوع لأمور: أولاً: أنه دفع للقيمة. ثانياً: أنه إخراج لصدقة الفطر عن البلد الذي فيه الصائم. وثالثاً: أنه سابق لوقت الإخراج لأنهم يدفعون النقود في وقت مبكر من الشهر من أجل أن يتمكن من إرسالها ووصولها إلى البلد الذي يقصدونه ـ وهذا ونحن لسنا ضد مساعدة المحتاجين في أي بلد من بلاد المسلمين، ولكن يكون هذا =

كانت موجودةً على عهدِ رسولِ اللهِ ﷺ، فلو كانتْ تجزىءُ لَبيَّنَ لأمته ذلك. ومن أَفْتَى بإخراجِ القيمةِ أفتى باجتهادٍ منه، والاجتهادُ يخطىءُ ويصيبُ، وإخراجُ القيمةِ خلافُ السنةِ ولم ينقلْ عن النبيِّ ﷺ، ولا عن أحدٍ مِنْ أصحابِهِ إخراجُ القيمةِ في زكاةِ الفطرِ.

قال أحمدُ: لا يعطي القيمة، قيل له: قَومٌ يقولون: عمرُ بن عبد العزيز كان يأخذُ بالقيمةِ قال: يدعون قولَ رسولِ اللهِ ﷺ، ويقولون: قال فلانٌ - وقد قال عمرُ: فرضَ رسولُ اللهِ ﷺ زكاةَ الفطرِ صَاعاً... انتهى.

أيُّها المسلمون:

ومما شرعَهُ اللهُ لكم في ختامِ هذا الشهرِ التكبيرَ مِنْ غروبِ الشمسِ ليلةَ العيدِ إلى صلاةِ العيدِ قالَ تعالى: ﴿وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٨٥﴾﴾ [البقرة: ١٨٥]، ومما شرعَهُ اللهُ لَكُم في ختامِ هذا الشهرِ صلاةَ العيدِ وهي من تمامِ ذكرِ اللهِ عزَّ وجلَّ. قال الله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ﴿١٥﴾﴾ [الأعلى: ١٤، ١٥]. قال بعضُ السلفِ: المرادُ: زكاةُ الفطرِ وصلاةُ العيدِ، واللهُ أعلمُ.

وصلَّى اللهُ على نبيِّنا محمدٍ وآلِهِ وصحبهِ.

* * *

= في غير العبادات المحددة في مكان خاص - ونوع خاص ووقت خاص فهذه يجب أن تؤدى حسب هذه القيود.

الدرسُ الثلاثون
فِيما يجبُ على المسلمِ بعدَ شهرِ رمضانَ

الحمدُ للهِ مقدرُ المقدورِ ـ مصرفُ الأيامِ والشهورِ. أحمدُهُ على جزيلِ نعمِهِ وهو الغفورُ الشكورُ. وأشهدُ أنْ لا إله إلا اللهُ وحده لا شريكَ له. له الملكُ وله الحمدُ وهو على كل شيءٍ قديرٌ. وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُهُ ورسولُهُ البشيرُ النذيرُ. والسراجُ المنيرُ. صلَّى اللهُ عليه وعلى آله وأصحابِهِ وسلَّم تسليماً كثيراً إلى يومِ البعثِ والنشورِ.

أما بعدُ: أيُّها الناسُ اتَّقوا اللهَ تعالى وتفكروا في سرعةِ مرورِ الأيامِ والليالي. وتذكروا بذلك قربَ انتقالِكم من هذه الدنيا فتزودوا بصالحِ الأعمالِ ـ حلَّ بِكُمْ شهرُ رمضانَ المباركُ بخيراتِهِ وبركاتِهِ، وعشتم جميعَ أوقاتِهِ. ثم انتهى وارتحلَ سريعاً شاهداً عند ربِّه لمن عَرَفَ قدرَه واستفادَ من خيرِهِ بالطاعةِ، وشاهداً على من تجاهَلَ فضلَهُ وأساءَ فيه بالإضاعةِ، فليحاسِبْ كُلٌّ منّا نفسَهُ ماذا قدَّم في هذا الشهرِ، فمن قدَّم فيه خيراً فليحمدِ اللهَ على ذلك. وليسألْهُ القبولَ والاستمرارَ على الطاعةِ في مستقبلِ حياتِهِ. ومن كان مفرطاً فيه فليتب إلى اللهِ وليبدأْ حياةً جديدةً يستغلُّها بالطاعةِ بدلَ الحياةِ التي أضاعَها في الغفلةِ والإساءةِ، لعلَّ اللهَ يكفرُ عنه ما مضى ويوفّقه فيما بَقِيَ من عُمُرِهِ، قال تعالى: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيۡلِۚ إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ ذَٰلِكَ ذِكۡرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ١١٤﴾ [هود: ١١٤]، وقال النبي ﷺ: «وأتبعِ السيئةَ الحسنةَ تمحُها»[1]، وقالَ تعالَى: ﴿إِلَّا

---

(١) أخرجه الترمذي (رقم ١٩٨٧) والدارمي (رقم ٢٧٩١) وأحمد (٥/ ١٥٣)، والحاكم =

مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾﴾ [الفرقان: ٧٠].

عبادَ اللهِ إنَّ شهرَ رمضانَ كما وصفَهُ رسولُ اللهِ ﷺ: «**شهرٌ أوَّلُهُ رحمةٌ، وأوسطُهُ مغفرةٌ، وآخرهُ عتقٌ مِنَ النارِ**». وذلك لأنَّ الناسَ مع هذا الشهرِ لهم حالاتٌ مختلفةٌ، فمنهم من وافَاهُ هذا الشهرُ وهو مستقيمٌ على الطاعةِ يحافظُ على صلاةِ الجُمَعِ والجماعةِ. مبتعدٌ عَنِ المعاصِي. ثم اجتهدَ في هذا الشهرِ بفعلِ الطاعاتِ فكانَ زيادةَ خيرٍ له. فهذا تنالُهُ رحمةُ اللهِ لأنه محسنٌ في عملِهِ. وقد قال تعالى: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾﴾ [الأعراف: ٥٦]. ومنهم من وافاهُ هذا الشهرُ فصامَ نهارَهُ وقامَ ما تَيَسَّر من ليلِهِ، وهو قبلَ ذلِكَ محافظٌ على أداءِ الفرائِضِ وكثيرٍ مِنَ الطاعاتِ لكن عنده ذنوبٌ دُونَ الكبائِرِ. فهذا تنالُهُ مغفرةُ اللهِ. قال تعالى: ﴿إِن تَجْتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾﴾ [النساء، ٣١]. وقال النبي ﷺ: «**الصلواتُ الخمسُ، والجمعةُ إلى الجمعةِ، ورمضانُ إلى رمضانَ، كفارةٌ لما بينهُنّ إذا اجتُنِبَتِ الكبائِرُ**»[(١)]. ومنهم من وافاهُ شهرُ رمضانَ وعندَهُ ذنوبٌ كبائرُ لكنها دُون الشركِ، وقد استوجبَ بها دخولَ النارِ، ثم تابَ منها وصامَ هذا الشهرَ وقامَ ما تيسر منه، فهذا ينالُهُ الإعتاقُ مِنَ النارِ بعدما استوجبَ دخولَها، ومنهم من وافاهَ الشهرُ وهو مقيمٌ على المعاصِي من فعلِ المحرماتِ وتركِ الواجباتِ وإضاعَةِ الصلاةِ فلم يتغيرْ حالُهُ ولم يتبْ إلى اللهِ من سيئاتِهِ أو تابَ منها توبةً مؤقتةً في رمضانَ ولمَّا انتهى عادَ إليها. فهذا هو الخاسِرُ الذي خسرَ حياتَه وضيَّع

= (١/ ٥٤).

(١) أخرجه مسلم (رقم ٢٣٣)، والترمذي (رقم ٢١٤)، وأحمد (٢/ ٣٥٩).

أوقاتَه، ولم يستفدْ من هذا الشهرِ إلا الذنوبَ والآثامَ، وقد قالَ جبريلُ للنبيِّ عليهما الصلاةُ والسلامُ: «**ومن أدركَهُ شهرُ رمضانَ فلم يُغفرْ له فأبعدَهُ اللهُ، قُلْ: آمين**». فقال النبيُّ ﷺ: «**آمين**». والمحرومُ من حَرَمَهُ اللهُ، والشقيُّ من أبعدَهُ اللهُ. عبادَ اللهِ إنَّ عبادةَ اللهِ واجبةٌ في كُلِّ وقتٍ، وليسَ لَهَا نهايةٌ إلا بالموتِ ـ قال تعالى: ﴿ وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴿٩٩﴾ ﴾ [الحجر: ٩٩]. وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [آل عمران: ١٠٢]. وقال النبيُّ ﷺ: «**إذا ماتَ الإنسانُ انقطعَ عملُهُ إلاَّ مِنْ ثلاثٍ**»[(١)] الحديثُ. والموتُ قريبٌ وللهِ عباداتٌ تؤدَّى في مواقِيتِهَا المحدودةِ يوميًّا، وأسبوعيًّا، وسنويًّا، وهذه العباداتُ منها ما هو أركانٌ للإسلامِ وما هو مكملٌ له. فالصلواتُ الخمسُ تؤدّى في كلِّ يومٍ وليلةٍ ـ وهي الركنُ الثاني من أركانِ الإسلامِ بعدَ الشهادتين. هي عمودُ الإسلامِ. والجمعةُ تؤدَّى كُلَّ أسبوعٍ وهي من أعظمِ شعائِرَ الإسلامِ. يجتمعُ لها المسلمونُ في مكانٍ واحدٍ اهتماماً بها. والزكاةُ قرينةُ الصلاةِ وهي في غيرِ المعشراتِ تؤدَّى كُلَّ سنةٍ. وأما المعشراتُ فتؤدَّى زكاتُهَا عندَ الحصولِ عليها. وصيامُ شهرِ رمضانَ يجبُ في كُلِّ سنةٍ، وحجُّ بيتِ اللهِ الحرامِ يجبُ على المسلمِ المستطيعِ مرةً في العمرِ ـ وكذا العمرةُ وما زادَ على المرةِ من الحجِّ فهو تطوعٌ. وإلى جانبِ هذه العباداتِ الواجبةِ عباداتٌ مستحبةٌ ـ مثلُ نوافلَ الصلواتِ، ونوافلَ الصدقاتِ، ونوافلَ الصيامِ، ونوافلَ الحجِّ والعمرةِ. و هذا مما يدلُّ على أنَّ حياةَ المسلمِ كلَّها عبادةٌ، إما واجبةٌ وإما مستحبةٌ ـ فالَّذي يظنُّ أن العبادةَ مطلوبةٌ منه في شهرِ رمضانَ وبعدَهُ

---

(١) أخرجه مسلم (رقم ١٦٣١)، والبخاري في الأدب المفرد (رقم ٣٨)، وأبوداود (رقم ٢٨٨٠)، والترمذي (رقم ١٣٧٦)، والنسائي (رقم ٣٦٥٣).

يُعْفَى مِنَ العبادةِ قد ظنَّ سُوءاً وجهلَ حقَّ اللهِ عليه ولم يعرفْ دينَه بل لم يعرفِ اللهَ حقَّ معرفتِه. ولم يَقْدِرْهُ حقَّ قدرِه؛ حيثُ لم يُطِعْه إلا في رمضانَ. ولم يَخِفْ منه إلا في رمضانَ. ولم يرجُ ثوابَه إلا في رمضانَ - إن هذا الإنسانَ مقطوعُ الصلةِ باللهِ. مع أنه لا غِنَى له عنه طرفةَ عينٍ، والعملُ مهما كان إذا كان مقصوراً على شهرِ رمضانَ هو عملٌ مردودٌ على صاحِبِه مهما أتعبَ نفسَه فيه. لأنه عملٌ مبتورٌ لا أصلَ له ولا فرعَ - وإنما ينتفعُ برمضانَ أهلُ الإيمانِ الذين هم على الاستقامةِ في كل زمانٍ. يعلمون أن ربَّ الشهورِ واحدٌ. وهو في كُلِّ الشهور مطلعٌ على أعمالِ عبادِهِ وشاهِدٌ. وصلَّى اللهُ وسلَّم على نبينا محمدٍ وآله وصحبه أجمعين.

* * *

خاتمــةٌ
في ردِّ شبهاتٍ حولَ عددِ صلاةِ التراويحِ والتهجُّدِ في العشرِ الأواخِرِ من رمضانَ المباركِ ودعاءِ الختمِ ودعاءِ القنوتِ

مقالٌ كتبه : صالحُ بنُ فوزان ، نُشِرَ في مجلةِ الدعوةِ

الحمدُ للهِ ربِّ العالمين، والصلاةُ والسلامُ على نبيِّنا محمدٍ وآله وصحبه أجمعين. وبعدُ:

فممّا شرعَهُ اللهُ في شهرِ رمضانَ المباركَ صلاةَ التراويحِ، سُمِّيتْ بذلك لأنهم كانوا يُصَلُّون أربعَ ركعاتٍ ثم يستريحون، ثم يصلّون أربعاً ثم يستريحُون حتَّى يكملوها، ومعنى يصلُّون أربعاً، أي: مثنى مثنى كُلُّ ركعتين بسلامٍ ـ والتراويحُ في شهرِ رمضانَ سنةٌ مؤكدةٌ بإجماعِ المسلمين سنَّها رسولُ اللهِ ﷺ وصلاَّها بأصحابِهِ ليالِي، وصلاَّها أصحابُهُ مِنْ بعدِهِ، واستمرَ عملُ المسلمين على إقامَتِهَا جماعةً في المساجِدِ من عهدِ النبيِّ ﷺ وعهدِ خلفائِهِ، وأما عددُ ركعاتِها فليسَ فيه حدٌّ محدودٌ، ولذلك اختلفَ العلماءُ في عددِهَا.

والنبيُّ ﷺ كان يرغبُ في قيامِ الليلِ ولمْ يحددْ ركعاتٍ معينةً، وكان ﷺ يقومُ بإحدى عشرةَ ركعةً، أو ثلاثَ عشرةَ ركعةً في رمضانَ وغيرِهِ، وكان الصحابةُ في زمنِ عمرَ يقومونه بثلاثٍ وعشرين ركعةً في صلاةِ التراويح، والعلماءُ منهم من يكثرُ ومنهم من يقلُّ، والصحيحُ أن ذلك راجعٌ لنوعيةِ الصلاةِ فمن كان يطيلُ الصلاةَ فإنه يقللُ من عددِ الركعاتِ كما كان النبيُّ ﷺ يفعلُ، ومن

كان يخففُ الصلاةَ رفقاً بالمأمومين فإنه يكثرُ عددَ الركعاتِ كما فعلَ الصحابةُ، وأما من يقولُ: إنَّ الزيادةَ على إحدى عشرةَ ركعةً في التراويحِ بدعةٌ فهو قولٌ مجازفٌ فيه، وقائلُه لا يعرفُ ضابطَ البدعةِ، وقد حكمَ على فعلِ الصحابةِ بأنه بدعةٌ ـ ولا حولَ ولا قوةَ إلا باللهِ. وهذا من شؤمِ التسرعِ والقولِ على اللهِ بلا علمٍ(١).

وأما في العشرِ الأواخرِ من رمضانَ فإن المسلمين يزيدون من اجتهادِهِم في العبادَةِ اقتداءً بالنبيِّ ﷺ وطلباً لليلةِ القدرِ التي هي خيرٌ من ألفِ شهرٍ، فالذين يصلُّون ثلاثاً وعشرين ركعةً في أولِ الشهرِ يقسمونها في العشرِ الأواخِرِ فيصلّون عشرَ ركعاتٍ في أولِ الليلِ يسمونَها تراويح. ويصلّون عشراً في أَخرِ الليلِ يطيلونها مع الوتر بثلاثِ ركعاتٍ ويسمونَها قياماً. وهذا اختلافٌ في التسميةِ فقط، وإلاّ فكُلُّها يجوزُ أن تسمّى تراويح أو تسمَّى قياماً. وأما من كان يصلّي في أولِ الشهرِ إحدى عشرةَ أو ثلاثَ عشرةَ ركعةً فإنه يضيفُ إليها في العشرِ الأواخِرِ عشرَ ركعاتٍ يصلِّيها في آخرِ الليلِ ويطيلُها اغتناماً لفضلِ العشرِ الأواخِرِ وزيادةَ اجتهادٍ في الخيرِ وله سلفٌ في ذلك مِنَ الصحابةِ وغيرِهِم ممن كانوا يصلُّون ثلاثاً وعشرين كما سبق، فيكونون جمعوا بين القولين: القولِ بثلاثِ عشرةَ في العشرين الأُوَلِ، والقولِ بثلاثٍ وعشرين في العشرِ الأواخِرِ، وهم في كلتا الحالتين لم يخرجوا عن السنةِ ـ وللهِ الحمدُ ـ عكسَ ما يدَّعيه بعضُ المتسرعين في الأحكامِ من إنكارِ الزيادَة على إحدى عشرةَ أو ثلاثَ عشرةَ في كُلِّ رمضانَ،

---

(١) ولذا نرى كثيراً منهم في المسجد الحرام وغيره ينصرفون في آخر التراويح، ويجلسون خلف المصلين يتحدثون ويضحكون ويشوشون على المصلين لأن المصلين بزعمهم يفعلون بدعة، وما دروا أن فعلهم هذا هو البدعة.

وقد وقفوا في حيرةٍ مِنْ أمرِهِم في العشرِ الأواخِرِ فلا يدرون هل يصلُّون إحدى عشرةَ أو الثلاثَ عشرةَ التي لا يرونَ الزيادةَ عليها في أولِ الليلِ ويعطِّلون آخِرَهُ أو يصلّونها في آخِرِه ويعطّلون أوَّلَه أَوْ يقسمونها بين أوله وآخرِه فيكونُ نصيبُ كُلٍّ مِنَ الوقتين قليلاً.

وقد شَوَّشوا على الناسِ وحَصَلَ بسببِ ذلك نزاعاتٌ بين جماعات المساجِدِ، وهذا الصنفُ مِنَ الأئمةِ لو أنَّهم سلكُوا منهجَ السلفِ في ذلك والذي كان تتمشّى عليه هذه البلادُ وعلماؤها وهو صلاةُ ثلاثٍ وعشرين ركعةً في العشرِ الأواخِرِ تقسَّمُ بين أوَّلِ الليلِ وآخرِهِ، لزالَ الإشكالُ وحصلَ الخيرُ الكثيرُ، وأما العشرون الأولُ فالأفضلُ لمن يطيلُ الصلاةَ أن يقتصرَ على ثلاثِ عشرةَ ركعَةً، أو إحدى عشرةَ ومن يخففُ أن يصلِّي ثلاثاً وعشرين ركعةً.

هذا ولابُدّ مِنَ التنبيهِ على خطأٍ يرتكبُهُ بعضُ أئمةِ المساجد عَنِ اجتهادٍ منهم، وهو أن بعضَهُم يصلِّي أربعَ ركعاتٍ مِنَ التراويح أو التهجُّد بسلامٍ واحدٍ محتجّاً بقولِ عائشةَ رضي اللهُ عنها: (أنّ النبيَّ ﷺ كان يصلِّي أربعاً فلا تسأل عن حُسْنِهِنّ وطولِهِنّ، ثم يُصلِّي أربعاً فلا تسأل عن حسنهن وطولهن)[1] الحديثُ. وظنوا أنه ﷺ كان يجمعُ الأربعَ بسلامٍ واحدٍ فصاروا يفعلُونه، وهذا غلطٌ منهم، لأن مرادَ عائشةَ رضي اللهُ عنها أنه كان يصلي الأربعَ بسلامين ثمَّ يستريحُ، ثم يصلِّي الأربعَ الأخرى بسلامين ثم يستريحُ. بدليل حديثها الآخرُ: (كان النبيُّ ﷺ يصلِّي من الليلِ إحدى عشرةَ ركعةً يسلِّم من كل اثنتين ويوترُ بواحدَةٍ). وقولُه ﷺ: «**صلاةُ الليلِ مثْنَى مثْنَى**»[2]. والأحاديثُ يفسرُ بعضُها بعضاً ـ واللهُ أعلمُ ـ

---

(١) أخرجه البخاري (رقم ١١٤٧)، ومسلم (رقم ٧٣٨).
(٢) أخرجه البخاري (رقم ١١٣٧)، ومسلم (رقم ٧٤٩، ٧٥١).

وباللهِ التوفيقُ وصلَّى اللهُ وسلَّم على نبيِّنا محمدٍ وآلِهِ وصحبِهِ أجمعين .

وهذه بعضُ أجوبةِ علماءِ نجدٍ وغيرِهِم عن عددِ ركعاتِ التراويحِ والتهجُّدِ في العشرِ الأواخِرِ ودعاءِ الختمِ والقنوتِ، ننقلُها بمناسبةِ أن بعضَ الناسِ حصلَ منهم بعضُ الخللِ في ذلك واستنكارٌ لدعاءِ القنوتِ ودعاءِ الختمِ .

أ ـ عددُ ركعاتِ التراويح :

١ ـ سُئِلَ الشيخُ محمدُ بنُ عبدِ الوهابِ رحمه اللهُ عن عددِ التراويح . فأجابَ : الذي أستحبُّ أنْ تكونَ عِشرينَ ركعةً .

٢ ـ وأجابَ ابنُهُ الشيخُ عبدُ الله رحمهما الله : الذي ذكره العلماءُ رحمهم اللهُ أن التراويحَ عشرون ركعةً، وأن لا ينقُصُ عن هذا العددِ إلا أن يزيدَ في القراءة بقدرِ ما ينقصُ مِنَ الركعاتِ، ولهذا اختلفَ عملُ السلفِ في الزيادةِ والنقصانِ . وعمرُ رضي اللهُ عنه لما جَمَعَ الناسَ على أبيٍّ بنِ كعبٍ صلَّى بهم عشرين ركعةً .

٣ ـ وأجابَ الشيخُ عبدُ اللهِ أبابطين : وأما صلاةُ التراويحِ أقلُّ من العشرين فلا بأسَ . والصحابةُ رضي اللهُ عنهم منهم من يقلُّ منهم من يكثرُ، والحدُّ المحدودُ لا نصَّ عليه مِنَ الشارعِ صحيحٌ .

ب ـ كيفيةُ الصلاةِ في العشرِ الأواخِرِ :

٤ ـ وقالَ أيضاً رحمه اللهُ تعالى : مسألةٌ في الجوابِ عمَّا أنكرهُ بعضُ الناسِ على من صلَّى في العشرِ الأواخِرِ من رمضانَ زيادةً على المعتادِ في العشرين الأول، وسببُ إنكارِهِم لذلك غلبةُ العادَةِ والجهلِ بالسنةِ وما عليه الصحابةُ والتابعون وأئمةُ الإسلامِ فنقولُ : قد وردتِ الأحاديثُ عنِ النبيِّ ﷺ بالترغيب في قيامِ رمضانَ والحثّ عليه، وتأكيدُ ذلك في عشرِهِ الأخيرِ، كما في الصحيحين عن أبي هريرة قال : كانَ رسولُ اللهِ ﷺ يرغِّبُهم في قيامِ رمضانَ من غيرِ أن يأمُرَهُم

بعزيمةٍ فيقولُ: «**مَنْ قَامَ رمضانَ إيماناً واحتساباً غُفِرَ له ما تقدّم من ذنبِهِ، ومن قَامَ ليلةَ القدرِ إيماناً واحتساباً غُفِرَ له ما تقدّم من ذنبه**»[١]، وفي السننِ عنه ﷺ أنه قال: «**فَرَضَ اللهُ عليكُمْ صِيامَ رمضانَ، وَسَنَنْتُ لَكُمْ قِيامَهُ**».

وفي الصحيحين عن عائشةَ رضي اللهُ عنها قالتْ: كَانَ رسولُ اللهِ ﷺ إذا دخلَ العشرُ أحيَا ليلَهُ وأيقظَ أهلَهُ وشدَّ المئزرَ. وصلَّى ﷺ ليلةً مِنْ رمضانَ جماعةً في أول الشهرِ وكذلك في العشرِ. وفي صحيحِ مسلم عن أنسٍ قال: كانَ رسولُ اللهِ ﷺ يقومُ في رمضانَ فقمتُ إلى جنبِهِ فجاءَ رجلٌ آخرَ فقام أيضاً حتَّى كُنَّا رَهْطاً فلمَّا أحسَّ أنَّا خَلْفَه جَعَلَ يتجوَّزُ في الصلاةِ، ثم دَخَلَ رَحْلَه فصلَّى صلاةً لا يُصلِّيها عِنْدَنا. فقلتُ له حِينَ أصبحَ: فطنت لنا الليلةَ؟ قال: «**نعم ذَلِكَ حَمَلَنِي على ما صَنَعْتُ**». وعن عائشةَ قالتْ: صلَّى رسولُ اللهِ ﷺ في المسجدِ، فصلَّى بصلاتِهِ أناسٌ كثيرٌ، ثُمَّ صلَّى مِنَ القابلةِ فكثروا، ثم اجتمعوا مِنَ الليلةِ الثالثةِ فلم يخرجَ إليهم، فلما أصبحَ قال: «**قد رأيتُ صنيعَكُم فلم يَمْنَعْنِي مِنَ الخروجِ إليكُم إلاَّ خشيةَ أن يُفْرَضَ عَلَيْكُم**»[٢]. وذلك فِي رمضانَ. أخرجاه في الصحيحين، وفي السننِ عن أبي ذرٍّ رضي اللهُ عنه قال: (صُمْنا مَعَ رسولِ اللهِ ﷺ، فلم يَقُمْ بنا حتَّى بَقِيَ سبعٌ مِنَ الشهرِ، فقامَ بنا حتَّى ذهبَ ثلثُ الليلِ ثم لم يَقُمْ بنا في السادسة، وقام في الخامسةِ حتَّى ذهبَ شطرُ الليلِ، فقلنا: لو نفلتنا ببقيةِ ليلتنا هذه. فقال: «**إنَّه من قامَ مَعَ الإمامِ حتَّى ينصرفَ كُتِبَ له قيامُ الليلةِ**»[٣]، ثم لَمْ يَقُمْ بنا حتَّى بقِيَ ثلاثٌ مِنَ الشهرِ فصلّى بنا في الثالثةِ وَدَعَا أَهَلَهُ ونساءَه وقامَ بنا

---

(١) أخرجه البخاري (رقم ٢٠٠٩، ٢٠١٤) ومسلم (رقم ٧٥٩، ٧٦٠).

(٢) تقدم.

(٣) تقدم.

حتَّى خَشِينا أنْ يَفُوتَنا الفلاحُ. قِيلَ: وما الفلاحُ؟ قال: السحورُ). صحَّحه الترمذيُّ، واحتجَّ الإمامُ أحمدُ وغيرُهُ بهذا الحديثِ أنَّ فعل التراويحِ جماعةٌ أفضلُ، وقال شيخُ الإسلامِ تقيُّ الدينِ رحمه اللهُ: وفي قولِهِ ﷺ: «**من قَامَ معَ الإمامِ حتَّى ينصرفَ كُتِبَ له قيامُ ليلةٍ**»، ترغيبٌ في قيامِ رمضانَ خلفَ الإمامِ، وذلك أوكدُ مِنْ أنْ يكونَ سنة مطلقةً، وكان الناسُ يصلُّونها جماعاتٍ في المسجدِ على عهدِهِ ﷺ، وإقرارِهِ سنةٌ منه ﷺ. انتهى. فلما تقرَّرَ أن قيامَ رمضانَ وإحياءَ العشرِ الأواخِرِ سنةٌ مؤكدةٌ وأنه في جماعةٍ أفضلُ، وأنَّه ﷺ لم يوقّت في ذلك عدداً علمنا أنَّه لا توقيتَ في ذلك، وفي الصحيحين عن عائشةَ قالت: ما كانَ رسولُ اللهِ ﷺ يزيدُ في رمضانَ ولا في غيرِهِ على إحدى عشرةَ ركعةً[1]، وفي بعضِ طُرُقِ حديثِ حذيفةَ الَّذي فيه أنه ﷺ قرأَ في ركعةٍ البقرةَ والنساءَ وآلَ عمرانَ أنه لم يصلّ في تلكِ الليلةِ إلا ركعتين وأن ذلك في رمضانَ، وروي عن الصحابَةِ رضي اللهُ عنهم في التراويحِ أنواعٌ واختلفَ العلماءُ في المختارِ منها مع تجويزِهِم لفعلِ الجميعِ، فاختارَ الشافعيُّ وأحمدُ عشرين ركعةً، مع أنَّ أحمدَ نصَّ على أنه لا بأسَ بالزيادةِ، وقال: رُوِي في ذلك ألوانٌ ولم يقضْ فيه بشيءٍ، وقال عبدُ اللهِ بنُ أحمدَ: رأيتُ أبي يصلِّي في رمضانَ ما لا يُحصَى مِنَ التراويح، واختارَ مالكٌ ستًّا وثلاثينَ ركعةً. وحكَى الترمذيُّ عن بعضِ العلماءِ اختيارَ إحدى وأربعين ركعةً مَعَ الوترِ، قال: وهو قولُ أهلِ المدينةِ والعملُ على هذا عندهُم بالمدينةِ، وقال إسحاقُ بنُ إبراهيمَ: نختارُ إحدى وأربعين ركعةً على ما رُوي عن أبيِّ بنِ كعبٍ، قال الشيخُ تقيُّ الدينِ: والتراويحُ إنْ صلاَّها كمذهبِ أبي

---

(١) أخرجه البخاري (رقم ١١٤٧) ومسلم (رقم ٧٣٨).

حنيفةَ والشافعيِّ وأحمدَ عشرين ركعةً أو كمذهبِ مالكٍ ستًّا وثلاثين أو ثلاثَ عشرةَ أو إحدى عشرةَ فقد أحسنَ كما نصَّ عليه أحمدُ لعدمِ التوقيتِ، فيكونُ تكثيرُ الركعاتِ وتقليلُها بحسبِ طولِ القيامِ وقصرِهِ، وقد تقدَّمَ قولُ عائشةَ: ما كانَ رسولُ اللهِ ﷺ، يزيدُ في رمضانَ ولا في غيرِهِ على إحدى عشرةَ، وقولُها: كَانَ إذا دَخَلَ العشرَ أحيا ليلَهُ، وفي الموطأِ عن السائِبِ بنِ يزيدَ قال: أمر عمرُ بنُ الخطابِ أبيَّ بن كعبٍ وتميماً الداريّ أن يقومَا للناسِ بإحدى عشرةَ ركعةً، وكان القارىءُ يقرأ بالمئين حتَّى كنا نعتمدُ على العصيِّ مِنْ طولِ القيامِ، وفي الموطأِ عن عبدِ اللهِ بنِ أبي بكرٍ قال: سمعتُ أبي يقولُ: كنّا ننصرفُ في رمضانَ مِنَ القيامِ فتتعجلُ الخدمُ بالطعامِ مخافةَ فوتِ السحورِ، وروَى أبو بكرِ بنِ أبي شيبةَ عن طاوسَ قال: سمعتُ ابنَ عباسٍ يقولُ: دعانِي عمرُ أتغدى عنده، قال أبو بكرٍ يعني: السحورَ في رمضانَ، فسمع هيمةَ الناسِ حِينَ خرجوا مِنَ المسجدِ، قال: ما هِيَ؟ قال: هيمةُ الناسِ حِينَ خرجوا من المسجدِ. قال: ما بَقِيَ مِنَ الليلِ خيرٌ مما ذهبَ منه.

وروى ابنُ أبي شيبةَ عن ورقةَ كان سعيدُ بنُ جبيرٍ يؤمُّ بنا في رمضانَ فيصلِّي بنا عشرين ليلةً ستَّ ترويحاتٍ فإذا كان العشرُ الأواخرُ اعتكفَ في المسجدِ فصلَّى بنا سبعَ ترويحاتٍ، فتبينَ بذلك أنَّ الصحابةَ والتابعين كانوا يمدون الصلاةَ إلى قربِ طلوعِ الفجرِ. والظاهرُ مِنْ مجموعِ الآثارِ أن هذا يكونُ منهم في بعضِ الليالِي دونَ بعضٍ، ويحتملُ أن يكونَ ذلك في العشرِ الأواخِرِ لما ذكرنا من حديثِ أبي ذرٍّ: أن النبيَّ ﷺ قامَ بهم في العشرِ ليلةً إلى نصفِ الليلِ، وليلةً إلى أن خافُوا فواتَ السحورِ، ولمَّا لَمْ يخرجْ إليهم في بعضِ الليالي اعتذرَ إليهم بأنه خَشِيَ أن يفرضَ عليهم، فما أعظمَ جراءَةِ مَنْ يقولُ: إن مدَّ الصلاةِ في العشرِ إلى

آخرِ الليلِ بدعةٌ مَعَ ما قدمنا مِنَ الأحاديثِ والآثارِ، قال ابنُ القيمِ رحمه اللهُ: اختلفَ قولُ الإمامِ أحمدَ في تأخيرِ التراويح إلى آخرِ الليلِ، فعنه: إنْ أخرُّوا القيامَ إلى آخرِ الليلِ فلا بأسَ، كما قال عمرُ: فإنَّ الساعةَ التي ينامُون عنها أفضلُ، ولأنه يحصلُ قيامُ بعدَ رقدةٍ، قالَ اللهُ تعالى: ﴿ إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيْلِ هِىَ أَشَدُّ وَطْـًٔا وَأَقْوَمُ قِيلًا ۝ ﴾ [المزمل: ٦]. وَرَوَى عنه أبو داودَ: لأن يؤخرُ القيامُ إلى آخِرِ الليلِ سنةُ المسلمين أحبُّ إليَّ، ووجْهُه فعلُ الصحابَةِ، ويحملُ قولُ عمرَ على الترغيبِ في صلاةِ آخرِ الليلِ لا إنَّهم يؤخرِونَها انتهى. فانظرْ قولَه: ليواصلُوا قيامَهُم إلى آخِرِ الليلِ، فَهَلاَّ قالَ: إنَّ مواصلةَ القيامِ إلى آخرِ الليلِ بدعةٌ.

* * *

فصـــلٌ

إذا تبينَ أنه لا تحديدَ في عددِ التراويحِ وأن وقتَها عندَ جميعِ العلماءِ من بعدَ سنةِ العشاءِ إلى طلوعِ الفجرِ، وأنَّ إحياءَ العشرِ سنةٌ مؤكدةٌ، وأنَّ النبيَّ ﷺ صلَّاها ليالي جماعةً كما قدَّمنا، فكيفَ ينكرُ على من زادَ في صلاةِ العشرِ الأواخرِ عمَّا يفعلُهُ أوَّلَ الشهر، فيصلِّي في العشرِ أوَّلَ الليلِ كما يفعلُ في أوِّل الشهرِ أو أقلّ أو أكثرَ مِنْ غيرِ أن يوترَ، وذلك لأجلِ الضعيفِ لمن يحبُّ الاقتصارَ على ذلك، ثم يزيدُ بعد ذلك ما يسَّره اللهُ في الجماعةِ، ويسمَّى الجميعَ قياماً وتراويحَ، وربما اغترَ المنكرُ لذلكَ بقولِ كثيرٍ مِنَ الفقهاءِ: يستحبُّ أن لا يزيدَ الإمامُ على ختمِه إلا أن يؤثِرَ المأمومون الزيادةَ، وعللوا عدَمَ استحبابِ الزيادَةِ على خَتْمه بالمشقةِ على المأمومين لا كونَ الزيادَةِ غيرُ مشروعةٍ، ودلَّ كلامُهُم على أَنَّهم لو آثروا الزيادةَ على ختمِه كان مستحبًّا، وذلك مصرحٌ به في قولِهِم إلا أنْ يؤثرَ المأمومون الزيادةَ. وأما ما يَجْرِي على ألسنةِ العوامِ من تسميتِهِم ما يفعلُ أوّلَ الليلِ تراويحَ وما يصلَّى بعد ذلك قياماً فهو تفريقٌ عامي، بَلِ الكلُّ قيامٌ وتراويحُ، وإنما سُمّي قيامُ رمضانَ تراويحُ لأنهم كانوا يستريحون بعدَ كلِّ أربعِ ركعاتٍ من أجلِ أنهم كانوا يطيلونَ الصلاةَ، وسببُ إنكارِ المنكرِ لذلك لمخالفته ما اعتاده من عادةِ أهل بلدِه وأكثرِ أهلِ الزمانِ، ولجهلِه بالسنةِ والآثارِ، وما عليه الصحابةُ والتابعون وأئمةُ الإسلام، وما يظنُّه بعضُ الناسِ من أنَّ صلاَتنا في العشرِ هي صلاةُ التعقيبِ الذي كَرِهَهُ بعضُ العلماءِ فليسَ كذلك لأنَّ التعقيبَ هو التطوعُ جماعةٌ بعدَ الفراغِ مِنَ التراويحِ والوترِ. هذه عبارةُ جميعِ الفقهاءِ في

تعريفِ التعقيبِ أنه التطوعُ جماعةٌ بعدَ الوترِ عقبَ التراويحِ، فكلامُهُم ظاهرٌ في أنَّ الصلاةَ جماعةٌ قبلَ الوترِ ليسَ هو التعقيبُ، وأيضاً فالمصلِّي زيادةٌ عن عادَتِهِ في أولِ الشهرِ يقولُ الكلُّ قيامٌ وتراويحُ فهو لم يفرغْ مِنَ التراويحِ. وأما تسميةُ الزيادةِ عَنِ المعتادِ قياماً فهذه تسميةٌ عاميةٌ، بل الكلُّ قيامٌ وتراويحُ، كما قدمنا وأن المذهبَ عدمُ كراهَةِ التعقيبِ، وعلى القولِ الآخرِ فنصُّ أحمدَ: أنَّهم لو تنفلُّوا جماعةً بعد رقدةٍ أو مِنْ آخرِ الليلِ لم يُكْرَهْ. وأما اقتصارُ الإنسانِ في التراويحِ على إحدى عشرةَ ركعةً فجائِزٌ لحديثِ عائشةَ: ما كانَ رسولُ اللهِ ﷺ يزيدُ في رمضانَ ولا في غيرِهِ على إحدَى عشرةَ ركعَةً[1] . . . انتهى.

٥ ـ وأجابَ أيضاً: وأما الاقتصارُ في التراويحِ على أقلِّ من عشرين ركعةً فلا بأسَ بذلك، وإنْ زادَ فلا بأسَ. قال الشيخُ تقيُّ الدين: لَهُ أنْ يصلِّيَ عشرين كما هو المشهورُ في مذهبِ أحمدَ والشافعيِّ. قال: وله أن يصلِّي ستًّا وثلاثين ركعةً كما هو مذهبُ مالِكٍ، قال الشيخُ: وله أن يصلِّيَ إحدى عشرةَ أو ثلاثَ عشرةَ، قال: وكله حسنٌ كَمَا نصَّ عليه الإمامُ أحمدُ، قال الشيخُ: فيكونُ تكثيرُ الركعاتِ أو تقليلُها بحسبِ طولِ القيامِ وقصرِه. و قد استحبَّ أحمدُ أن لا ينقصَ في التراويح عن ختمة يعني في جميعِ الشهرِ، وأما قولُهُ سبحانه وتعالى: ﴿ كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ [الذاريات: ١٧]. فالهجوعُ: اسمٌ للنومِ بالليلِ، والمشهورُ في معنى الآيةِ: أنهم كانوا يهجعون قليلاً مِنَ الليلِ ويصلون أكثرَ، وقيل: المعنى أنهم لا ينامون كُلَّ الليلِ بَلْ يُصَلُّونَ فيه إما في أوَّلِهِ أو في آخِرِه، وأما الاستغفارُ فيرادُ به الاستغفارُ المعروفُ وأفضلُهُ سيدُ الاستغفارِ. وقال بعضُ

---

(١) تقدم.

المفسرين: ﴿وَبِٱلۡأَسۡحَارِ هُمۡ يَسۡتَغۡفِرُونَ ١٨﴾ أي: يصلُّون، لأنَّ صلاتَهم بالأسحارِ لطلبِ المغفرةِ. . . انتهى.

٦ ـ وأجابَ الشيخُ عبدُ الرحمن بنُ حسنٍ: وأمَّا إحياءُ العشرِ الأوخِرِ من رمضانَ فهو السنةُ، لما جاءَ في حديثِ عائشةَ قالتْ: (كَانَ رسولُ اللهِ ﷺ إذا دخلَ العشرُ الأواخِرُ مِنْ رمضانَ أيقظَ أهلَهُ وأحيا لَيْلَهُ وَجَدَّ وَشَدَّ المئزَرَ)[1]. وفي الحديث الآخَر: «من قَامَ رمضانَ إيماناً واحتساباً غُفِرَ له ما تقدَّم من ذنبِه. ومن قَامَ ليلةَ القدرِ إيماناً واحتساباً غُفِرَ له ما تقدَّم من ذنبه»[2]. وصحَّ أن النبيَّ ﷺ قامَ الليلَ كلَّه حتَّى السحرَ، إذا عَرَفْتَ ذلك فلا ينكرُ قيامَ العشرِ الأواخِرِ إلا جاهلٌ لا يعرفُ السنةَ. . . انتهى.

الدرر السنية في الأجوبة النجدية

(٣/ ١٨١ـ١٨٥)

أجوبةٌ للشيخِ عبدِ العزيزِ بنِ باز ـ رحمه الله ـ نقلًا عن مجلةِ الدعوةِ العدد ١١٤١ بتاريخ ٢٣/ ٩/ ١٤٠٨هـ، حولَ التراويحِ والقنوتِ في الوترِ:

الطمأنينةُ فرضٌ لابُدَّ منه في الصلاةِ:

١ ـ لدينا إمامُ مسجدٍ يستعجلُ جدًّا في صلاةِ التراويحِ فلا نستطيعُ دعاءً ولا تسبيحاً ولا خشوعاً في هذه الفرصةِ العظيمةِ، ومع ذلك فلا يقرأُ إلا التشهدُ

---

(١) تقدم.
(٢) تقدم.

الأولَ: أشهدُ أنْ لا إله إلا اللهُ وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُهُ ورسولُهُ، ويقولُ: هذه زيادةٌ أمَّا الآياتُ فلا يقرأُ سوى آية أو آيتين. نرجو توجيه النصحَ جزاكُمُ اللهُ خيراً.

راجي عبد الهادي السعد/ حائل

الجوابُ:

المشروعُ للأئمةِ في التراويح وفي صلاةِ الفرائضِ الطمأنينةُ والترتيلُ في القراءَةِ والخشوعُ في الركوعِ والسجودِ، والاعتدالُ الكاملُ بعدَ الركوعِ وبين السجدتين في جميعِ الصلواتِ فرضِهَا ونفلِهَا. والطمأنينةُ فرضٌ لابُدَّ منه ومن أخلَّ بها بطُلَتْ صلاتُهُ لما ثبتَ في الصحيحين عنِ النبيِّ ﷺ أنه رَأىَ رجلاً يصلِّي ولم يطمئن في صلاتِهِ، فأمره أن يعيدَ الصلاةَ وأرشدَهُ إلى وجوبِ الطمأنينةِ في ركوعِهِ وسجودِهِ واعتدالِهِ بعدَ الركوعِ وبينِ السجدتين. والمشروعُ للأئمةِ أن يرتلوا القراءةَ ويتخشعوا فيها حتَّى يستفيدوا ويستفيدَ المصلُّون خلْفَهُم من قراءَتِهم وحتَّى يحرِكُوا بها القلوبَ فتخشعَ لربِّها وتنيب إليه، والواجبُ على الأئمةِ والمأمومين أن يصلُّوا على النبي ﷺ الصلاةَ الإبراهيمية بعدَ الشهادتين وقبلَ التسليمِ لأنه قد ثبتَ عَنِ النبي ﷺ الأمرُ بذلك، وقد ذهبَ إلى فرضِيَّتِها جمعٌ من أهلِ العلمِ فلا يجوزُ للأئمةِ والمأمومين أن يخالفوا الشرعَ المطهرَ في الصلاةِ ولا في غيرها. ويشرعُ لكل مصلٍّ إماماً أو مأموماً أو منفرداً أن يتعوذَ باللهِ من عذابِ جهنَّم ومن عذابِ جهنمَ ومن عذابِ القبرِ ومن فتنةِ المحيا والمماتِ ومن فتنةِ المسيحِ الدجالِ بعدَ الصلاةِ على النبيِّ ﷺ، وقبل أن يسلمَ، لأنَّ الرسولَ ﷺ كان يفعلُ ذلك، وقد أمرَ ﷺ الأمةَ بهذا الدعاءِ، ويستحبُّ الزيادةُ مِنَ الدعاءِ قبلَ السلامِ مثلَ الدعاءِ المشهورِ الذي أوصَى به النبيُّ ﷺ معاذَ بنَ جبلٍ رضي اللهُ عنه أن يقولَهُ دُبُرَ كُلِّ صلاةٍ وهو: اللّهمَّ أعنِّي عَلَى ذِكْرِكَ وشُكْرِكَ

وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ. وباللهِ التوفيقُ.

الردُّ على الذين لا يُسلّمون مِنْ كُلِّ ركعتين في التراويح والقيامِ ببيانِ أنَّ صلاةَ الليلِ مثنى مثنى.

٢ ـ بعضُ الأئمةِ في صلاةِ التراويح يجمعون أربعَ ركعاتٍ أو أكثرَ في تسليمةٍ واحدةٍ دُونَ جُلوسٍ بينَ الركعتين، ويدعون بأن ذلك مِنَ السنةِ، فهل لهذا العملِ أصلٌ في شرعِنَا المطهرِ؟

أحمد بن عبد الله/ الرياض

الجوابُ:

هذا العملُ غيرُ مشروعٍ بل مكروهٌ أو محرمٌ عندَ أكثرِ أهلِ العلمِ لقولِ النبيِّ ﷺ: «**صلاةُ الليلِ مثنى مثنى**» متفقٌ على صحته من حديثِ ابنِ عمرَ رضي اللهُ عنهما، ولما ثبتَ عَنْ عائشةَ رضي اللهُ عنها قالتْ: كان النبيُّ ﷺ يصلِّي مِنَ الليلِ إحدى عشرةَ ركعةً يسلّم مِنْ كُلِّ اثنتين ويوتِرُ بواحدةٍ، متفقٌ على صحته والأحاديثُ في هذا المعنى كثيرةٌ.

وأما حديثُ عائشةَ المشهورُ: (أن النبيَّ ﷺ كان يصلِّي مِنَ الليلِ أربعاً، فلا تسأل عن حُسْنِهِنَّ وطُولِهِنَّ، ثم يصلِّي أربعاً فلا تَسْأَلْ عن حسنهن وطولهن). الحديثُ. متفقٌ عليه، فمرادُها أنه يسلمُ من كل اثنتين وليسَ مرادُها أنه يسردَ الأربعَ بسلامٍ واحدٍ لحديثِهَا السابقِ، ولما ثبتَ عنه ﷺ، من قولِهِ: «**صلاةُ الليلِ مثنى**»، كما تقدّمَ، والأحاديثُ يصدِّقُ بعضُها بعضاً ويفسِّر بعضُها بعضاً، فالواجبُ على المسلمِ أن يأخذَ بها كلِّها وأن يفسرَ المجملَ بالمبينِ... واللهُ وليُّ التوفيقِ.

المشروعُ إسماعُ المأمومين جميع القرآنِ مرتباً في التراويح :

٣ ـ إذاكنتُ إماماً في التراويحِ فهل يلزمُ أن أقرأَ كُلَّ ليلةٍ آياتٍ تتبع ما سبقها ـ أي أقرأ سُوَرَ القرآنِ مرتبةً ـ أم أقرأ عَمَّا وَقَفْتُ عليه مِنَ الآياتِ التي قرأتُها فِي النهارِ؟

راجي عبد الهادي السعد/ حائل

الجوابُ :

المشروعُ للأئمةِ أن يسمعوا المأمومين جميعَ القرآنِ في قيامِ رمضانَ إذا استطاعوا ذلك، فيقرأُ الإمامُ في كلِّ ليلةٍ الآياتِ والسورَ التي تلي ما قَرَأ في الليلةِ الماضيةِ، حتى يسمعَ المصلين خلْفَه جميعَ كتابِ ربِّهم سبحانه وتعالى متوالياً حسبَ ما رُتِّبَ في المصحفِ، وإذا استطاعَ أن يكملَ بهم ختمه فهو أفضلُ، إذا لم يشقّ عليهم معَ العنايةِ بالترتيلِ والخشوعِ والطمأنينةِ، لأن المقصودَ من الصلاةِ هو التقرُّبُ إلى اللهِ سبحانه والخشوعُ بين يديه رغبةً فيما عنده مِنَ الثوابِ وحذراً مما لديه مِنَ العقابِ، وليسَ المقصودُ مجردَ أداءِ ركعاتٍ بغير خشوعٍ ولا حضورِ قلبٍ بين يدي اللهِ سبحانه وتعالى، وفَّقَ اللهُ المسلمين لما فِيهِ صلاحَهُم ونجاتَهم في الدنيا والآخرة.

٤ ـ وسئل عن دعاءِ الختمةِ ـ مجلة اليمامة. العدد ١١٥١، ونصُّ السؤالِ: ذكرَ بعضُ العلماءِ أن دعاءَ ختمِ القرآن ليسَ بمشروعٍ وتزعَّم هذا بعضُ أئمةِ المساجِدِ فما القولُ الفصلُ في هذا؟

فأجابَ : الصوابُ أنه مشروعٌ. وعليه درجَ أهلُ العلم من عهدِ الصحابةِ إلى وقتِنَا هذا. وقد كانَ أنسٌ رضي اللهُ عنه يجمعُ أَهلَهُ عند ختمِ القرآنِ ويدعو.

فالحاصلُ : أن دعاءُ ختمِ القرآنِ مستحبٌّ وعليه درجَ سَلفُ الأمةِ وأتباعهم

بإحسانٍ. ولا فَرقَ بين فعلِهِ داخلِ الصلاةِ وفي خارجِ الصلاةِ. فإذا دعا الإمامُ في صلاةِ التراويح أو في العشرِ الأواخرِ فكله لا بأسَ به.

٥ ـ يستمرُّ بعضُ الأئمةِ في القنوتِ في الوترِ كلّ ليلةٍ. فهل أُثِرَ هذا عن سلفِنَا؟

الجوابُ:

لا حَرَجَ في ذلك، بَلْ هو سنةٌ، لأنَّ النبيَّ ﷺ لما علَّم الحسنَ بنَ عليٍّ رضي اللهُ عنهما القنوتَ في الوترِ ولم يأمُرْه بتركِهِ بعضَ الأحيانِ ولا بالمداومةِ عليه فدلَّ ذلك على جوازِ الأمرين، ولهذا ثبتَ عن أُبيٍّ بنِ كعبٍ رضي اللهُ عنه حِينَ كان يصلِّي بالصحابةِ رضي اللهُ عنهم في مسجدِ رسولِ اللهِ ﷺ أنه كان يتركُ القنوتَ بعضَ الليالي، ولعل ذلك ليعلم الناسَ أنه ليسَ بواجبٍ... واللهُ وليُّ التوفيقِ.. انتهى النقلُ عن الشيخ ابنِ بازٍ ـ رحمه الله ـ.

فتبين أنَّ الدعاءَ عندَ ختمِ القرآنِ في الصلاةِ وغيرِهَا هو مِنْ فِعلِ السلفِ وليسَ بدعةً لا في الصلاةِ ولا خارجِ الصلاةِ، قَالَ الموفقُ في المغني (٢/ ١٧١): فصلٌ في ختمِ القرآنِ ـ قال الفضلُ بنُ زيادٍ: سألتُ أبا عبدِ اللهِ فقلتُ: أختمُ القرآنَ أجعلُهُ في الوترِ أو التراويح؟ قال: اجعله فِي التراويح حتَّى يكونَ لنا دعاءٌ بين اثنين ـ قلتُ: ففعلتُ بما أمرني وهو خَلْفِي يدعو قائِماً ويرفعُ يديه ـ قال حنبل: سمعتُ أحمدَ يقولُ في ختمِ القرآنِ: إذا فرغتْ مِنْ قراءةِ: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ①﴾. فارفعْ يديْكَ في الدعاءِ قبلَ الركوعِ. قلتُ: إلى أي شيءٍ تذهبُ في هذا؟ قال: رأيتُ أهلَ مكةَ يفعلونَهُ. وكان سفيانُ بنُ عيينةَ يفعلُهُ معهم بمكةَ، قال العباسُ بنُ عبدِ العظيمِ: وكذلك أدركنا الناسَ بالبصرةِ. ويرى أهلُ المدينةِ في هذا شيئاً، وذُكِرَ عَنْ عثمانَ بنِ عفانَ ـ انتهى. وقال شيخُ الإسلامِ

ابنُ تيميةَ في مجموعِ الفتاوى (٢٤/ ٣٢٢): ورُوِي عن طائفةٍ مِنَ السلفِ: عندَ كُلِّ ختمةٍ دعوةٌ مجابةٌ. فإذا دعا الرجلُ عقبَ الختمِ لنفسِه ولوالِدَيْه ولمشائخِه وغيرِهِم مِنَ المؤمنين والمؤمنات كان هذا مِنَ الجنسِ المشروعِ. . انتهى كلامُهُ رحمهُ اللهُ. وله في ختمِ القرآنِ دعاءٌ مطبوعٌ ومتداولٌ.

وفي الدررِ السنيةِ في الأجوبةِ النجدية (٣/ ١٧٦): سُئِلَ الشيخُ عبدُ اللهِ أبابطين عَنِ الدعاءِ عندَ الختمِ فأجابَ: الدعاءُ عندَ الختمِ مستحبٌّ فَعَلَهُ بعضُ الصحَابةِ. انتهى. وقال الإمامُ النوويُّ في كتابِهِ: التبيان صفحة ٨٢: المسألةُ الثالثةُ: يستحبُّ حضورُ مجلسِ ختمِ القرآنِ استحباباً متأكداً، فقد ثبتَ في الصحيحين أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ أمرَ الحُيَّضَ بالخروجِ يومَ العيدِ ليشهدنَ الخيرَ ودعوةَ المسلمين. . ورَوىَ الدارميُّ وابُن أبي داود بإسنادِهِمَا عن ابنِ عباسٍ رضي اللهُ عنهما أنه كان يجعلُ رجلاً يراقبُ رجلاً يقرأُ القرآنَ فإذا أرادَ أن يختمَ أعلمَ ابن عباسٍ فَيَشْهَد ذلك. وروى ابنُ أبي داود بإسنادين صحيحين عن قتادةَ التابِعيِّ الجليلِ صاحبِ أنسِ بنِ مالكٍ رضي اللهُ عنه: إذا ختَم القرآنَ جَمَعَ أهلَهُ ودَعَا. وروى بأسانيده الصحيحةِ عن الحكمِ بنِ عيينةَ التابعيِّ الجليلِ قَالَ: أرسلَ إليَّ مجاهدٌ وعتبةُ بنُ لبابةَ فقالاَ: إنا أرسلنا إلَيك لأنا أردْنَا أن نختمَ القرآنَ والدعاءُ يستجابُ عندَ ختمِ القرآنِ. وفي بعضِ الرواياتِ الصحيحةِ أنه كان يُقالُ: إنَّ الرحمةَ تنزلُ عندَ ختمةِ القرآنِ. وروى بإسنادِهِ الصحيحِ عن مجاهدٍ قال: كانوا يجتمعون عندَ ختمِ القرآنِ يقولون تنزلُ الرحمةُ. وقال: المسألةُ الرابعةُ: الدعاءُ مستحبٌّ عقبِ الختمِ استحباباً متأكداً لما ذكرناه في المسألةِ التي قبلَها. وروى الدارميُّ بإسنادِهِ عن حميدِ الأعرجِ قال: من قَرَأَ القرآنَ ثم دَعَا أمَّنَ على دعائِهِ أربعةَ آلافِ ملكٍ. وينبغي أن يلحَّ في الدعاءِ وأن يدعُوَ بالأمورِ

المهمةِ، وأن يكثرَ في ذلِكَ في صلاحِ المسلمين وصلاحِ سلطانِهم وسائِرِ ولاةِ أمورهم . وقد روىَ الحاكمُ أبو عبدِاللهِ النيسابوريُّ بإسنادِهِ أنّ عبدَ اللهِ بنَ المباركِ رضي اللهُ عنه كان إذا خَتَمَ القرآنَ أكثرَ دعاءَهُ للمسلمين والمؤمنين والمؤمنات . وقد قالَ نحو ذلك غيره، فيختارُ الداعي الدعواتِ الجامعةَ انتهى . وذكر ذلك في كتابِ الأذكارِ صفحة ٩٠ـ ٩١ فتبينَ من هذه النقولِ أن دعاءَ ختمِ القرآنِ في الصلاةِ وغيرِهَا ليسَ بدعةً كَمَا يقولُ بعضُ المعاصرين لأنَّه مِنْ عملِ السلفِ، ولم يكنِ السلفُ والقرونُ المفضلةُ ـ ليعملوا بدعةً ـ ولكن لا ينبغي المبالغةُ في تطويلِ الختمةِ أو الدعاءِ بغير ما وردَ كما يفعلُ بعضُ أئمةِ المساجدِ ـ فلا إفراطَ ولا تفريطَ . فإذا أتى بدعاءٍ مختصرٍ جامعٍ موافقٍ للواردِ فلا بأسَ . لأنَّ الدعاءَ مشروعٌ جنسُهُ في الصلاةِ . بل هو في الصلاةِ أفضلُ منه خارجُها . واللهُ أعلمُ .

* * *

فتوى رقم (١٩٨٥٤) وتاريخ ١٤١٨/٩/١٦هـ

الحمدُ للهِ وحدَه والصلاةُ والسلامُ على من لا نبيَّ بعدَهُ. . وبعدُ:

فقد اطلعتِ اللجنةُ الدائمةُ للبحوثِ العلميةِ والإفتاءِ على ما وَرَدَ إلى سماحةِ المفتي العامِ من المستفتي/ عادلِ بنِ سالمٍ الكلبانيِّ، والمحالُ إلى اللجنةِ مِنَ الأمانةِ العامةِ لهيئةِ كبارِ العلماءِ برقم (٥٣١٨) وتاريخ ١٤١٨/٨/٢٧هـ، وقال سألَ المستفتي سؤالاً هذا نصُّه: (اعتدنا أن نصلِّي في العشرين الأولى مِنْ شهرِ رمضانَ إحدى عشرةَ ركعةً. فإذا دخلتِ العشرُ صلينا عشرَ ركعاتٍ في أوَّلِ الليلِ. وعشراً آخِرِ الليلِ، ونوتِرُ بثلاثٍ، فيصبحُ مجموعُ ما نصلِّي في العشرِ ثلاثاً وعشرين ركعَةً، ثم إنَّ أحدَ طلبةِ العلمِ زَعَمَ أن هذا الفعلَ وهو التفريقُ بينَ العشرين الأُولِ والعشرِ الأواخِرِ في العددِ بدعةٌ، وأنَّ الأصلَ المساواةُ في العددِ الشهرَ كلَّه، وقال: إنْ صليتَ إحدى عشرةَ في أولِ الشهرِ فصلِّ مثلها في آخرِهِ، وإن أردتْ أن تصلِّي ثلاثاً وعشرين في آخره فصلِّ ثلاثاً وعشرين في أوَّلِهِ. وقال: إنَّ مِنَ البدعِ أيضاً تفريقَكُم بينَ صلاةِ أولِ الليلِ وآخرِهِ في العشرِ نفسِهَا، فتتخففونَ العشرَ الأول، وتطيلون في الأخيرةِ وتسمّون هذه تراويحِ، وتلك قيامٌ، نريدُ مِنْ فضيلتِكُمُ التكرُّمَ ببسطِ الجوابِ نفعَ اللهُ بعلمِكُم، وأعلى منزلَتِكُم. .).

وبعدَ دراسةِ اللجنةِ للاستفتاءِ أجابتْ بأنَّ صلاةَ التراويحِ في شهرِ رمضانَ سنةٌ مؤكدةٌ فعلَهَا النبيُّ ﷺ بأصحابِهِ ليالي ثُمَّ تأخَّرَ عنهم خشيةَ أن تفرضَ عليهم

وفعَلها أصحابُهُ في عهدِهِ وبعدَ وفاتِهِ واستمرَّ العملُ بِهَا إلى اليومِ.

وأما عددُ ركعاتِهَا فلم يثبُتْ فيه حدٌّ محددٌ، والعلماءُ مختلفون فيه، منهم من يَرَى أنها ثلاثٌ وعشرون ومنهم من يرى أنها ستٌّ وثلاثون ومنهم من يرى أكثر ومنهم من يرى أقلّ، والصحابةُ صلّوها في عهدِ عمرَ ثلاثاً وعشرين في مسجدِ رسولِ اللهِ ﷺ. والنبيُّ كانَ لا يزيدُ رمضانَ ولا غيره على إحدى عشرةَ أو ثلاثَ عشرةَ ولم يحددْ للناسِ عدداً معيناً في التراويحِ وقيامِ الليلِ بَلْ كان يحثُّ على قيامِ الليلِ وعلى قيامِ رمضانَ بالذاتِ، فيقولُ ﷺ: «**من قامَ رمضانَ إيماناً واحتساباً غُفِرَ له ما تقدَّم من ذنبه**» ولم يحددْ عددَ الركعاتِ وهذا يختلفُ باختلافِ صفةِ القيامِ فمن كان يطيلُ الصلاةَ فإنه يقللُ عددَ الركعاتِ كما فعلَ النبيُّ ﷺ. ومن كان يخففُ الصلاةَ رفقاً بالناسِ فإنه يكثُر عددَ الركعاتِ كما فَعَل الصحابةُ في عهدِ عمرَ. ولا بأسَ أن يزيدَ في عددِ الركعاتِ في العشرِ الأواخِرِ عن عددِها في العشرين الأول، ويقسمها إلى قسمين. قسماً يصليه في أوّلِ الليلِ ويخففه على أنَّه تراويح كما في العشرين الأول، وقسماً يصليه في آخِرِ الليلِ ويطيلُه على أنه تهجُّد، فقد كانَ النبيُّ ﷺ يجتهدُ في العشرِ الأواخِرِ مالا يجتهدُ في غيرِهَا، وكان إذا دخلتِ العشرُ الأواخِرُ شمَّر وشدَّ المئزَرَ وأحيَا ليله وأيقظَ أهلَهُ تحرياً لليلةِ القدرِ. فالَّذي يقولُ: لا يزيدُ في آخِرِ الشهرِ عما كان يُصَلِّيه في أوَّلِ الشهرِ مخالفٌ لهدي النبي ﷺ. ومخالفٌ لما كان عليه السلفُ الصالحُ من طولِ القيامِ في آخرِ الشهرِ في آخرِ الليلِ، فالواجبُ اتباعُ سنته ﷺ وسنةِ الخلفاءِ الراشدين من بعدِه، وحثّ المسلمين على صلاةِ التراويح وصلاةِ القيام لا تخذِيلهم عَنْ ذلِكَ وإلقاءِ الشُّبَهِ التي تقللُّ مِنِ اهتمامِهم بقيامِ رمضانَ، واللهُ الموفقُ والهادِي إلى سواءِ السبيلِ.

وصلَّى اللهُ على سيِّدنا محمدٍ وآلِهِ وصحبِهِ وسلَّم.

اللجنةُ الدائمةُ للبحوثِ العلميةِ والإفتاءِ

نائب الرئيسِ
عبد العزيز بن عبد الله بن محمد آل الشيخ

الرئيسُ
عبدالعزيز بن عبد الله بن باز

الأعضـــاء

عبد الله بن عبد الرحمـن الغديـان

صالح بن فوزان بن عبدالله الفوزان

بكـــر بن عبـدالله أبـــو زيـــد

فهرس الموضوعات

فهرس كتاب مجالس شهر رمضان

فهرس كتاب
إتحاف أهل الإيمان بدروس شهر رمضان

